الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

تيار القُطرية المصرية وموقفه من قضايا عصره (1882-1939م)

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ المعاصر

تخصص: التاريخ السياسي والثقافي للمشرق العربي المعاصر

إعداد الطالب: فتحي براي

تاريخ المناقشة:...../..../.....

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	عيسى بن قبي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف. المسيلة	رئيسا
02	محمد السعيد قاصري	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف. المسيلة	مشرفا ومقررا
03	أبوبكر الصديق حميدي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف. المسيلة	عضوا مناقشا
04	عبد القادر خليفي	أستاذ محاضر – أ–	محمد بوضياف. المسيلة	عضوا مناقشا
05	صالح عسول	أستاذ محاضر – أ–	العربي التبسي. تبسة	عضوا مناقشا
06	أسعد لهلالي	أستاذ التعليم العالي	محمد لمين دباغين.سطيف2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2020-2021م

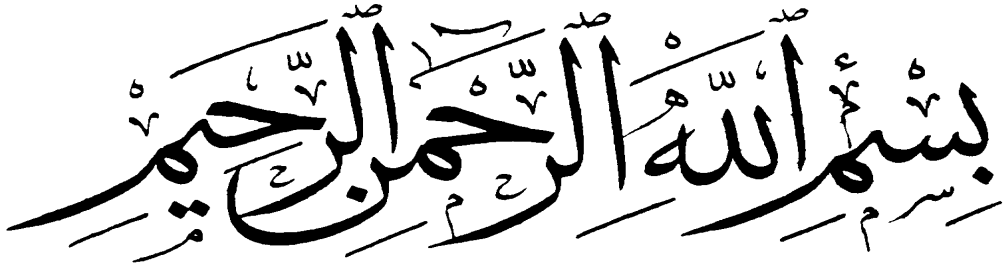

قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية 11]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ﴾

(أبي داود وابن ماجه)

شكر وتقدير

في الحديث القدسي

﴿عبدي لم تشكرني، ما لم تشكر من قدمت لك الخير على يديه﴾

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أعترف بعظيم الشكر وفائق الاحترام لأستاذي

ومشرفي البروفيسور "قاصري محمد السعيد" على عظيم صبره وتفانيه في توجيه العمل.

والشكر موصول لأعضاء اللجنة الموقرة التي تشجمت عناء القراءة والتصويب فلها مني

كثير الثناء.

كما أشكر السادة أعضاء جمعية "مصر المدّنية" بالقاهرة كل باسمه وصفته.

والشكر موصول للأستاذ "محمد الدوكمي" على حسن تعاونه.

الطالب: براي فتحي

إهـــداء

ذات ربيع من آخر سنوات الثمانينات . . كانت خديجة تسنتجد بابن عمي ليعلمها

أساسيات معرفة التوقيت . . وحدث أن سألتها الجارة عن الحكمة من تضييع الوقت للتعلم .

ردت خديجة بقلب أم: "تعلمها باش ما يفوتش فتحي الوقت" .

وأنا على مشارف العقد الرابع ومع زحمة الالتزامات أعتز بأنني حققت بعضا من حُلم خديجة

"باش ما يفوتنيش الوقت" .

إليكِ "يمّا خديجة" أهدي ثمرة الجهد عرفانا لجهادك المتجلي بالقداسة . .

إليكَ أبي . . رحمات تتنزل عليك في علّيين لأنك اخترت "يمّا" كأن ليس مثلها أخرى . .

إلى الزوجة الصبور . .

إلى رياحيني . . ميار . . منيار . . ليليان

المختصرات المستعملة في البحث:

- **باللغة العربية:**

–م.د.و.ع: مركز دراسات الوحدة العربية.

–د.ت: دون تاريخ.

–د.ط: دون طبعة.

–د.م.ط: دون مكان طبع.

–تر: ترجمة.

–تع: تعريب.

–ج: جزء.

–مج: مجلد.

–ط: طبعة.

–ع: عدد.

–س: سنة.

–ص: صفحة.

- **باللغة الأجنبية:**

- **Op.Cit: Ouvrage Précédimenté Cité: مرجع سابق**
- **Volume : مجلد**
- **Tome : طبعة**
- **Ibid : نفسه**

مقدّمـــة

1. التعريف بالموضوع:

مثلت الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م إحدى أهم الأحداث المفصلية للتاريخ المعاصر لمصر ، نظرا لما أحدثته من آثار وعلى مختلف الصُعُدْ ، تلى ذلك تفاعل جملة من العوامل شكلت روافداً لتَكَوُّن الفكر المصري خلال فترة القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي، حيث ظهر الفكر القُطري كأحد أهم التمثلات التي برزت من الناحية الفكرية، إذ يَعْتَبِرُ هذا التوجه أن القُطر المصري يمتلك خصائص وميزات لم تتوفر لغيره جعلته كيانا حضاريا خاصا.

وموضوع تيار القُطرية المصرية يُطرح وفق مبد أين، يرتكز الأول منهما على فكرة العيش في مكان واحد وهو في نظر أنصاره أرض مصر، وبضيغة أدق المجال الطبيعي الجغرافي لمجرى نهر النيل بها، في حين تمثَل المبدأ الثاني في قاطني هذا المجال أي الجماعة التي تسكن الحيز الجغرافي الواحد أو ما يُعرف بالجماعة الوطنية بمصر، ووفق المبدأين معا تحيلنا الفكرة إلى أنها تمثل توجها قوميا جديدا يرفض الاعتراف بالأسس التقليدية للمدارس القومية، حيث يكتفي تيار القُطرية المصرية بالمجال الطبيعي (المكان المحدود)، ومن خلال تفاعل ساكنيه مع هذه القطعة الجغرافية تُخلق قومية قُطرية خاصة بهم، دون الحاجة إلى أي من صور الوحدة سواءً اللغوية أو الدّينية أو العرقية.

إن دراستنا لموضوع تيار القُطرية المصرية في هذا العمل ارتكزت على ثلاثة أبعاد ، تمثل الأول في كون تيار القُطرية مبني على أسس وأنماط إيديولوجية مختلفة، فهو يعترف بالنيل كمحدد طبيعي للقُطر المصري أولا. أما البُعد الثاني فيتحمور حول تفسيرات القومية القُطرية المصرية استنادا إلى هذا الاختلاف، أما البُعد الثالث فهو البحث عن مدى محاولة تجسيد الأفكار القُطرية من طرف أنصار التيار من جهة، والبحث في التفاعل والتأثير المتبادل بين الأفعال والأفكار القومية ذات الأسس القُطرية من ناحية أخرى، وما ترتب عن ذلك من مواقف على المستويين الداخلي والخارجي.

إن موضوع تيار القُطرية المصرية كتيار قومي يأخذ أبعادا على مستوى الهوية، فتكون هذه الهوية بصبغة قُطرية مصرية استنادا لنهر النيل كمحدد طبيعي جغرافي، إذ ينتج عن ذلك هوية قُطرية مصرية خالصة، تتبنى الأصل المتوسطي (حوض البحر الأبيض المتوسط) أو الفرعوني، والتي تصل حد التصادم مع الهوية الإسلامية ذات الصبغة العثمانية أو الهوية العربية أحيانا ، وهما النزعتان اللتان

سيطرتا على الساحة الفكرية المصرية خلال الفترة الممتدة ما بين 1882م تاريخ الحملة الإنجليزية على مصر وحتى سنة 1939م التي تمثل نهاية وأفول التيار القُطري بمصر، حيث كان للفكرة القُطرية أنصارا من النخبة المصرية خلال فترة البحث، والذين أدلوا بتفسيراتهم حول القومية القُطرية وأبدوا مواقفهم من جملة من القضايا الفكرية والتاريخية المعاصرة لهم. ومن هنا ارتأينا تسليط الضوء على الموضوع الذي يندرج تحت عنوان **"تيار القُطرية المصرية وموقفه من قضايا عصره (1882–1939م)"**.

2. أهمية الموضوع:

يستمد البحث أهميته من الطرح الفكري الذي يتعلق بتاريخ الأفكار الذي يُعد أحد أهم محاور الدراسات التاريخية ، إذ نلمس ذلك فيما تعلق بتاريخ مصر الفكري من حيث التأثر والتأثير والتي تتعلق عادة بالنخبة المثقفة التي أ فرزت لنا تصورا خاصا لمفهوم القومية المصرية القائمة على أساس قُطري م تميز ، وهو ما يكتسي به الموضوع الأهمية الفكرية، أما الأهمية السياسية للموضوع فتتجلى في التطورات السياسية التي عرفتها مصر خلال فترة نهاية القرن التاسع عشر وما شهدته من تسارع في الأحداث، وكذا العقود الثلاثة الأولى للقرن العشرين ميلادي وما عرفته من أحداث أيضا كان لها بالغ الأثر في تكوّن مصر السياسي ذو البُعد القُطري.

أما أهميته التاريخية فتكمن في تناولنا تيار القُطرية المصرية في سياق تاريخي انطلاقا من معرفة الأوضاع العامة بمصر، ثم السياق المتميز الذي حاولت النخبة بناء صورتها الذاتية من خلاله، ومدى حضور تيار القُطرية المصرية في النشاط السياسي ثم موقفها من قضايا عصرها ، وهو يترجم النظرة المصرية القُطرية للعالم وقضاياه المختلفة.

3. دواعي اختيار الموضوع:

هناك سببان كانا لهما واضح التوجيه في الاختيار هما:

- **الداعي الشخصي**: تمثل أساسا في الرغبة في البحث في كنه الموضوع لما له في اعتقادنا من أهمية تاريخية وفكرية.

- **الداعي الموضوعي**: وهو مرتبط بعنوان مشروع الدكتوراه الذي يبحث في التاريخ السياسي والثقافي للمشرق العربي المعاصر، ومن ثمة كان لزاما علينا أن نخوض تجربة البحث في هذا الموضوع.

4. الإشكالية:

تجاذبت في مصر بين سنة 1882م و1939م جملة من التيارات الفكرية القومية المختلفة من حيث الأسس والتوجهات ، فكان التوجه القومي الدّيني الذي ينظر للمجتمع المصري على أنه إسلامي عثماني يمثل جزءً من العالم الإسلامي، في حين نظر له آخرون على أنه قومي عربي بموجب اللغة والعرق وهو جزء من الوطن العربي، غير أن هناك تيارا آخر عُرف بتيار القومية القُطرية المصرية الذي يبني تصورا للقومية المصرية على أسس مختلفة ومعايير جديدة، و من ثمة فإننا نطرح الإشكالية التالية:

- **إلى أي مدى شكل تيار القُطرية المصرية بُعْداً قوميا أساسيا بمصر بين (1882–1939م)؟ وإلى أي مدى عبّرت مواقفه من قضايا عصره عن قناعاته القُطرية؟**

وتتضمن جملة من التساؤلات منها:

–ما المقصود بتيار القُطرية المصرية؟

–كيف ساهمت الأوضاع العامة في ظهور الفكر القُطري المصري؟

–ما هي التيارات القومية السائدة بمصر خلال فترة البحث؟

–ما هي الأسس التي تبناها تيار القُطرية المصرية؟

–ما هي تجليات القُطرية المصرية لدى النخبة وما هي تمثلاتها لدى الأحزاب الوطنية المصرية ذات البعد القُطري؟

–كيف حاول المصريون تحقيق أفكارهم القُطرية؟

–ما هو موقف تيار القُطرية المصرية من بعض القضايا التاريخية والفكرية لعصره كالاحتلال البريطاني بمصر والقومية العربية والخلافة العثمانية؟

–ما هو موقفه من بعض القضايا الاجتماعية كتواجد الأجانب بمصر؟

–ما هو موقفه من بعض القضايا الثقافية كاللغة العربية وآدابها وثنائية الدين بمصر؟

5. المناهج:

اختلفت المناهج الموظفة خلال مرحلة إنجاز الأطروحة حسب اختلاف الموضع ، حيث نجد تعاملنا يتراوح بين:

–المنهج الوصفي الذي يتلائم مع بعض ما ورد في مضامين الأطروحة، كما أن المنهج التحليلي لازمنا أيضا لحظات البحث عن بعض الحقائق التاريخية.

–كما كان للمنهج النقدي الحضور الوافر كلما لزم الأمر لإبداء موقف معين أو ترجيح لرأي آخر.

6. خطة البحث:

حاولنا طرح موضوع القُطرية المصرية في قالب متوازن انطلاقا من مسايرة الأوضاع العامة بمصر، ثم السياق الذي ظهر وانتشر فيه التيار القُطري ومحاولات النخبة المصرية تشكيل قوميتها الخاصة، وكذا مدى حضورها في أنشطتهم الحزبية وذلك في إطار قومية مصرية بحتة، والنظرة المصرية للعالم من خلال تتبع مواقف تيار القُطرية المصرية من مختلف القضايا المعاصرة له، وقد تطرقنا لذلك وفق مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات.

اندرج الفصل الأول تحت عنوان: الأوضاع العامة والتيارات الفكرية القومية بمصر، تطرقنا ضمنه إلى المبحث الأول الذي حوى الأوضاع التي عرفتها مصر (1882–1939م) فعرضنا الأوضاع السياسية من خلال تناولنا للثورة العرابية والاحتلال البريطاني لمصر والحركة الوطنية، أما الأوضاع الثقافية فعرضنا فيها التعليم والصحافة كمظهرين من مظاهر النهضة الفكرية في الجانب الثقافي، أما المبحث الثاني الذي اندرج تحت عنوان مفهوم القُطرية ونشأتها وعوامل ظهورها، أما المبحث الثالث فتضمن تيارات الفكر القومي في مصر وتجلياتها مطلع القرن العشرين.

بينما الفصل الثاني المعنون بـ: تيار القُطرية المصرية لدى النخبة والأحزاب ومن خلال ثورة 1919م، تناولنا فيه ضمن المبحث الأول القُطرية المصرية في تصورات النخبة، والمبحث الثاني عرضنا فيه تمثلات تيار القُطرية المصرية عند بعض الأحزاب الوطنية، أما المبحث الثالث فتناولنا ضمنه تيار القُطرية المصرية من خلال ثورة 1919م وما بعدها، وركزنا على تمثلاته في الجانب الاقتصادي.

أما الفصل الثالث المعنون بموقف تيار القُطرية المصرية من قضايا عصره، تطرقنا فيه ضمن المبحث الأول إلى موقفه من بعض القضايا التاريخية والفكرية، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه موقفه من بعض القضايا الثقافية والاجتماعية. والمبحث الثالث ضمناه جدل التيار القُطري بين الرفض والقبول، وخاتمة ضمناها أهم ما توصلنا له من استنتاجات بعد معالجة الموضوع.

7. الدراسات السابقة:

ما يمكن الإشارة إليه أن مُجمل الدراسات السابقة للموضوع – في حدود إطلاعنا – لم يشكل لها موضوع تيار القُطرية المصرية جوهر الفكرة ومنها:

-**هوية مصر بين العرب والإسلام (1900–1930م)**: لمؤلفيه ج.جانكوفسكي وأ.جرشوني، وهي دراسة أصدرها معهد الدراسات الإسرائيلية بالشرق الأوسط سنة 2013م، وقد استندت الدراسة إلى مجموعة هامة من الوثائق، غير أنها جاءت لتصب في فكرة تعميق الانفصال عن العرب وتكريس منطق العنصرية، ذلك أن الدراسة تشير في كثير من ال.مَواطِنْ إلى أن المصري ليس كباقي العرب وأن مصر متمدنة ومتحضرة وهي تسعى إلى تجديد فكرة الانتماء غير العربي لمصر.

-**الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م)**: لمؤلفه "ألبرت حوراني"، صدر سنة 1983م كُتب باللغة الانجليزية وترجمه "كريم عزقول"، وإن لم يكن مختصا بالبحث في الفكرة الجوهرية لموضوعنا إلا أنه احتوى على فصل هام وهو الفصل الثامن الذي اندرج تحت عنوان القومية المصرية ، حاول المؤلف من خلاله تتبع الفكرة منذ ظهورها وأعطى صورا كثيرة لتمثلاتها، وقد ساعدنا هذا الكتاب في فهم الفكر القُطري من الجذور أي البدايات الأولى لظهوره مع المفكر رفاعة الطهطاوي ثم تبلور الوعي بالقُطرية المصرية مع مختلف أقطاب النخبة المصرية مثل أحمد لطفي السيد وغيره.

-**مصر وفلسطين** : للكاتبة عواطف عبد الرحمان، صدرت الدراسة في 1979م، وهي في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه تناولت موضوع القضية الفلسطينية في الصحافة المصرية ثم نشرت بالعنوان الأول، وإن لم تكن دراسة مختصة أو لها علاقة مباشرة بموضوع بحثنا ومع ذلك كان لها بالغ الأثر في توجيهنا لمعرفة التيارات القومية المصرية خلال فترة البحث وقد كُتب البحث بفكرة مرجعية إيديولوجية عربية إسلامية انطلاقا من وجهة نظرها المتشبعة بالهُوية العربية والدين الإسلامي.

- **Azoury Nadjib:** Le réveil du nation arabe.

يحمل هذا الكتاب في طياته تحليلا فلسفيا وبناءً تاريخيا للفكر العربي ونهضته خلال فترة النهضة العربية (مطلع القرن العشرين)، ويشرح عازوري النهضة الفكرية التي دعمت انتشار القومية المصرية والتي أخذت طابعا متميزا فيما بعد تمثل في اعتمادها في مبدأ قوميتها على القُطر المصري فقط دون اعتبار لأي ولاء خارجي.

8. المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

تنوعت المصادر المعتمدة في إنجاز بحثنا من صحف مصرية وعربية إلى مؤلفات مصدرية ومذكرات شخصية نذكر منها:

- **أولا:الصحف والمجلات:**

شكلت الصحف والمجلات مستودع للوثائق التاريخية الهامة لحركة الفكر المصري من خلال مجموعة المقالات التي حوتها، وهي ترجمة للتوجهات الفكرية لنخبة مصر آنذاك، نذكر منها:

-"التنكيت والتبكيت" أصدرها عبد الله النديم سنة 1881م، عبّر من خلالها وبطريقة هزلية وفكاهية أحيانا عن الوضع السياسي والاجتماعي الذي تعيشه مصر، حيث هدف من خلالها إلى إيقاظ الوعي القومي المصري وتنبيه المجتمع المصري إلى السياسات المنتهجة من قبل البريطانيين أو من قبل القصر الملكي، وقد استفدنا منها في بحثنا هذا فيما تعلق بمعرفة الوضع العام بمصر وموقف عبد الله النديم باعتباره أحد نماذج النُخبة المصرية المؤمنة بالتوجه القُطري من قضايا المجتمع والتواجد الأجنبي وغيره.

-"الأستاذ": تعتبر مجلة "الأستاذ" امتدادا لمجلة "التنكيت والتبكيت" بداية من سنة 1898م حيث بلغت جميع أعدادها (42 عددا)، تنوعت مواضيعها بين السياسية والاجتماعية، حاولت معالجة قضية الاحتلال البريطاني لمصر من وجهة نظر وطنية، وهدفت إلى تنبيه الرأي العام المصري من القبول بالوضع وعدم إبداء أية ردة فعل سواءً تُجاه النظام الملكي (سياسة القصر) أو الاحتلال البريطاني أو الممارسات السلبية للأجانب بمصر.

-**"المنار"** (1898-1935م) تضمنت مقالات للشيخ مُحَمَّد عبده ورشيد رضا، كانت بمثابة المصباح الذي أنار لنا درب البحث عن مدى سيطرة التوجه الإسلامي بمصر، والتي مكنتنا إضافة لما سبق من الإطلاع على بعض المواقف لأنصار التيار القُطري المصري من مختلف القضايا.

-**"الهلال"** أشرف على إصدارها جورجي زيدان، تنوعت مواضيعها في مختلف المجالات، وقد أفادتنا بعض أعداد سنة 1908م وأعداد سنة 1928م خاصة فيما تعلق بموضوع بحثنا كالمقالات التي كتبها سلامة موسى، ضمّنها رأيه تُجاه بعض قضايا عصره، وباعتباره أحد أعمدة التيار القُطري المصري خلال فترة البحث.

-**"المقتطف"**: تضمنت مجلة المقتطف خلال أعداد مارس ونوفمبر وديسمبر 1926م مواضيع متنوعة تدعم فكرة الفرعونية المصرية، والعدد الخاص الصادر في 31 ديسمبر 1926م والذي حوى 76 مقالا صبت في معظمها حول فرعونية مصر باعتباره توجه ضمن التيار القُطري العام.

-**جريدة "السياسة الأسبوعية"** (1926-1931م)، أصدرها خلال هذه الفترة مُحَمَّد حسين هيكل، تضمنت مقالاتها تشريحا للواقع السياسي والاجتماعي المصري، حيث عملت على توجيه الرأي العام إلى الاهتمام بقضاياه المحلية فقط، رغبة منها في دعم الفكر القُطري المصري، مكنتنا أعدادها من تتبع تطور الفكر القُطري لدى حزب الأحرار الدستوريين باعتبارها جريدة الحزب ولسان حاله، إذ فتحت صفحاتها للأقلام المناصرة للتيار القُطري أملاً في سيادة هذا التوجه وغلبة هذا التيار على الرأي العام، كما أفادتنا في التعرف على موقف أنصار التيار القُطري من بعض قضايا عصره.

- **ثانيا: المذكرات الشخصية:**

وهي مؤلفات عبّر فيها أصحابها عن آرائهم وتصوراتهم، وتعد هذه المؤلفات مادة مهمة وخصبة لاستقراء الفكر القُطري المصري، نذكر منها:

-**مذكرات "مصر للمصريين"** لأحمد عرابي باشا: كتبها في منفاه بعد أحداث الثورة العُرابية، وصف فيها الوضع المصري العام ووضح الأسباب التي دفعت به إلى إعلان الثورة سنة 1881م، يستشف من خلالها أن أحمد عرابي باشا مثّل أوائل الوطنيين المصريين ورغبة منه في تغيير الوضع دون أية اعتبارات لهُوية مصر كإسلاميتها أو عروبتها.

-**مذكرات "حياتي"** لأحمد لطفي السيد: رصد فيها الكاتب أهم الحوادث المؤثرة في التاريخ السياسي المصري إبان الاحتلال الإنجليزي، وفي كتابه هذا تحدث لطفي عن أفكاره وهواجسه تجاه الاستقلال، والحرية، وعن ازدواج المعايير الاستعمارية في فلسفتها الإنسانية، وقد تصدى الكاتب بالرد على الأفكار الاستشراقية التي تؤسس للتفوق العرقي، ومن ذلك ردوده على اللورد كرومر القنصل البريطاني العام لمصر عام (1883-1907م)، ولقد ساهم الكاتب مساهمة فعالة في تغيير الأوضاع العلمية والثقافية في مصر، وهو في كتابه هذا يتحدث عن تجربته العملية التي بوأته مناصب عدة.

-**"مذكرات مُحَمَّد عبده"** للشيخ مُحَمَّد عبده: وتمثل سجلا زاخرا بأحداث الفترة، كما تتضمن مواقفه الرسمية تجاه الكثير من القضايا وقد ساعدتنا في توضيح الغموض في آرائه مثل ما تعلق بموقفه من الاحتلال البريطاني بمصر ودفاعه عنه كأحد أسباب ازدهار مصر.

- **ثالثا: المؤلفات المصدرية:** ونذكر منها:

-**"مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"** لرفاعة الطهطاوي: كتبه رفاعة الطهطاوي بعد عودته من أرروبا، حيث لاحظ فارق التمدن بين مصر وأوروبا وقدم من خلاله طرق وآليات يمكنها بعث الحضارة المصرية لتُجاري حالة النهضة والتطور في أوروبا.

-**"اليوم والغد"** لسلامة موسى: هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات كان قد نشرها سلامة موسى في مجلات عدة خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات، ضمنها آرائه من مختلف القضايا الفكرية والتاريخية ذات البعد السياسي والفلسفي، كما شرّح في بعضها قضايا المجتمع المصري والعربي عموما.

-**"مسقبل الثقافة في مصر"** لطه حسين: عبّر فيه عن قناعاته حول ارتباط مصر بحوض البحر الأبيض المتوسط، ودافع فيه عن توجه مصر نحو أوروبا لا نحو العالم العربي أو الشرق عموما، حيث فصّل فيه مكونات الشخصية المصرية الأوروبية حسبه، معتبرا أن المصري لابد أن يكون أوروبيا فقط، كما أن مصر لابد أن تتوجه إلى امتدادها الجيو-إستراتيجي نحو البحر الأبيض المتوسط، ويوضح طه حسين موقفه من دعاة عروبة وإسلامية مصر معتبرا إياهم يغفلون عن حقيقة الهُوية المتوسطية لمصر.

-**"مصر الحديثة " (Modern Egypt)** للورد كرومر إفلين بارنك (Evelyn Baring): صدر هذا الكتاب سنة 1908م، تضمن جملة من التقارير الرسمية التي كتبها اللورد كرومر حينما شغل منصب

الحاكم العام البريطاني بمصر ، وهي تمثل رصدا لمختلف التطورات السياسية والاجتماعية التي شهدتها مصر خلال تلك الفترة، كما تضمنت مواقفه المؤيدة للتيار القومي المصري ذو الأساس القُطري، وكذا موقفه من بعض قضايا عصره.

-**"المسألة الشرقية"** لمصطفى كامل: ضمّنه دفاعه عن الدولة العثمانية أمام تكالب الدول الأوروبية عليها، ودعا من خلاله إلى الالتفاف حول السلطان باعتباره حامي الأمة، كما أشار إلى أحقية الدولة العثمانية في سيطرتها على مصر، وقد دعمنا هذا الكتاب بمعلومات حول الصراع الأوروبي الإسلامي من خلال رغبة الدول الأوروبية في تصفية تركة الرجل المريض، كما أمدنا بصورة حول صراع الهُوية الحاصل في مصر آنذاك بين أنصار القُطرية المصرية وأصحاب التوجه الإسلامي لمصر.

-**"المنتخبات"** لأحمد لطفي السيد: وهو كتاب يضم مقالات تم نشرها في جريدته "الجريدة" التي نادى فيها بالاستقلال السياسي والحرية السياسية، كما حذر من آثار الدَيون الأجنبية فبسببها أُحتلت مصر وفقدت استقلالها، وقد أفادنا الكتاب في معرفة بعض تطورات فكر أحمد لطفي السيد حول موضوع قُطرية مصر، كما وجدنا فيه بعض مواقفه من قضايا المرحلة.

ب.المراجع:

استفدنا من الكثير من المراجع الهامة التي كانت بمثابة الدعامات الأساسية لقيام بناء الموضوع واستقامته على هذا النحو ، كما شكلت أعمال مركز دراسات الوحدة العربية رافدا مهما في تغذية بحثنا سواءً بمؤلفات لها علاقة مباشرة بالموضوع أو مراجع مساعدة في تشكيل التصور العام للموضوع وسبل طرحه ومناقشته، ومن أهم المراجع نذكر:

-"نشأة الروح القومية" لمحمد صبري.

-"نحو تيار أساسي للأمة" لطارق البشري.

-"الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914م)" لعلي المحافظة.

-"الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" لمحمد مُحَمَّد حسين.

-"تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي" لمحمد عابد الأنصاري.

-"تطور الحركة الوطنية في مصر (1918-1936م)" لعبد العظيم رمضان.

-"مصر والمصريون" لألكسي فاسيليف.

-(Cromer in Egypet) لـ(John Marlow).

-"المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840-1918م)" للكاتبة فدوى أحمد محمود نصيرات.

9. الصعوبات:

لا يخلو هذا البحث من جملة العوائق التي حالت دون أن يكون في حلة أفضل أهمها:

-تشعب الموضوع على مستويين ، أولا المستوى المعرفي حيث أن الموضوع من الصعوبة بما كان التحكم فيه لأخذه أبعادا مختلفة في جوانب متعددة من ناحية، ومن ناحية أخرى الغياب التام - في حدود إطلاعنا- لدراسات اهتمت بالفكرة كموضوع مستقل.

-أما المستوى الثاني فهو الفترة الزمنية المدروسة والتي قاربت نصف القرن مع غناها بالأحداث جعلتنا في كل مرة نتوقف عن العمل لنبحث في منعطفات أخرى لها تقاطع مع موضوع البحث.

-بالإضافة إلى مشقة تتبع التيار الفكري القُطري ضمن ممارسات سياسية وحزبية مصرية وصراع فكري عرفته مصر خلال فترة البحث.

-كما أن قراءة وتتبع الآراء والمواقف في الصحف والمجلات القديمة يتطلب جهدا إضافيا وزمنا أطول نظرا لقدمها وعدم وضوحها، ورغبة منا في تحري الدقة والابتعاد عن التأويل أو التحريف.

-كما أن التزامنا بحضور الدروس النظرية لسنة التسجيل الأولى ومشقة السفر أسبوعيا مع زحمة الالتزامات العائلية والمهنية، ثم التحاقنا بالمعهد الوطني للتكوين بالعاصمة في الموسم الموالي عطلت من طموحاتنا لإنجاز العمل كما هو منتظر.

وإن كان من يُذكر بخير في إخراج الموضوع بهذه الحُلة فهو السيد المشرف الذي كان لي بمثابة الأستاذ الموجه والمرشد الناصح والأب الودود فله مني عظيم الامتنان وجزيل الثناء.

الفصل الأول

الأوضاع العامة والتيارات الفكرية القومية بمصر (1882-1939م)

تمهيد:

نعرض في هذا الفصل ومن خلال عناصره انطلاقا من الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية بمصر خلال الفترة المدروسة ابتداءً من سنة 1882م والتي تمثل تاريخ الحملة الإنجليزية على مصر عقب الثورة العُرابية وإلى غاية 1939م، إذ نُركز على الوضع السياسي بالتطرق إلى أهم الأحداث منها الثورة العُرابية والاحتلال الإنجليزي والحركة الوطنية وأما الأوضاع الثقافية تناولنا فيها بالعرض النهضة الفكرية المصرية ونهضة التعليم والصحافة كمظهرين للثقافة والأوضاع الاجتماعية التي نقتصر فيها على عرض بنية المجتمع المصري، ثم تطرقنا إلى مفهوم القُطرية نشأتها وعوامل ظهورها، ثم تيارات الفكر القومي في مصر وتجلياتها مطلع القرن العشرين.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في مصر (1882–1939م):

1. الأوضاع السياسية:

شهدت الساحة السياسية المصرية جملة من الأحداث كان لها بالغ الأثر في صياغة الجو العام منذ سنة 1882م، حيث كانت الثورة العُرابية أهم محطة فيها والتي نجم عنها بسط السيطرة الإنجليزية على السيادة المصرية تلى ذلك بروز التيار الوطني المتجلي في الحركة الوطنية وهي العناصر التي سنعرضها فيما يلي:

أ. الثورة العُرابية 1881م:

تُنسب الثورة العُرابية إلى مفجرها أحمد عرابي باشا [1] (1841–1911م)، وتعزى إلى جملة من العوامل، منها الفكرية: التي تتلخص في أثر الصحافة منذ سبيعينيات القرن التاسع عشر، ودور رجال

[1] أحمد عرابي باشا: ولد في 31 مارس 1841م بالزقازيق، تلقى تعليمه الأول بكتاتيب القرية، ثم درس سنوات بالأزهر ولم يكمل تعليمه العالي، والتحق بالجيش ليحصل على رتبة الأميرالاي، قائد عسكري وزعيم مصري قاد الثورة العرابية ضد الخديو توفيق في عام 1881م عندما ظهر مع مجموعة من زملائه مطالبين الخديوي توفيق بترقية الضباط المصريين وعزل رياض باشا رئيس الوزراء وزيادة عدد الجيش المصري، توفي سنة 1911م. ينظر: مُحَمَّد متولي، **سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية في العصر الحديث–3–أحمد عرابي**، وزارة الإعلام، مصر، 2008، ص11.

النهضة أمثال جمال الدّين الأفغاني [1] في خلق الوعي الجمعي بضرورة تغيير الوضع وتحقيق الإصلاح ، كما لعب تشكيل أول مجلس للشورى بالغ الأثر في نمو الوعي القومي المصري[2].

أما العوامل الاقتصادية فتتلخص في الوضع المزري الذي وصله المجتمع المصري جراء نظام العمل بالسُخرة في قناة السويس وارتفاع الديون الخارجية وكساد تجارة القطن، وكذا ارتفاع الضرائب غير القانونية ودفع الأهالي لتسديدها تحت الضغط ، وخلاصة لهذا الوضع عبَر أحد المؤرخين المصريين بالقول: "ولو لم تقم ثورة عرابي لقامت الجماهير بالثورة لأن الشعب المصري في لحظات الانهيار وخلال طريق اليأس لا يجد أمامه بعد نفاذ الصبر إلا الثورة مهما كان الثمن الذي يدفع فيها"[3].

اندلعت الثورة العُرابية في 1881م بزعامة أحمد عرابي وكانت بمثابة ثورة الشعب المصري ضد التدخل الأجنبي والحكم الاستبدادي [4]، إضافة إلى العوامل الفكرية والاقتصادية ساهمت مجموعة من الأسباب التي أدت إلى قيام الضباط الوطنيين بالثورة ومنها بعض الإجراءات التعسفية التي اتخذها عثمان رفقي الشركسي ضد اثنين من كبار الضباط الوطنيين هما: الأميرالاي عبد العال حلمي والقائم مقام أحمد عبد الغفار وكانت مطالبهم تتلخص في:

- عزل رياض باشا.
- دعوة مجلس شورى النواب إلى الانعقاد.

---

[1] مُحَمَّد جمال الدّين بن صفتر بن علي بن منير رضي الدّين مُحَمَّد الحسيني، ولد في قرية أسعد أباد من قرى كابل عاصمة الأفغان عام 1838م من أسرة حنفية المذهب، كان لعشيرته مكانه في قلوب الأفغانيين لنسبها الشريف، تلقى تعليمه في كابل وبرع في جمع = =العلوم العربية من نحو وصرف و أتم تعليمه في الثامنة عشر من عمره ورحل الى عدة دول وأدى فريضة الحج في موسم عام 1857م واتخذ موقف العداء للسياسة الاستعمارية الأوربية عامة والسياسة البريطانية خاصة، رحل الى القاهرة والتقى بتلميذه مُحَمَّد عبده وأصدر جريدة العروة الوثقى ونشر العديد من المقالات التي تفضح السياسة البريطانية، وأصيب بسرطان أدى إلى وفاته في 1897م. ينظر: http://www.maktabatalfeker.com/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/22، الساعة: 17.00.

[2] مُحَمَّد متولي، مرجع نفسه، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص35.

[4] خص عبد الله النديم التعريف بالثورة العُرابية وقائدها بعدد خاص في مجلته التنكيت والتبكيت"، ينظر: التنكيت والتبكيت، ع18، السنة 01، مصر، 16 جانفي 1881.

-رفع القوة العسكرية إلى ثمانية عشرة ألف جندي[1].

لكنها رُفضت وأدى انتصار هذه الثورة في البداية إلى تحسين حالة الجيش كالزيادة في الرواتب[2]، ومن ثمة اتخذ مجموعة من الوطنيين حركة عُرابي باشا [3] إشارة بدأ لعمل فكري وهو الإصلاح الدّيني والاجتماعي وإحياء حضارة إسلامية إيجابية تتفاعل مع التطورات الحديثة في كافة المجالات [4]، كما أن الملاحظ أن الحركة الوطنية أيام ثورة عُرابي تميزت بكونها ذات توجه ديني وعاطفي [5]، زاد من تأججه خطب الشيخ مُحَمَّد عبده الذي انضم إلى عرابي باشا وصار من أهم أعوانه "فقد عمل ومنذ توليه تحرير الجريدة الرسمية على تثقيف الرأي العام وجعله عاملا أساسيا في التقدم المصري"[6].

وجدير بالذكر أن هناك من المؤرخين والمهتمين بتاريخ مصر في هذه الفترة ينسبون الاحتلال البريطاني إلى النتيجة الحتمية التي أفرزتها الثُورة العُرابية في مقابل ذلك يرفض آخرون هذا التعليل ، ومن أمثلة ذلك ما نورده هنا "...كل ما نود أن نقوله... أن بريطانيا كانت تريد مصر منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن، وأن الثورة العُرابية كانت ستارا للتدخل البريطاني بحجة حماية السلطة الشرعية وبالتالي لا يمكن القول بأن الثورة العُرابية كانت السبب في وقوع الاحتلال البريطاني ، وإنما الأدق أن نقول أنها كانت الفرصة التي انتهزتها بريطانيا لتحقيق حلمها في السيطرة على مصر والذي كان سيتم عاجلا أو آجلا وسواءً قامت الثورة العُرابية أو لم تقم"[7]، وفي رأينا فإن الاحتلال البريطاني لمصر واقع لا محالة سواءً قامت الثورة العُرابية أم لا، ومردُ ذلك المخططات الأوروبية الاستعمارية في القارة الإفريقية ورغبة

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، **الثورة العُرابية والاحتلال الانجليزي**، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1984، ص39.

[2] للمزيد من التفاصيل حول الثورة العرابية ينظر: مُحَمَّد عصام المرشدي، **الثورة العرابية وأثرها في تطور الشعب ونهضته** ، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1958، ص.ص20-23.

[3] مُحَمَّد عرابي باشا، **مصر للمصريين، مذكرات أحمد عرابي**، منشورات هنداوي، مصر، 2013، ص62.

[4] مصطفى الفقي، **الأقباط في السياسة المصرية مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية** ، دار الشرق، ط2، بيروت، 1988، ص51.

[5] المرجع نفسه، ص51.

[6] مُحَمَّد صبري، **تاريخ مصر الحديث من مُحَمَّد علي إلى اليوم**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1999، ص207.

[7] مُحَمَّد متولي، مرجع سابق، ص13.

بريطانيا في السيطرة على الممرات البحرية الإستراتيجية (قناة السويس)، كما أمكن أن يحدث احتلال بريطانيا لمصر بعد ذلك في إطار اقتسام تركة الرجل المريض (تصفية أملاك الدولة العثمانية).

كان لهذه الثورة جانب إيجابي، فهي الثورة القومية الوحيدة التي خاضها المصريون طوال القرن التاسع عشر ولأول مرة كان التجنيد شعبيا ويكاد يُشبه الهبّةُ الجماهيرية للدفاع عن البلد، و"كان الجندي (الفلاح) المتعطش للعدالة يناضل ضد الطغاة الأجانب، وفي التل الكبير تدفقت المؤن والزاد من كل نوع ومن كل مناطق مصر، وسادت الحماسة التلقائية في كل مكان وكانت بمثابة معركة في سبيل الحرية"[1].

ب.الاحتلال الإنجليزي 1882م:

مثَل الاحتلال الإنجليزي لمصر أحد أهم المحطات التاريخية نهاية القرن التاسع عشر، وكان له أن يستمر وإن تعددت أسبابه،إلا أنه وقع فعلا عقب الثورة العُرابية ، حيث كان أول قرار أُتُخذ عقب نجاح الحملة الإنجليزية هو:

- حل الجيش المصري: الذي يعتبر حسب السلطة البريطانية بمصر هو السبب الحقيقي في تفجير الثورة العُرابية والاكتفاء بمحاكمة الضباط الكبار ، ومقابل ذلك تم اقتراح تشكيل قوة عسكرية تخلف الجيش المصري المنحل تتكون من عناصر أوروبا الشرقية والأناضول وتحت إمرة قادة إنجليز وتسخير المصريين من العامة والفلاحين تحقيقا لمصلحة الاحتلال فأُنشأت بذلك "الفرق المصرية" [2]. ثم عمل على دمج الحياة المصرية في القالب الغربي الإنجليزي من خلال ترسيخ مبدأ "الأنجلزة".

---

[1] مُحَمَّد صبري، **نشأة الروح القومية المصرية (1863–1882م)**، تر: ناجي رمضان عطية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2006، ص285.

[2] فرق العمل المصرية: جمعت بريطانيا في هذه الفرق أكثر من مليون مصري من فلاحين وعمال حيث أجبرتهم على العمل خدمة المؤسسة العسكرية في مد الجسور وخطوط السكك الحديد وبناء الثكنات العسكرية وغير ذلك ، وعملوا في العراق وفلسطين وفرنسا وعاملتهم بشكل قاسٍ وبشع. ينظر: جلال يحيى، **المجمل في تاريخ مصر الحديثة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1980، ص333.

- أنجلزة الإدارة المصرية: حيث يعتبر "كرومر" (Cromer)[1] كل موظف يعمل على دمج الإدارة المصرية لتصبح إنجليزية "مُصلحا"[2]، وقد عملت السلطة البريطانية في مصر لضمان ذلك وفق مبدأين:

- المبدأ الأول: الاعتماد على الإنجليز في إدخال مظاهر الحياة الأوروبية إلى مصر مصطبغة بالصبغة الإنجليزية.

- المبدأ الثاني: تكوين فئة من المصريين تستلهم من الروح الإنجليزية وتتشبع بمبادئ الغرب، ويمكن للاحتلال استخدام أفراد هذه الفئة لتنفيذ أغراضه في مصر [3]، وطبعا يدخل هذا المخطط في الإطار العام للسياسة الاستعمارية الأوروبية في العالم العربي مع تفاوت حدته من دولة إلى أخرى، "فالاستعمار الفرنسي والإيطالي اتبع سياسات استيعابية كاملة للشعوب العربية المستعمرة في لغته وثقافته وفكره، والاستعمار البريطاني اتجه إلى محاولة إبعاد اللغة العربية من مجالات الحياة العامة في السياسة والإدارة والاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا، ولكن دون التدخل في إعادة تشكيل الشخصية الإنسانية وفقا لمقومات الحضارة الأوروبية الوافدة الاستعمارية [4]، وكانت قضية مصطفى فهمي في سنة 1892م خير دليل، حيث طلب منه الخديوي عباس الاستقالة "لأنه كان إنجليزيا أكثر منه مصريا"، وحين رفض ذلك تم عزله وعيّن مكانه فخري باشا[5].

وعلى أي حال فإن مقتطفا مما وصف به الكاتب المصري "طارق البشري" تواجد البريطانيين بمصر كفيل بقراءة واقع حال مصر تحت سيطرة بريطانيا فيقول: "لم يكن في مقدور الإنجليز أن يُسفروا عن حقيقة نواياهم من احتلال مصر كانوا حريصين على كسب الأمر الواقع لصالحهم بأقل قدر من

---

[1] لورد كرومر إفلين بارنك (Evelyn Baring) (1841-1917م): رجل دولة ودبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني، كان من أكبر دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي، أمضى ما لا يقل عن ربع قرن بمصر قابضا على زمام السلطات (1882-1906م). ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2019/11/10، الساعة: 18.00.

[2] سامي عزيز، **الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص240.

[3] المرجع نفسه، ص244.

[4] نازلي معوض أحمد، **التعريب والقومية العربية في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 1986، ص31.

[5] مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر الحديث من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مرجع سابق، ص227.

العنف وبأكثر ما يمكن من الهدوء والخفاء وبالتسرب الدؤوب الصبور وذلك حذر تأليب المجتمع الدولي عليهم إذ كانت الدول الكبرى من القرن التاسع عشر متنافسة في الاستيلاء على مصر حريصة ألا تنفرد بالاستبداد بها واحدة منها ، وفرنسا على تنافس تاريخي مع بريطانيا على مصر ، والسلطان العثماني لا ينظر إلى إلحاق مصر ببريطانيا إلا بعين السخط ، وروسيا تستميل الباب العالي ضد الإنجليز وسط كل ذلك يتحاشون أن يجدوا أنفسهم أمام اختيار واحد من أمرين صعبين إما الإسراع بترك مصر تهدئة للدول الكبرى وإما البقاء بها بقاء قد يؤدون عنه ثمنا غاليا عن مصالحهم في جهات أخرى من العالم... "[1]، وفي نفس السياق يقول "طارق البشري": " كانت نقطة البداية في السياسة البريطانية إزاء هذه الاعتبارات أن تدخل مصر بدعوى إقرار النظام والأمن دعما لسلطة الخديوي التي تحداها العرابيون وأن يبقى استمرار وجودهم متشحا بهذه الدعوى ذاتها ، وأن يجري التغيير لصالحهم باسم المحافظة على الأوضاع القائمة، ويصطبغ الحكم بالصبغة الإنجليزية باسم تمصير الحكم"[2].

ج. الحركة الوطنية:

احتلت بريطانيا مصر عام 1882م بعد هزيمة أحمد عرابي في معركة التل الكبير ، وأصبح للخديوي توفيق (1879-1892م) السلطة الشرعية بينما أصبح المعتمد البريطاني له السلطة الفعلية في مصر وأول معتمد بريطاني فيها إدوارد مالت (1882-1883م)، ثم السير أفلن بيرنج اللورد كرومر الذي أصبح الحاكم الفعلي لمصر (1883-1907م)، ثم الدون غورست (1907-1911م) الذي خلفه عند وفاته اللورد كتشنر (1911-1914م)، وأصبحت مصر تحت الحماية البريطانية المقنعة ، حيث أن بريطانيا لم تفرض الحماية آنذاك بشكل رسمي لأسباب دولية وداخلية[3].

اتسمت الحركة الوطنية المصرية بالتنوع بينما هو سياسي ودستوري، وتقاسمت هذه الحركة أيضا أحزاب سياسية والقصر والطبقات الاجتماعية، كما أن وسائلها اختلفت فمنها ما كان ثوريا ومنها ما

---

[1] طارق البشري، **سعد زغلول يفاوض الاستعمار دراسة في المفاوضات المصرية البريطانية (1920-1942م)**، دار الشروق، مصر، دت، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص.ص16-17.

[3] محمود زايد، **من أحمد عرابي إلى جمال عبد الناصر الحركة الوطنية المصرية الحديثة** ، الدار المتحدة، ط 1، بيروت، 1973، ص.ص16-18.

كان في شكل مظاهرات واعتصامات، كما أخذ شكل سياسي كالمفاوضات والتي أراد الساسة المصريون حل قضيتهم عن طريقها بعد أن فشلوا في حلها، وبالتالي أرادوا تنظيم العلاقة بين مصر وبريطانيا بشكل مقبول [1]، فكانت المفاوضات من أسس تشكيل الحياة السياسية المصرية حتى أنها كثيرا ما كانت سببا في حصول أزمات في الحياة البرلمانية، بل أدت إلى سقوط حكومات أخرى.

يشار إلى الحركة الوطنية المصرية بأنها حركة فكرية يقودها سياسيون مفكرون ينتمون إلى أعيان الريف والمدن الصغيرة وقد تأثر معظمهم بالحياة الأوروبية والحضارة الغربية[2]. وقد عبرت الحركة الوطنية المصرية عن وجودها من خلال حدثين، نمثل الأول في تأليف الحزب الوطني القديم 1879م وقد نص برنامجه على أن" الحزب الوطني حزب سياسي لا دين له فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر، ويتكلم بلغتها لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم أن الجميع إخوان وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية"، أما الحدث الثاني فقد تمثل في الثورة العُرابية سنة 1882م[3].

استمر انتكاس الحركة الوطنية حتى ظهور مصطفى كامل وحزب"الوفد". وامتازت الحركة الوطنية بعدم الاستقرار على مستوى الوزارات المتعاقبة، وعلى مستوى البرلمان، غير أن الوحدة الوطنية تعززت في هذه المرحلة من خلال حرص "سعد زغلول" على تمثيل الأقباط في حزب الوفد واشتراكهم في الثورة (1919م) من خلال الخُطب في أماكن العبادة لكليهما[4].

2. الأوضاع الثقافية:

اتسمت الحياة الفكرية في مصر بتوفر معطيات لم تكن متاحة لغيرها من البلاد العربية ناجم في الأساس على التواصل المبكر مع القارة الأروربية التي شهدت النهضة، ولعل أهم ما يمكن أن يعكس الأوضاع الثقافية في مصر هو التعليم والصحافة.

---

[1] عبد العظيم رمضان، **تطور الحركة الوطنية في مصر (1918–1936م)**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، مصر، 1998، ص57.

[2] مصطفى الفقي، مرجع سابق، ص51.

[3] عواطف عبد الرحمان، **مصر وفلسطين**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1979، ص43.

[4] محمود زايد، مرجع سابق، ص.ص16-18.

تظافرت جملة من العوامل والأحداث شكلت روافدا لتحقيق نهضة فكرية مصرية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأعطت ثمارها خلال القرن العشرين، مما أدى إلى تطور ملموس في الوعي القومي[1] اعتبارا لموقع مصر الجغرافي المركزي بين المشرق والمغرب من العالم الإسلامي وممرا لأوروبا فقد وصفها رشيد رضا: "...أهل مصر في موقع عرف كل الناس منزلته من الأرض وهو ممر أهل المشرق إلى المغرب وهو حقل أوروبا تتلاقى فيه سيارة الأمم فقلما توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد"[2].

إضافة إلى أن تأثير الحملة الفرنسية على مصر واضح حيث "يبقى للحملة أثر واضح في دنيا المعرفة والتقدم في مصر إذ استطاعت أن تحرك العقول وتعبئ النفوس وتشحذ الشعور ضد المحتل" [3]، إذ بدا واضحا الخلل في مستوى التطور بين مصر باعتبارها جزء من العالم الشرقي الإسلامي والغرب المسيحي، حيث اطلع المصريون على التفوق الغربي في المبادئ السياسية والأنظمة الإدارية والعلوم والآداب والفنون والطباعة والصحافة.

إن أهم ما يلاحظ أن التفاعل المصري مع الحضارة الغربية لم يكن آنيا [4]، بل تجلى بعد ذلك على يد مُحَمَّد علي باشا [5] (1805-1848م) حينما بدأت النخبة المصرية تعقد المقارنات بين واقعها وبين ما بلغته الحضارة الغربية. كما عملت الإرساليات العلمية المصرية إلى أوروبا وبخاصة فرنسا على

---

[1] سعد ثامر الحميدي، **الصراع بين القوميتين العربية والتركية وأثره في انهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين**، المطبعة العربية الأولى، الدوحة، 2011، ص150.

[2] رشيد رضا، **"طبيعة مصر وأهلها"**، المنار، مج 10، ج1، 14 مارس 1907، مصر، ص22.

[3] منذر معاليقي، **معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية**، دار إقرأ، د.ط، لبنان، 1986، ص53،

[4] مجدي فارح، **نقد أسطورة التنوير الكولنيالي بمصر في البدء كانت الممانعة** ، دار الأطلسية للنشر، ط 1، تونس، 2014، ص61.

[5] هو مُحَمَّد علي بن إبراهيم آغا بن علي، ولد في مدينة قوله بألبانيا عام 1769م، توفي والده وهو في الرابعة من عمره وحين بلغ أشده التحق بالجندية واشتغل بالتجارة وقد أمر الباب العالي بإرسال حملة عثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر بمساعدة بريطانيا فانتظم مُحَمَّد علي بالقوة التي اشتركت في معركة أبي قير البحرية في 01 أوت 1798م والتي كانت نتيجتها تدمير الأسطول الفرنسي. وأصبح قائد الكتيبة بعد وفاة قائدها أحمد ظاهر باشا ثم أختير واليا لمصر في جوان 1805م، توفي عام 1849م.ينظر: http://moqatil.com، تاريخ الإطلاع: 2019/11/13، الساعة: 17.00.

الانفتاح على الحضارة الغربية والعلوم الحديثة، وانتعشت بذلك الترجمة، و أنشأت المداس الحديثة على الطراز الأوروبي ، ويمثل رفاعة الطهطاوي [1] (1801-1873م) خير مثال من خلال إنتاجه العلمي، وقد رافق أول بعثة علمية مصرية لأوروبا، يُذكر أنه ترجم في التاريخ والميثولوجيا اليونانية وأخبار الأمم القديمة، ويُحسب له إنشاء دار الترجمة بمصر إلى جانب الشيخ علي مبارك [2] (1823-1893م) الذي يُحسب له إنشاء دار العلوم المصرية ودار الكتب المصرية[3].

أما الطباعة التي تُعد أحد أوجه النهضة بمصر كونها تعكس النشاط الفكري حيث أدت دورا هاما في نشر العديد من المؤلفات بمختلف الاختصاصات سواءً من العلوم الغربية عن طريق نشر الترجمات أو إحياء التراث العربي القديم، فكانت بذلك كنزا في أيدي الناشئة والمثقفين المصريين كما مكّنت من جهة أخرى الكُتاب والصحفيين من نشر أفكارهم العصرية أو إحيائهم للتصورات القديمة إلى جانب نشر ما كان دفيناً من مخطوطات[4].

واعتباراً لما توفر لمصر فإن الحياة الثقافية فيها عرفت انتعاشا وهو ما دفع بأعداد هائلة من أهل الشام إلى الهجرة من ديارهم صوب مصر بحثا عن فضاء أوسع من الحرية والنشر، وطلبا للعلم في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها.

---

[1] ولد الطهطاوي عام 1801م، انتقل إلى القاهرة وتخرج من الجامع الأزهر، انتهز فرصة تعيينه إماماً لأول بعثة تعليمية أرسلت إلى فرنسا فتعلم الفرنسية وعمل بعد عودته مترجماً في المدارس التي أنشأها مُحَمَّد علي الكبير ، له الكثير من المؤلفات والكتب المترجمة مثل: تخليص الأبريز في تلخيص باريز ، ومباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ، توفي عام 1873م. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، مكتبة الحياة، بيروت، 1974، ص287.

[2] علي مبارك (1823-1893م): ولد بقرية برنبال بمحافظة الدقهلية، تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم التحق بمدرسة الجهادية سنة 1835م، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أبي خضر، استفاد من السفر إلى فرنسا سنة 1849 في إطار البعثات الرسمية، عمل بعد عودته لمصر على إدارة ديوان المدارس، كما تقلد العديد من المناصب الحكومية العليا، وله العديد من المؤلفات مثل: علم الدين، الاستحكامات العسكرية، ويعود له الفضل في إنشاء دار العلوم. ينظر: www.winipedia.org، تاريخ الاطلاع: 2020/11/21، الساعة: 22.00.

[3] علي المحافظة ، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914م)**، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1987، ص24.

[4] عايدة حباطي، "**التيارات الفكرية في المشرق وصداها لدى النخبة العربية في الجزائر (1900-1939م)**"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018-2019، ص39.

أ. التعليم:

عند احتلال الإنجليز لمصر سنة 1882م كان الوضع التعليمي مقبولا حيث توجد نهضة تعليمية مشتركة بين الجهود الرسمية للحكومة والرغبة الشعبية ، إذ كانت المجانية هي السائدة مع الانتشار الواسع للغة العربية عدا كلية الحقوق بالرغم من أن ميزانيته لا تتجاوز 03% من الميزانية العامة[1]. ومع مطلع القرن العشرين شهدت مصر حركة تعليمية نشيطة حيث لعبت الكت اتيب دورا هاما في نشر تعاليم الإسلام والذي يتم فيها عبر ثلاث مراحل (الحفظ- الكتابة- الفقه).

عموما شهدت مصر خلال هذه الفترة نوعين من المدارس ، المدارس الدّينية القديمة وعلى رأسها الأزهر الشريف تدرس الدّين بالمنهج التقليدي، والنوع الآخر هي المدارس العصرية الأوروبية الطراز التي أسستها الإرساليات أو الحكومة المصرية.

وكان نموذج المدارس الدّينية القديمة الأزهر الشريف[2] الذي أدى دورا مهما في نشر التعليم في مصر من خلال تكوين أجيال من العلماء والمثقفين [3]، رغم ما وصف به من تقصير وجمود كون مناهجه تقتصر على العلوم النقلية. وهو ما جعله عُرضة لجملة من الانتقادات ، غير أن ما ورد من تجديد للفكر المصري ظهر أثره على التعليم حيث تم تحديث أساليب ومناهج التعليم ، فقد قام مُحَمَّد علي بجهود معتبرة لعصرنة التعليم فأسس عد ة مدارس و معاهد علمية من أهمها: مدرسة الطب ومدرسة الصيدلة، وكذلك مدرسة الهندسة والزراعة ومدرسة البيطرة، ويعتبر إنشاء هذه المدارس بمثابة القفزة في المجال التعليمي.

---

[1] مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر الحديث من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مرجع سابق، ص236.

[2] الجامع الأزهر: هو أهم مساجد مصر وأحد المعاقل التاريخية لنشر وتعليم الإسلام، كذلك هو واحد من أشهر المساجد الأثرية في مصر والعالم الإسلامي، يعود تاريخ بنائه إلى بداية عهد الدولة الفاطمية في مصر سنة 359هـ/970م، ينظر: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح، **الأزهر في ألف عام**، دار النهضة، القاهرة، ط3، 2012، ص42.

[3] شكل جامع الأزهر –تاريخيا- مصدر إشعاع وتنوير في العالمين العربي والإسلامي وكان الكتاب والشعراء والصحفيون المصريون هم رواد الحركة الأدبية والفكرية ، وكان المدرسون المصريون هم الذين يتولون تدريس نخب المستقبل في الوطن العربي وكانت الجامعات المصرية مقصد المفكرين العرب البارزين. ينظر: جولي سي هيريك وآخرون، **الشرق الأوسط المتغير**، تر: مُحَمَّد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011، ص71.

ويجدر بنا الذكر هنا أن إنشاء أول جامعة سنة 1908م كان له الأثر الواضح والكبير في تحريك عجلة الفكر المصري، فقد شهدت إقبالا متزايدا للطلبة فبعد أن كان عدد المنتسبين إليها 107 عند افتتاحها فقد بلغ سنة 1932م حوالي 2371، كما ارتفع إلى 6781 طالبا سنة 1936م توزعوا على مختلف الكليات[1].

ففي الوقت الذي عملت فيه المدارس التقليدية على الحفاظ على الهوية الدّينية الإسلامية لمصر من خلال برامجها، عملت فيه مدارس الإرساليات على تكريس نهج الأساتذة الأجانب لج ذب الطلاب، أما المدارس الحكومية (الرسمية) فقد كانت مجرد تقليد للمدارس الأجنبية[2].

ب. الصحافة:

شهدت مصر حركة صحفية واسعة أدت إلى تنوير الفكر والوعي الثقافي والسياسي فيها نعرض أهمها فيما يلي:

- **البدايات الأولى:** منذ الحملة الفرنسية على مصر في عام 1798م، فقد ظهرت أول صحيفتين في مصر عقب الحملة الفرنسية ولكنهما كانتا بعيدتين عن حس المصريين ولغتهم ، فالصحيفة الأولى (Le Courrier d'Egypte)، أي بريد مصر، صدرت في 29 أوت 1798م، والصحيفة الثانية (Le Décade Egyptienne) وصدرت في 07 جوان 1799م، وهدفتا إلى التأثير في نفوس المصريين بما تذيعه قوات الاحتلال من منشورات[3].

[1] رؤوف عباس حامد، **تاريخ جامعة القاهرة**، مطبوعات الجامعة، القاهرة، 2000، ص82.

[2] ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م)**، تر: كريم عزقول، دار نوفل، بيروت، 1983، ص146.

[3] إبراهيم عبده، **تاريخ الوقائع المصرية (1828–1942م)**، مطبعة التوكل، ط2، القاهرة، 1983، ص35.

- **الصحف الرسمية:**

-صحيفة الوقائع: بعد جلاء الحملة الفرنسية على مصر وتولي مُحَمَّد علي باشا الحكم سنة 1805م عمل على إصدار صحيفة "الوقائع المصرية" [1]، والتي تُعد الصحيفة الرسمية، تُوزع على جميع موظفي الحكومة ثم هيأ لها خطة الانتشار على نهج يحقق آماله فيها ورجاءه منها، فأمر بتوزيعها على كبار رجال دولته وزوجاتهم والعلماء ثم طلاب العلم الذين كانت لهم عنده مكانة معتبرة، وكان هدفه من إنشاء هذه الصحيفة هو إطلاع الشعب فيها على إصلاحاته وانجازاته والقضايا المالية المختلفة، وأمر بأن يشترك فيها الموظفون كما ألزمهم بقراءتها[2].

وفي عهد الخديوي إسماعيل [3] انتشرت الصحافة في مصر انتشاراً واسعاً فظهرت الصحف والمجلات العلمية والأدبية والسياسية وبتوجيه من الخديوي إسماعيل، ومنها:

-صحيفة وادي النيل: أصدر عبد الله أبو السعود [4] صحيفة وادي النيل عام 1866م للدفاع عن سياسة القصر.

---

[1] عدنان حسين رشيد الشيخلي، "**الفكر القومي العربي في مصر (1882–1922)**"، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، بغداد، 1980، ص.ص42-43.

[2] إبراهيم عبده، **أعلام الصحافة العربية**، مكتبة الآداب للنشر المطبعة النموذجية للطباعة، ط2، العراق، 1984، ص.ص12-13.

[3] إسماعيل بن إبراهيم باشا بن مُحَمَّد علي باشا: ولد في القاهرة عام 1830م، كان حفيد مُحَمَّد علي باشا، عاد إلى مصر بعد حصوله على التعليم في باريس، كلفه عمه سعيد باشا في مهمات عدة، وبعد وفاة عمه الأكبر سعيد باشا في 1863م حصل على السلطة دون معارضة، وفي 1866م حصل على لقب خديوي من السلطان العثماني بموجب فرمان مقابل زيادة في الجزية وكان يمر بضائقة مالية متصلة ففكر في رهن أسهم مصر في قناة السويس إلى دزريلي (Disraeli) رئيس وزراء بريطانيا الذي قام بشراء أسهم قناة السويس في عام 1875، خلعته بريطانيا عن العرش في 1879م، وتوفي في 1895م في قصره باسطم بول. ينظر: http://www.maktabatalfeker.com/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/22، الساعة: 16.00

[4] ولد في مصر عام 1806 وهو شاعر يصوغ القوافي وناثر يجيد البيان، كان مترجماً باهراً ولم تستغن عنه صحيفة من صحف الخديوي إسماعيل الرسمية أصدر صحيفة وادي النيل وهي صحيفة علمية سياسية تصدر مرتين في الأسبوع استمرت هذه الصحيفة اثنتي عشرة سنة ثم تعطلت بوفاته عام 1878م. للمزيد حول عبد الله أبو السعود ينظر: عبد اللطيف حمزة، **قصة الصحافة العربية في مصر**، مطبعة المعارف، بغداد، 1967، ص100.

-مجلة نزهة الأفكار: أنشأ إبراهيم المويلحي ومُحَمَّد بك وعثمان جلال عام 1869م مجلة "نزهة الأفكار"، وقد حملت عنواناً لها على أنها حرة وطنية حيث أدت دوراً مهماً في توجيه الرأي العام وأصدر الخديوي إسماعيل أمراً بإلغائها[1].

-مجلة روضة المدارس: في عام 1870م صدرت مجلة روضة المدارس التي أنشاها وزير المعارف علي باشا مبارك وكانت مجلة حكومية تتولى وزارة المعارف إصدارها والإنفاق عليها[2].

- **الصحف الوطنية:**

-صحيفة مصر : أخذ جمال الدّين الأفغاني يُشجع الشباب على إصدار الصحف ، فأنشأ أديب إسحاق صحيفة "مصر" التي كان جمال الدّين يكتب مقالاته فيها باسم مستعار.

-صحيفة أبو النظارة: شجع يعقوب صنوع على إنشاء مجلة هزلية أسماها "أبو النظارة" التي تُكتب بأسلوب عامي (فكاهة ساخرة)، وانتقدت التدخل الأجنبي والامتيازات التي يتمتع بها الأجانب [3]، والحكم المطلق الذي كان سائداً في البلاد ، واستطاعت هذه الصحيفة من خلال مقالاتها ومحاوراتها الشعبية الساخرة أن تؤدي دوراً مهماً في الحياة السياسية في مصر.[4]

-صحيفة الأهرام: أسسها صحفيان لبنانيان عام 1876م في الإسكندرية، وكانت إحداهما باللغة العربية يصدرها "بشارة" والثانية بالفرنسية باسم "بيراميد" (Pyramides) لسليم تقلا، وقد طلب الإذن بإصدارها من نظارة الخارجية متعهداً باقتصارها على البرقيات التجارية والعلمية وبعض القصائد، فاشترطت عليه النظارة ألا يخوض في السياسة ولكنها أخذت تتطرق بين الحين والآخر

---

[1] سامي عزيز، مرجع سابق، ص.ص14-15.

[2] مُحَمَّد عبد الله عثمان، **الصحافة في عصر إسماعيل** ، مجلة الكاتب العربي ، مج5، ع184، القاهرة، مارس 1974، ص.ص256-258.

[3] أحمد عبد الرحيم مصطفى، **الثورة العُرابية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961، ص43.

[4] أحمد عبد الرحيم مصطفى، **مصر والمسألة المصرية من 1876م إلى 1882م**، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص87.

لمواضيع سياسية، مما استوجب إنذارها تكرارا من جانب الحكومة المصرية، وقد تميزت بالمرونة التي تحلت بها سياسة الصحيفة على الدوام والحس الصحفي الدقيق وعنايتها بالبرقيات الخارجية[1].

-العروة الوثقى: قد أصدر جمال الدّين الأفغاني ومُحَمَّد عبده [2] في باريس صحيفة العروة الوثقى في 1884م وتعد هذه الصحيفة في طليعة الصحافة الإسلامية التي دعت إلى يقظة المسلمين ووحدتهم وعزتهم واستقلالهم، لتحمل أفكارهم إلى المسلمين كافة، ولاسيما بعد أن رأى جمال الدّين الأفغاني ومُحَمَّد عبده ما أصاب مصر من جراء الاحتلال البريطاني. واستمرت ثمانية أشهر تقريباً حتى توقفت بعد صدور العدد الثامن عشر [3]، والصحيفة رغم قلة أعدادها كان لها الأثر الكبير في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية في كل من مصر والعراق والشام والجزيرة العربية وإيران والهند وأفغانستان، وكان هدفها السعي لتوحيد الشرق الإسلامي وتأسيس حكومة إسلامية قوية على قاعدة الخلافة الراشدة[4].

تركزت سياسة الصحيفة على تهييج الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني و حثت على الدولة العثمانية إخراج الاحتلال البريطاني بالسياسة والقوة كما كانت تسعى إلى إقناع فرنسا لمساعدة مصر، وكان جمال الدّين الافغاني ومُحَمَّد عبده يأملان أن يتمكنا من الذهاب خفية إلى السودان لتنظيم قوة المهدي لإنقاذ مصر من الاحتلال البريطاني، وتأسيس دولة قوية يعتز بها الاسلام والشرق[5].

---

[1] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص104.

[2] ولد مُحَمَّد عبده بن حسن خير الله عام 1849م في قرية حصه شبشير بمركز طنطا في محافظة الغربية في مصر ، التحق بالجامع الأزهر وفي عام 1877م حصل على الشهادة العالمية. وفي عام 1879م عمل مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وفي عام 1882م اشترك في ثورة احمد عرابي ضد البريطانيين وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم النفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وفي عام 1900م أسس جمعية احياء العلوم العربية لنشر المخطوطات أصدر العديد من الفتاوي في الوقف والميراث وعن مشاكل الأسرة وقضاياها وعن القتل والقصاص توفي بعد معاناته من مرض السرطان عن عمر سبع وخمسين سنة في 1905م. للمزيد من التفاصيل ينظر: عثمان أمين، **رائد الفكر المصري الأمام مُحَمَّد عبده**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية للطبع، القاهرة، 1996، ص.ص25-38.

[3] مُحَمَّد العزب موسى، **وحدة تاريخ مصر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ص223.

[4] Jhon Marlow, **Cromer in Egypt**, Elek Books, London, 1970, P20.

[5] عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص30.

-صحيفة الفلاح: أصدر السياسي المصري سليم حمودي صحيفة يومية سياسية أدبية عام 1886م بالقاهرة أسماها (الفلاح) بعد أن غادر الإسكندرية وانتقل إلى العاصمة[1].

-صحيفة المؤيد: أصدرها الشيخ علي يوسف[2] سنة 1889م مثلت صوت الوطنيين بعد الاحتلال البريطاني لمصر، وكان هدفها بث الأفكار المفيدة والأخبار الصادقة والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير والترويج كما تداولت أخبار التجارة الداخلية والخارجية المصرية، وقد أقبل كبار الكُتاب والعلماء والأدباء على دعم تلك الصحيفة من خلال نشر مقالاتهم الوطنية فيها، وأصبحت صحيفة المؤيد مجالا للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية [3]، وهي من الصحف الوطنية المهمة التي صدرت في القاهرة خلال المدة من 1889م إلى 1913م.

-صحيفة الأستاذ: بلغت أعدادها 42 عددا، تنوعت مواضيعها من هزلية وفكاهية ساخرة إلى مواضيع تعج بالوطنية المصرية ، أصدرها عبد الفتاح النديم شقيق عبد الله النديم تتصف بأنها مجلة علمية تهذيبية لا تتعرض للأمور السياسية الداخلية والخارجية، صدر العدد الأول منها يوم 23 أوت 1892م وكانت تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، فأصبحت تناصر الوطنيين ضد سلطات الاحتلال ، شنت الصحيفة حملة قوية ضد التدخل الأوربي في شؤون العرب ودعت إلى الوحدة

---

[1] عبد العليم القباني، **نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية (1873–1882م)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب والطباعة، الإسكندرية، 1973، ص11.

[2] ولد علي يوسف عام 1863م في بلصفورة مديرية سوهاج بمصر، وتلقى تعليمه في الأزهر وعمل في الصحافة حيث أصدر صحيفة الآداب عام 1885م ثم صحيفة المؤيد عام 1889م على إثر صدور المقطم التي كانت خطتها احتلالية، فأحس الأدباء المصريين بحاجتهم إلى جريدة تمهد السبيل لانقاذ مصر من الاحتلال فأصدرت صحيفة المؤيد بالتعاون بين أحمد ماضي وعلي يوسف ثم استقل بها علي يوسف الذي كان القلم النابض للجمهور ويعرف ميوله واتجاهاته وعرف بأسلوبه النقي البليغ المرن وذكاءه الخارق عمل علي يوسف في الصحافة 23 عاماً ثم ترك الصحافة وودع المؤيد والصحافة بكلمة مؤثرة توفي سنة 1913م. ينظر: أنور الجندي ، **الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية** ، مطبعة الرسالة، مصر، 1962، ص.ص166–167.

[3] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص84.

الشرقية والإسلامية في وجه الاستعمار، وهدفت إلى تماسك الشعب والمحافظة على دينه وثقافته ولغته[1].

كانت أهداف صحيفة الأستاذ الدعوة إلى الإصلاح السياسي المتمثل في إقامة نظام ديموقراطي يقوم على الشورى والانتخابات الحرة والعدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص بين المواطنين وتوفير الحياة الكريمة ولاسيما للفقراء والفلاحين ومقاومة النفوذ الأجنبي وتوحيد العالم الإسلامي[2].

-صحيفة اللواء: أصدر مصطفى كامل جريدة اللواء وقد ترأس هيئة تحريرها وصار يكتب ليس فقط ضد السياسية البريطانية في مصر وإنما ضد سياسة الدول الامبريالية بصورة عامة ، ومن خلال مواقفه تلك بدأ الخديوي عباس حلمي الثاني يقترب من مصطفى كامل ويدعمه في نشاطاته الوطنية ضد الاحتلال وحاول التقرب من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ليكون سنداً لهما في الخارج لأنهما بحاجة ماسة له[3]، صدر العدد الأول من صحيفة اللواء سنة 1900م وكانت تصدر يومياً وفي جميع أيام الأسبوع[4]،

وأصبحت بمثابة مدرسة علمت المصريين حقوقهم وواجباتهم وبصرتهم بحقائق بلادهم ومساوئ الاحتلال وحثهم على الجهاد في سبيل الاستقلال واهتمت أيضاً بالمسائل الاقتصادية والأدبية والعلمية [5]، حيث دعا مصطفى كامل في صحيفته إلى جلاء البريطانيين عن البلاد ووضع حد لاحتلالهم الأرض المصرية والتزم الدفاع عن الوطن، وطالب بكل حماسة للأخذ بمستلزمات العلم وركز

[1] مجلة الأستاذ، مطبعة المحروسة، مصر، ابتداء من العدد الأول 24 أوت 1892م وحتى العدد 42 بتاريخ 13 جوان 1893م.

[2] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص88.

[3] فلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، تر: عفيفة البستاني، دار الفارابي، ط8، بيروت، 1958، ص.ص 268–269.

[4] ومن أبرز الذين كتبوا في تلك الصحيفة مُحَمَّد فريد، أحمد شوقي، إسماعيل باشا صبري، خليل مطران، مصطفى بك نجيب، فضلاً عن العديد من الشخصيات المهمة الأخرى.

[5] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص89.

على الحرية والتقدم والصناعة الوطنية وأكد على أن القوة الوحيدة التي تحرر مصر هو الشعب في مصر[1].

إن نجاح صحيفة اللواء زاد من تشجيع مصطفى كامل على إصدار صحيفتين يوميتين إحداهما باللغة الفرنسية والأخرى باللغة الانكليزية هي "ليتندار إجبشيان" (Letendard Egyptian) وتبعتها صحيفة "إجبشيان ستاندرد" (The Egyptian standard) بمعنى اللواء وكانتا تكتبان مواد صحيفة اللواء نفسها مع بعض التغيير الذي يتناسب مع قرائها الأجانب، وكانت أهدافها أهداف الجريدة الأم نفسها(النسخة العربية) في الدفاع عن حقوق مصر والمصريين وتقوية الروابط بينهما وبين الأجانب الموجودين في البلاد[2].

-صحيفة العلم: ظهرت بدلاً عن صحيفة اللواء على إثر خلاف على ملكية اللواء بين بعض ورثة مصطفى كامل، وطرح الأمر على القضاء فعيّن يوسف المويلحي حارساً قضائياً على صحيفة اللواء وأراد أن يتدخل في تحريرها فرفض مُحَمَّد فريد ذلك التدخل وأنشا صحيفة العلم ، بدأ صدورها يوم 07 مارس 1910م فأقبل عليها الرأي العام إقبالا كبيرا وحلت محل صحيفة اللواء في المكانة السياسية[3].

-صحيفة الجريدة: كان من رأي أحمد لطفي السيد[4] وجماعته أن تنشأ صحيفة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن تتأثر بالدولة العثمانية ولا بالسلطة الشرعية (الخديو ي) ولا بالسلطة الفعلية

---

[1] المرجع نفسه، ص91.

[2] جاكوب لاندو، **الحياة النيابية والاحزاب في مصر 1866م إلى 1952م**، تر وتع: سامي الليثي، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص.ص112-113.

[3] ينظر: الملحق رقم (01).

[4] أحمد لطفي السيد (1872-1963): ولد في قرية برقين بمصر وهو من رواد الفكر المصري المعاصر حصل على ليسانس الحقوق عام 1894م وانخرط في سلك القضاء، شارك مع مصطفى كامل في الكفاح الوطني سافر إلى سويسرا للحصول على جنسيتها بتكليف من الخديوي عباس حلمي لكي يتولى الدعوة للقضية المصرية هناك إلا أنه أخفق في مهمته وعاد إلى مصر عام 1900م، عمل وكيل للنيابة بالفيوم ثم انتقل إلى ميت غمر ومنها إلى الميناء حتى استقال من وظيفته عام 1905م لخلاف بينه وبين النائب العمومي كوريت بك حول ، تكييف بعض الوقائع، وتقلد منصب رئيساً لمجمع اللغة العربية في عام 1945م، وظل محتفظا بمنصبه هذا رغم تعيينه وزيراً للخارجية في وزارة إسماعيل صدقي عام 1946م وتوفي عام 1963م. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسين فوزي النجار، **أحمد لطفي السيد سلسلة الأعلام** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة، القاهرة، 1975، ص.ص17-30.

(الاحتلال)، فظهرت صحيفة الجريدة في عددها الأول في 1907م وانتخب أحمد لطفي السيد رئيساً لتحريرها[1].

يعتبر ظهور الصحافة المصرية خلال هذه الفترة من أهم مظاهر التعبير عما يدور في نفوس المصريين ضد سيطرة الاحتلال البريطاني، حيث أصبحت الصحف بمثابة المنبر الموجه وبذلك أدت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية في مصر [2]، على الرغم من أن البريطانيين قد وجهوا اهتمامهم في محاولة لتحجيم الدور الكبير للصحافة المصرية التي تُعد من أقوى الوسائل تأثيراً وفائدة في تلك المرحلة، وأنها تستطيع القيام بإطلاع الشعب على سير الأحداث وعلى ما تقوم به الحكومة من أعمال، إلا أن النخبة المصريةِ وعلى خطورة المرحلة أصدرت العديد من الصحف الوطنية.

3. الأوضاع الاجتماعية:

نشير في البداية إلى أن عملنا في هذا العنصر سيقتصر على عرض بنية المجتمع المصري دون التطرق إلى الأوضاع الصحية وغيرها مما له علاقة بالأوضاع الاجتماعية، ذلك أن اعتقادنا في أن بنية المجتمع لها علاقة بتطور الفكر القُطري ومدى تبني فئة دون غيرها للتوجه القُطري المصري، وقد عرضنا مكونات المجتمع المصري الذي بلغ تعداد أفراده سنة 1848م ما يقارب 4476440 نسمة[3]، الذي كان متماسكا إلى حد ما عند نهاية القرن التاسع عشر، وانقسامه بعد ذلك واضحا من ناحية القيادة فكانت السلطة السياسية والعسكرية تتركز في أيدي النخبة من الشراكسة والأتراك، أما السلطة القضائية والدينية من نصيب المصريين، وهو "ما كان بمثابة العنصر الرئيسي والجوهري في استمرار الصبغة المصرية" [4] والتي مثلت لاحقا أحد عوامل تجذر تيار القُطرية المصرية، وقد تكَون المجتمع مما يلي:

---

[1] عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص37.

[2] عدنان حسين رشيد الشيخلي، مرجع سابق، ص42.

[3] سمير عمر إبراهيم، **الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، ص16.

[4] ماسيمو كامبانيني، **تاريخ مصر الحديث من النهضة في القرن التاسع عشر إلى مبارك** ، تر: عماد البغدادي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2006، ص19.

أ. العرب:

شهدت مصر الهجرة العربية قبل انتشار الإسلام [1]، وزاد انتشار تواجد العرب فيها بعد الفتوحات الإسلامية، وتشير إحصاءات الاحتلال البريطاني مع بداية القرن العشرين إلى وجود العرب بالمناطق الريفية والحضارية المصرية، كما أن القبائل العربية تركت بعض الأثر في تكوين مصر الاجتماعي، غير أن رابطة الإسلام كانت تُلغي الحاجز الجنسي أو العنصري[2].

مثّل السوريون جزءً كبيرا من العرب القادمين إلى مصر، فمنذ زمن طويل تواجدو بمصر وكانت تدعوهم إليها مجموعة من الروابط، ولقد عالجو فيها التجارة فلم يلبثو أن أحرزوا منها الثروة الواسعة، وتوالى في ذلك أجيال لاحقة على نفس النهج، وكان السوريون في معظمهم على المذهب الكاثوليكي إذ يقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف شخص بالقاهرة، كما اشتغلوا بمناصب الحساب والضرائب والترجمة[3].

وبالرغم من كون مصر قادرة على مر الزمن أن تفرض شخصيتها على العناصر الوافدة إليها على اعتبار أن مصر لم تكن مقبرة للغزاة، لا يعني هذا أن تلك القبائل فقدت بداوتها بسرعة، بل إن عملية اندماج هذه العناصر الوافدة وصهرها في جسم المجتمع المصري مرت بأطوار متعددة واستغرقت فترات متعددة[4].

ب.الأقباط (مسيحيو مصر):

ظهرت المسيحية بمصر وسط كم هائل من العبادات الوثنية وعبادة الأباطرة وتعدد الآلهة المحلية والوافدة، ووسط هذا التمازج نبتت المسيحية وتهافت المصريون على اعتناق المسيحية[5]، ولم يتخلو عن

---

[1] جمال حمدان، **شخصيات مصر المعاصرة (دراسة في عبقرية المكان)**، ج2، دار الهلال، مصر، دت، ص298.

[2] إيمان مُحَّد عبد المنعم، **العُربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1997، ص42.

[3] سمير عمر إبراهيم، مرجع سابق، ص51.

[4] إيمان مُحَّد عبد المنعم، مرجع سابق، ص43.

[5] أحمد منصور، لؤي محمود، **الأقباط في المجتمع المصري قبل وبعد الفتح الإسلامي، دراسات آثرية – تاريخية تطبيقية**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2015، ص07.

ديانتهم حتى بعد الفتح الإسلامي، وتنامى عدد المسيحيين في مصر بعد أن هاجر إليها العرب المسيحيون من المشرق وكذا الأوروبيون المسيحيون، عاش الأقباط حياة عادية جنبا إلى جنب مع المسلمين مع منحهم بعض الحقوق كالنظر والفصل في الأحوال الشخصية الخاصة بهم، كما تُرك لرجال الدين من الأقباط الحرية في تطبيق قوانينهم وشرائعهم[1].

وعلى الرغم من كل هذه العوامل المميزة لوضع الأقباط كنسيج متداخل وجزء أساسي من مصر، إلا أنه لابد من الإقرار بأنه قد مر على مصر بعض فترات التوتر بينهم وبين المسلمين، وقد أثرت فترات التوتر باعتبارهم أقلية مما جعلهم ينزوون عن المجال السياسي، وهو ما أكسبهم أوضاع خاصة في المجتمع، حيث اهتموا بالحرف اليديوية والصناعة، ومع حلول البريطانيين بمصر احتكر الأقباط النواحي المالية واشتغلوا بمناصب حكومية[2].

وجدير بالذكر أن الحركة الوطنية المصرية ذات توجه قومي ليبرالي علماني في أغلبها، إلا أنها شملت تيارات قومية عكست ايديولوجية لفئات أخرى كالأقباط الذي مثلوا تياراً دينيا لمواجهة التيارات الأخرى التي تتجاوز فكرها القومي، فإن الأقباط حملوا نزعة تؤكد على وجود متميز للقبط[3].

ج. الأتراك:

يعود تواجد الأتراك بمصر إلى فترات سابقة، غير أنه زاد مع انضمام مصر رسميا تحت سلطة الدولة العثمانية سنة 1517م، ومن ثمة أخذ تعدادهم في تزايد وكان تواجدهم متعدد الأغراض، كالبحث عن حياة أفضل أو الالتحاق بالجيش أو القيام بمهمة إدارية، وهو ما مكن لهم من بسط السيطرة على المناصب الإدارية العليا، كما كان غرض بعض الأتراك طلب العلم في الأزهر الشريف[4].

مما يلاحظ أن للأتراك بمصر نفوذ كبير نجم عن الوظائف السامية التي تقلدوها، وكذا الثروة المترتبة عن ملكية العقارات مع تمتعهم بأعلى الرتب العسكرية، وقد استعان بهم مُحَمَّد علي باشا في

---

[1] أحمد منصور، لؤي محمود، مرجع سابق، ص215.

[2] سميرة بحر، **الأقباط في الحياة السياسية المصرية**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1979، ص19.

[3] أبو سيف يوسف، **الأقباط والقومية العربية (دراسة استطلاعية)** ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 2011، ص116.

[4] سمير عمر إبراهيم، مرجع سابق، ص39.

تسيير شؤون الإدارة، والأتراك في مصر ينقسمون إلى عديد الفرق، كالأتراك العثمانيون والأتراك الأحرار الأوروبيون[1].

ولعل أن ما أتاح اندماج الأتراك مع المصريين هو صدور قانون المواطنة الأول سنة 1899م الذي نص على "يتمتع بحق المواطنة المصرية كل من توطن القُطر المصري قبل أول جانفي 1848م وحافظ على محل إقامته فيه والأبناء المولودين لأبوين من الرعايا العثمانيين المقيمين في مصر، وأفراد الرعايا العثمانيين المولودين في مصر ويقيمون فيها والعثمانيين المستوطنين مصر منذ أكثر من خمسة عشرة سنة" [2]، ما يلاحظ أن الأتراك في المجتمع المصري لهم مكانة كبيرة نظرا للأسباب السالف ذكرها.

د. الأوربيون:

يرجع وجود الجاليات الأوروبية بمصر إلى ما قبل العصور الوسطى وبداية الفتح الإسلامي، فعندما فتح العرب مصر وُجدت جالية بيزنطية من كبار موظفي الدولة ورجال الحامية والتجار [3]، ثم ازداد ذلك بكثرة عقب الحملة الفرنسية على مصر 1798م، وتنوع هذا التواجد بين الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين واليونانيين، حيث قدرت أعدادهم في أواخر القرن التاسع عشر بنحو 4184 فرد أوروبي متواجد بمصر، وسجلت لهم السيطرة على الحركة التجارية المصرية، إذ امتلكوا الفنادق الضخمة والمحلات الكبيرة وشغلوا مناصب عليا في الإدارات الرسمية [4]، وقد تمتعوا بامتيازات لم تُتح لغيرهم في مصر، حيث كان من بين النظم السائدة في الدولة العثمانية نظم خاصة بالأجانب من رعايا الدول

---

[1] المرجع نفسه، ص49.

[2] سامية جلال، **مصر في كتابات الرحالة الأتراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر** ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2014، ص13.

[3] صلاح أحمد هريدي علي، **الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني، دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية (1517–1798م)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص15.

[4] سامية جلال، مرجع سابق، ص127.

الأوروربية، وعلى وجه الخصوص التُجار الأجانب [1]، فقد وضعت الدولة العثمانية نظاما خاصا بهم يُعرف باسم الامتيازات[2].

ظل التواجد الأوروبي في ازدياد بمصر وذلك رغبة في العمل بالدوائر الحكومية أو التطلع إلى تحقيق مشاريع اقتصادية ومالية، حيث عمل استتباب الأمن في القُطر المصري على تشجيع عدد كبير من الأوروبيين على القدوم إلى مصر للتجارة[3]، كما عملوا على توظيف رؤوس أموالهم في مصر والعمل بالمدارس والمصانع والجيش والبحرية...، وظل عددهم في ارتفاع خاصة بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر، والجدول التالي يوضح ذلك:[4]

الجنسية	العدد	الجنسية	العدد
يونانية	56731	بلغارية	246
إيطالية	40198	بلجيكية	518
بريطانية	34354	أمريكية	514
فرنسية	21270	دانماركية	157
باقي الجنسيات الأوروبية		182144	

الوحدة: بالنسمة.

جدول يوضح أعداد الأوروبيين بمصر بعد الاحتلال الإنجليزي.

[1] صلاح أحمد هريدي علي، مرجع سابق، ص24.

[2] الامتيازات: هي عبارة عن حريات وتنازلات وعقارات وضمانات وتسهيلات وحقوق منحها السلاطين العثمانيون وولاتهم إلى الملوك، الأمراء، القياصرة والتجار الأوربيين بمحض إرادتهم زمن قوتهم وتفوقهم، وفرضت عليهم عند تدهور أحوالهم وتوالي هزائمهم العسكرية. تحصل الأجانب الأوربيين على الامتيازات بمقتضى اتفاقيات مع الحكام العثمانية ومعاهدات تالية للحروب، يصدرون فيها (الفرمان) أي العقود أو الاتفاقيات من دون مقابل . ينظر: علي مُحَّد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، شركة الأمل للتجهيزات الفنية، ليبيا، 2001، ص203.

[3] محمود مُحَّد سليمان، **الأجانب في مصر (1922–1952م)، دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1996، ص58.

[4] محمود مُحَّد سليمان، مرجع سابق، ص59.

وبقراءة لمعطيات الجدول يمكننا أن نشير إلى ارتفاع عدد أفراد الجاليات الإيطالية واليونانية والفرنسية والبريطانية بالمقارنة مع باقي الجنسيات الأوروبية، ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل، حيث "امتاز القُطر المصري بتوفير أسباب الراحة والرفاهية، وتأمين المعيشة، ومع ذلك ظهر خطر الأجانب بتهديدهم للأمن العام وادعائهم على الوطنيين، شجعهم في ذلك نظام الامتيازات الذي منحهم الحماية"[1].

هـ. اليهود:

شهدت الطائفة اليهودية في مصر خلال القرن التاسع عشر ومنذ تولي مُحَمَّد علي حكم البلاد تطورا وازدهارا، فقد تمتعت برعاية الحكومة، كما شجع التسامح الديني الذي اشتهر به مُحَمَّد علي واهتمامه ببناء مصر الحديثة على قدوم الأجانب إلى البلاد بأعداد كبيرة، فقد حاول تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي في هذا الوقت على أساس تصنيع البلاد، مما دفعه إلى الاستعانة بالأجانب لتسويق منتجاته في أوروبا[2]، وكان كثير من هؤلاء اليهود مما أدى إلى اتساع حجم الطائفة وزيادة عددها، وقد سار خلفاء مُحَمَّد علي على السياسة نفسها، ففتحوا أبواب مصر أمام الأجانب للمساهمة في تحقيق التقدم في البلاد والسير بها في طريق الحضارة [3]، مما سمح لهم بامتلاك الأرض وباستثمار رأس المال في مصر، وكان معظم المستثمرين من اليهود الأجانب.

وبعد الاحتلال البريطاني فتحت البلاد أمام الأجانب، فكان من نتيجة ذلك أن كثر وفود اليهود على مصر حتى تراوح عددهم بداية القرن العشرين حوالي 65639 نسمة، كان حوالي ثلاثين ألف منهم يحملون جوازات سفر أجنبية (إيطالية أو فرنسية أو يونانية أو فارسية أو بريطانية)، ونحو خمسة آلاف حاصلين على الجنسية المصرية، أما الباقي فلا جنسية لهم، وكان السبب في حصول الكثيرين منهم على جنسية أجنبية هو فوائد نظام الامتيازات الذي لم يكن يكفل لهم فقط حماية

---

[1] المرجع نفسه، ص69.

[2] ابراهيم مُحَمَّد الجميعي، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر الحديث**، مطبعة الجبلاوى، مصر،1996، ص116.

[3] سهام نصار، **اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (1877–1950م)**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص12.

القناصل الأجانب، بل كان يعفيهم أيضا من الخضوع للمحاكم المصرية، ويمنحهم الحق في عرض قضاياهم على المحاكم المختلفة[1].

كفل النظام المالي المحافظة بعض الشيء على حياتهم ومركزهم الاجتماعي، فقد جعل هذا النظام لكل طائفة مجلسها المالي المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والإرث وفقا للتقاليد الدينية لكل طائفة، وفي مصر كان اليهود ينقسمون إلى طائفتين، طائفة اليهود القرائيين وكان عددهم محدودا جدا، وطائفة اليهود الحاخاميين أو الربانيين، وكانت تضم أغلبية اليهود في مصر وتمتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة[2].

أما من الناحية الاجتماعية فيمكننا تقسيم اليهود بمصر إلى ثلاث طبقات، الطبقة الأولى وتضم عددا من الأسر الغنية المعروفة بثرائها ومركزها في المجتمع، وعلاقاتها الشخصية بأهل البلاد من القطاعيين وذوي نفوذ وسياسيين، أما الطبقة الثانية تأتي تحت الطبقة الأولى المترفعة، حيث نجد عددا لا بأس به من رجال الأعمال الأغنياء في تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة وأصحاب المحلات التجارية المتخصصة، وكانت لهاتين الطبقتين حياتهما الاجتماعية والثقافية المنفصلة عن أهل البلاد الأصليين، أما الطبقة الثالثة فكانت تشمل اليهود الفقراء باعة جائلين أو حرفيين صغار، وكانوا يعيشون في حالة جهل، وأكثرهم يعود أصله إلى اليهود الذين قدموا مصر من فلسطين قبل الميلاد بألف وستمائة عام، وكانت أغلبيتهم تسكن حارة اليهود، ويتحدثون العربية، وأدى اختلاطهم مع جيرانهم إلى أن اقتبسوا عاداتهم، وأعطوا أبناءهم أسماء عربية[3].

ومما لاشك فيه أن الاحتلال البريطاني قد هيأ ليهود مصر ظروفا أنسب للتوسع والازدهار المالي والاقتصادي، فالاحتلال الأوروبي – بصفة عامة – ارتكز في محاولته لتوسيع مساحة نفوذه في العالم العربي الإسلامي على فرض الحماية على أعضاء الأقليات، ومنحهم حقوقا وامتيازات لم تكن متاحة لأعضاء الأغلبية، وقد لعبت المؤسسات اليهودية دورا أساسيا في ربط الأقلية اليهودية بالقوة الأوروبية

---

[1] المرجع نفسه، ص13.

[2] سليمان ناجي، **اليهود عبر التاريخ**، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص128.

[3] سهام نصار، مرجع سابق، ص14.

الحامية، وهكذا في ظل الاحتلال البريطاني ازدهرت الطائفة اليهودية في مصر وتألقت، بل إن كثيرا من أفراد الطبقة الفقيرة التي كانت تقطن دروب وأزقة حارة اليهود تحسنت أحوالهم إلى الأفضل نسبيا[1].

وإجمالا فإن بِنيات المجتمع المصري المشار إليها مثلت –وعلى اختلافها– الصورة الواقعية لمصر خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين، حيث مصر "بلد لا يسكنه مصريون خلصاء وإنما هناك مجمع كبير من السلالات المختلفة والمتميزة، فحتى القبطي نفسه لا ينحدر من سلالة المصريين القدماء"[2].

[1] عرفة عبده علي، **ملف اليهود في مصر الحديثة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص.ص12، 13.

[2] أبو سيف يوسف، مرجع سابق، ص113.

المبحث الثاني: مفهوم القُطرية نشأتها وعوامل ظهورها.

1. مفهوم القُطرية وخصائصها:

أ. لغة:

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة، ومعجم الغني وقاموس المعجم الوسيط معنىً واحدًا لمصطلح القُطرية من الناحية اللغوية حيث جاء في مضامينها:

القُطرية تعرف لغة بأنها: اسم مؤنث منسوب إلى قُطر وهو مصدر صناعي وجمعه " أقطار" [1]. والقُطر يعني: ناحية، جهة، جانب. ومنه قيل القُطر: الجملة من البلاد والنواحي تتميز باسم خاص [2]، ويقابلها في اللغة الفرنسية (Territorial) ومرادفها باللغة الإنجليزية (Territorial)[3].

ب. اصطلاحا:

أما من ناحية الاصطلاح فكلمة القُطرية (territorial) ترمي إلى نفس معنى القومية (nationalisem) مع اختلافات، كونها قومية ترفض الأسس التقليدية لبناء القومية وسيتضح ذلك من خلال ما سنعرضه لاحقا.

تعتبر لفظة "القومية" أصيلة أوروبا انتقلت إلى خارجها عموما ومصر خاصة مع مؤثرات القرن التاسع عشر التي شهدتها المنطقة، والتي تعني أحيانا "القُطر" ، ذلك أن برنارد لويس يعتبر كلمة (nationality) القُطر الذي ينتمي إليه الفرد أو المواطن[4].

وإذا كان من بُد في هذا المقام، فلزاما علينا التطرق إلى القومية باعتبارها أساس القُطرية، دون الخوض في الجدل الفكري التاريخي الحاصل حول القومية من حيث الماهية أو المصطلح، وعليه فإننا سنكتفي بما يخدم طرحنا ونعتبره مفهوما إجرائيا يحيلنا بسهولة إلى ضبط مصطلح القُطرية.

---

[1] أحمد عمر مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص190.

[2] عبد الغني أبو العزم، **معجم الغني**، دار صادر، بيروت، د.ت، 20771/1.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص766.

[4] Bernard lewis, **the middle east and the west**, bloomington, london, 1964, p70.

وإن كنا نُبدي اتفاقا أوليا بأن القُطرية هي نتاج للقومية الأوروبية بأسس ومعايير ضيقة لا غير أو بعبارة أخرى هي إحدى صور القومية الضيقة أو الإقليمية، أي أن الأساس فيها هو المجال الجغرافي (القُطر).

وملم ورد من تعاريف مختلفة للقومية باختلاف التوجهات الايديولوجية لأصحابها إلا أننا نميل إلى التعريف التالي والذي نعتقد أنه شامل وملم، حيث تُعرف القومية بأنها: "جماعة من الناس تربطهم روابط واضحة من الثقافة المتجانسة والقومية الصحيحة تستمد حيويتها من شعور أفرادها بوحدة نوعهم، ومن التشابه الأساسي بين تقاليدهم وطباعهم ومن مقومات القومية، تجانس الخصائص الثقافية إن لم تكن وحدتها الكاملة وكذلك تجانس النظم الأساسية كاللغة والدّين والملابس ووسائل الزينة والقانون الخلقي والنظام السياسي ونمط الأسرة والقيم والمثل"[1].

كما يضيف الباحث بأن: " أساس القومية هو الشعور بال(نحن) أو الشعور بالانتماء للجماعة، ويشعر الأفراد المنتمون لقومية ما برابطة التعاطف فيما بينهم شعورا يختلف عما يحسون به نحو أفراد قومية أخرى، ويحسّون بالرغبة في أن يعيشوا معيشة مشتركة، وهذا الاحساس هو الذي يجعل القومية حقيقة ويجعلها واقعية، واصطلاح القومية يمكن أن يدل على المجموعة البشرية نفسها، كما يمكن أن يدل على المركب الثقافي الذي يوجد بينها"[2].

إننا نعتبر هذا التعريف للقومية شاملا ويمكنه أن يُحيلنا إلى القُطرية خاصة إذا تعلق الموضوع بالقومية المصرية، على أن القُطرية أيضا لها مجموعة من الشروحات والتعريفات مع الاختلاف [3] في النحت الاصطلاحي للمفردة من قُطرية إلى قومية ضيقة أو قومية إقليمية أو وطنية ضيقة، ومن خلال

---

[1] سعيد اسماعيل علي، **الفكر التربوي العربي الحديث** ، منشورات سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ماي 1987، ص102.

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3] يشير الباحث والمؤرخ مسعود ضاهر إلى أن تحديد مصطلح "قُطري" وما رافقه من مفاهيم شائعة ليس بالأمر الهين، ويرجع ازدياد الصعوبة إلى التقسيمات الزمنية منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، للمزيد ينظر: مسعود ضاهر، **الدولة والمجتمع في المشرق العربي (1840–1990م)**، دار الآداب، لبنان، 1991، ص445 وما بعدها.

هذه المرجعيات التي قادتنا إلى الوقوف على عدة مفاهيم مختلفة لهذه المصطلحات المتداخلة تارة والمتقاربة تارة أخرى، ولتوضيح المعنى أكثر سأنظر إلى هذه المصطلحات وفق المفاهيم التالية:

- القُطرية: تعني "الجماعة المحدودة جُغرافيا أي المجتمع الناشئ عن العيش في مكان واحد"[1].
- القُطرية المصرية: توظف بمعنى أن "مصر أمة تضرب بجذورها في النيل كوحدة واضحة المعالم جغرافيا، يربطها تاريخ واحد، حتى الشعور بالهوية [2] والولاء ذو الارتكاز المحلي يتمحور حول مصر"[3].
- تيار القُطرية المصرية: يقصد به التوجه الذي انطلق أصحابه من الكتَاب والمفكرين يؤكدون على خصوصية الشعب المصري بنطاقه الجغرافي (النيل)، استنادا إلى خواص تاريخية أو عرقية أو جغرافية[4].
- الوطنية القُطرية: تعني "الإحساس بالإنتماء للجماعة بين كل من يشتركون في نفس القطعة المحددة من الأرض، يتأصل فيهم الحب لتلك الأرض نفسها" [5] وباسقاطه ا على القُطرية المصرية يتجلى هذا الاحساس المشترك للمصريين بانتماءهم الواحد لأرض النيل، والارتباط الواضح بها.
- القومية القُطرية المصرية: يُعرفها سعد زغلول: هي "وحدة الرابطة القومية التي فيها تذوب الفروقات الدّينية"[6].

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص46.

[2] يقصد بالهوية في هذا المقام الهوية الجمعية والتي تخص جوهر المواقف التي تتمتع بها جماعة بشكل عام من حيث طريقة التفكير والسلوك والتي تميزها عن الجماعات الأخرى... والناس يكيفون أنفسهم وفقا لمستوى التفاعلات وتوازنها. للمزيد يُنظر: نورالدّين حاروش، **محددات القومية في فكر ساطع الحصري وانعكاساتها على المواطنة**، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مج10، ع03، جامعة حمة لخضر الوداي، ديسمبر 2019، ص39.

[3] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، **هوية مصر بين العرب والإسلام (1900–1930م)**، تر: بدر الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2013، ص33.

[4] سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، مرجع سابق، ص198.

[5] مُحَمَّد صالح حنيور الزيادي، حنان جاسم حمزة الخفاجي، **أحمد لطفي السيد حياته ودوره الفكري في مصر (1872–1963م)**، القادسية، مج 15، ع04، بغداد، 2015، ص79.

[6] قدري قلعجي، **ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدّين الأفغاني مُحَمَّد عبده سعد زغلول** ، دار الكتاب العربي، بيروت، د .ت، ص355.

- القُطرية المصرية: صياغة التفكير في حدود وطبيعة المجتمع المصري.
- القومية القُطرية المصرية: "الوطنية المحلية المصرية وخضوع الأفراد وولاءهم لها دون اعتبار للعقيدة أو الطائفة"[1].
- القومية القُطرية المصرية: هي "الشعور بالوطنية الإقليمية والاهتمام بمصالح مصر ومعالجة مشكلاتها مستقلة عن مشاكل الدولة العثمانية والأقطار الإسلامية"[2].
- القومية القُطرية المصرية: "القومية المصرية بينها وبين الوطنية المصرية مساحات إتفاق واسعة، فدي وديكهات يأخدوا الإنتماء للأرض أساسيا كمعظم القوميات المعاصرة من أمريكا وفرنسا"[3].
- الوطنية القُطرية تعني: "العودة إلى الاستثمار في القُطر ودولته، والاستثمار في الهويات القُطرية المحلية المصرية والعمل على تزويدها بمعنى ودلالة إنسانية"، كما تعني أيضا: "التحول إلى مشروع مستقبلي قادر على تأسيس وبناء نموذج الأمة الحداثي القائم على مفهوم المواطنة، ومرجعيات حقوق الانسان والديمقراطية"[4].

وإجمالا فإن توظيفنا لمفهوم القُطرية المصرية يُبنى أساسا على الانتماء الجغرافي لأرض مصر مما يعزز هذا الانتماء لدى الجماعة الشاغلة لهذا الفضاء، ويؤكد لهم قناعاتهم حول تميّز الكيان الحضاري المصري.

ج. الخصائص:

من خلال المفهوم الذي وصلنا إليه حول القُطرية المصرية يمكننا القول أن تيار القُطرية المصرية له خصائص كثيرة نذكر أهمها:

1. القُطرية تُبنى على الهوية الخاصة: ونقصد بذلك تميز الهوية المصرية بجميع مكوناتها الطبيعية وغيرها.

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص104.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، ج1 و2، مؤسسة الرسالة، ط7، بيروت، 1984، ص68.

[3] استعمال اللهجة المصرية في حد ذاته وجها من أوجه القومية المصرية ذات التوجه الفرعوني . ينظر: بيومي قنديل، **بين القومية المصرية والوطنية المصرية**، أدب ونقد، ع244، مصر، 01 ديسمبر 2005، ص04.

[4] يسري توفيق مُحَمَّد خالد السيفي، **"أزمة الحداثة في المجتمع العربي والدولة في فكر برهان غليون "**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2011، ص166.

2. القُطرية نمط قومي إيديولوجي بعينه: ويمكن أن تتضح هذه الخاصية مع ما سنقدمه من عناصر لاحقة، حيث يتجلى الخلاف من خلال الطروحات الفكرية والتمثلات السياسية للنُخب المصرية مع مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الثلاثينيات منه.
3. القُطرية مبنية على أساس الشعور: فهي تستهدف إثارة الشعور بالانتماء إلى أرض مصر.
4. القُطرية فكرة أكثر منها خطوة عمل : فهي تعتمد الأسس النظرية وترتكز على مبادئ الفلسفة دون أن تكون على أرض الواقع مثلما توقع منظروها.
5. الارتباط الوثيق بالجغرافيا المصرية ونخص بالذكر هنا وادي النيل كمحدد جغرافي طبيعي للقُطرية المصرية.
6. المميزات الشخصية للمصريين غير كافية لإثبات ارتباط نفس النوع البشري بالقطعة الجغرافية الواحدة "أرض النيل".
7. ارتباط القُطرية المصرية بالقومية المصرية له بُعد تاريخي تمثّل في التأثر بقومية أوروبا الغربية[1].
8. ما من وجود فاعل للفكر القُطري إلا بوجود دولة قُطرية بنيت على أساسه واتخذت منه سلاحا إيديولوجيا تدافع به عن نفسها ، فالقاعدة الأساسية للقُطرية –ويسميها البعض بالإقليمية– [2] أن كل قسم من الوطن العربي يمثل كيانا قائما بذاته ، "بحيث لا يصبح هناك مجال لقيام كيان عربي قومي شامل، وإنما يصبح مجال العمل القومي محصورا داخل حدود كل قسم من هذه الأقسام على أساس أن كل منها يمثل كيانا قوميا مكتملا في حد ذاته"[3].

---

[1] تأثر الفكر القطري المصري بالقومية الأوروبية لاسيما الفرنسية منها فهي مبنية على أساس لغوي إثني جغرافي وصلت حد تصدير مفهوم الأمة إلى مصر للمزيد حول الفكرة ينظر: إيمان عبد العظيم أحمد السيد، **"الفرعونية في فكر الشيخ أنت جوب: دراسة في الهوية الافريقية لمصر"**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، 2016، ص76.

[2] يذكر الباحث مسعود ضاهر بعضا من سمات الفكر القُطري ومصطلحاته ومفاهيمه والتي جاء منها: "التجزئة، التفتيت، الانغلاق، الدولة القُطرية، الحدود الإقليمية، الإنتماء القُطري، النزوع القُطري، الوطنية القُطرية، الدولة الانشطارية، قابلية تجزئة التجزئة، الإقليمية الثقافية، الحفاظ على الإرث الاستعماري، احتضان المذاهب والايديولوجيات القُطرية الدّينية، احتضان الزعامات القبلية والعائلية والطائفية والمذهبية، النزوع نحو التنمية القطرية، هدر الطاقات والإمكانات، استخدام العنف القطري ضد النزوع الوحدوي للجماهير الشعبية. ينظر: مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص447.

[3] مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص454.

9. تُبنى على تميز وتفرد الشخصية المصرية: فقد أورد عباس محمود العقاد في حديثه عن الطبيعة المصرية، الطابع المميز لمصر فيقول: "...وليس ذلك لغموض أو تعقيد فيها فإن هذه الطبيعة واضحة سهلة ليس في الأمم العريقة كافة –فيما نعتقد – أمة أوضح منها وأساس ولكنها قد احتجبت طويلا لما أحاط بها من أقاويل الأمم المنافسة لها أو الموتورة، وقد طال عهد مصر بمراس المنافسين والجيران الموتورين وطال إعراضها عما يصفونها به ويفترونه عليها حتى وقر في الأذهان"[1].

10. تميّز القُطر الجغرافي: ونقصد به التركيز على النيل كمحدد طبيعي للقُطرية المصرية وإذا كنا نتفق أن القومية لا يمكن أن تظهر فجأة ولا يمكن أنُ تفتعل ولكنها نتيجة عملية تاريخية طويلة فمعيشة الأمة في بيئتها الطبيعية أو وطنها مدة طويلة، وتفاعلها مع هذه البيئة وتفاعل أفرادها بعضهم مع بعض حول مناشط البيئة واشتراكهم في حل مشكلاتها، وتفاعل الأجيال المتعاقبة منها، وتوارثهم تلك الأهداف، والثقافة والنشاط، لكل هذا هو الذي يعبر عنه بالعملية التاريخية وهي ضرورة لإعطاء الجماعة صفاتها المميزة، وإقامة العاطفة القومية بينهم[2].

إضافة إلى المصطلحات السابقة شرح سعيد اسماعيل الإقليمية (الفكر الإقليمي) في كتابه "الفكر التربوي العربي الحديث"، حيث فرق بين مصطلحي الوطنية والإقليمية فيشير إلى ذلك بقوله: "...إن شيوع الفكر الإقليمي الذي يناقض الفكر الوطني والقومي، في الوقت الذي يدعي فيه الوطنية والقومية فيما يطرحه أو يغلفه من أفكار لا تخدم المجتمع بل تؤثر في مستقبل أجياله فينشأ لدينا جيل مشوش غير قادر على التمييز بين الوطنية والإقليمية في ظل التسطيح الثقافي الموجود"[3].

---

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة وتحية**، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936، ص05.

[2] سعد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، مرجع سابق، ص106.

[3] المرجع نفسه، ص28.

2. نشأتها وعوامل ظهورها:

أ. نشأتها:

مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لاحت في الأفق المصري بوادر ظهور نخبة إصلاحية تعمل على الإصلاح بتبني النموذج الأوروبي، وفي الأساس يعملون على الحفاظ على تعاليم الإسلام، فالمتتبع لتاريخ فكرة الإصلاح مع الحفاظ على المبادئ السمحة للإسلام في مصر، يدرك أن هذه النظرة "امتزجت بين الليبرالية الإسلامية العثمانية بشيء آخر، إلا أن هذا الشيء الآخر كان هنا محبة الوطن المصري"[1].

وفي الغالب كان أنصار هذا التوجه الفكري الليبرالي هم من اطلعوا على أدب أوروبا ووقفوا على أفكارها وأعجبوا بقوتها ورقيها، ناهيك عن كونهم أحسوا بالانتماء إلى مجتمع عثماني يضم فئات مختلفة، واتفقوا في الغالب على خيار الاحتفاظ بتعاليم الإسلام وتبني مؤسسات حديثة، ومع بداية سبعينيات القرن التاسع عشر تبلور الوعي القومي [2] في مصر، وظهر الاتجاه الجديد للوعي القومي ، ونعني بذلك القومية المصرية في شكلها القُطري، ورفضا للوضع المعيش تحت وطأة الاحتلال ، إضافة لمجموعة العوامل السابقة أدى كل ذلك إلى نشأة حركات معارضة منها:

- حركة رأت بمعتقد ديني أو شعور وطني في خضوع الخديوي إسماعيل باشا لأوروبا خطرا على مصر واستقلالها، مثله مُحَمَّد عبده وجمال الدين الأفغاني.
- حركة رأت بضرورة إحلال الحكم الدستوري محل المطلق عن مبدأ أو مصلحة ، مثلته في غالبه النخبة الليبرالية.
- حركة الضباط المصريين الذّين أرادوا إنهاء سيطرة الضباط الشراكسة والأتراك ، بزعامة أحمد عرابي باشا.

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص78.

[2] عبّر سلامة موسى في مقال له قائلا: "في القرن التاسع عشر انتصر الولاء للوطن على الولاء للدين وشاع مبدأ القوميات وكان على أقواه في أوروبا ، ثم أخذ يتسرب إلى الشرق العربي وكانت مصر أسبق الأمم في هذا الشرق إلى الشعور به ". ينظر: سلامة موسى، **تاريخ الوطنية المصرية**، الهلال، ع03، مصر، 01 جانفي 1928، ص267.

بعد ذلك تم صقل هذه الحركات في حركة المقاومة الشعبية بقيادة عرابي باشا عرفت بالثورة العُرابية 1881م، ونتيجة لهذا الزخم من الأحداث[1] طفت على سطح الساحة الفكرية المصرية ثلاث تيارات مختلفة في أسس بناءها فكانت كالتالي:

–تيار ديني: مبني على أسس قومية دينية إسلامية.

–تيار عرقي– لغوي: مبني على أسس قومية عربية.

–تيار وطني قُطري: ويُبنى على أساس الإحساس بالإنتماء للجماعة بين كل من يشتركون في نفس القطعة المحددة من الأرض، يتأصل فيهم الحب لتلك الأرض نفسها.

وقد شهدت مصر الحديثة أول تفكير متميز حول مسألة الهوية القومية في آواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فلم يتوفر لمصر فكرة إعادة طرح مسألة طبيعة جماعتها السياسية بسبب التغيرات التي طرأت على السياسة المصرية والمجتمع المصري ، ومن أبرز من أثروا في تشكيل باكورة الحركة القومية المصرية رجلان هما أحمد لطفي السيد ومصطفى كامل اللذين سنعرض فكرهما وتصوراتهما للقطرية المصرية خلال الفصل الثاني.

ب.عوامل ظهورها:

تفاعلت عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ظهور تيار القُطرية المصرية تمثلت في:

ب.1. العوامل الداخلية: ونذكر منها:

1. النمو التاريخي المتميز الذي تفرد به المجتمع المصري، فالاستقلال الذي حصلت عليه مصر طبقا لمعاهدة لندن 1840م قد أعطاها شخصية مميزة عن سائر البلدان العربية الأخرى الخاضعه للحكم العثماني المباشر[2].
2. نمو القومية المصرية بشعاراتها ورموزها التاريخية وخاصة الاتجاه الفرعوني.

[1] للمزيد حول تحليل الانتقال من التوجه القومي المصري العثماني الإسلامي التقليدي العميق الجذور الذي ساد مصر في الحرب العالمية الاولى إلى القومية الاقليمية المصرية الجديد ينظر: أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص24 وما بعدها.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص110.

3. حركة البحث عن الهوية كردة فعل حول الهزيمة التي حلت بمنظومة الأفكار (تلاشي أفكار الانتماء للدولة العثمانية وغياب فكرة الجامعة الإسلامية)[1].
4. الاستقلال السياسي لمصر عن الدولة العثمانية طرح مسألة هوية مصر ، وقد سعى الاحتلال البريطاني إلى دعم التيار القُطري كخيار للهوية والعمل بكل السبل والوسائل لحصر التأثير المصري داخل حدودها الجغرافية حتى تدركه عوامل الفناء وقطع الروابط بين مصر وجاراتها[2].
5. ظهور صفوة متغربة متأثرة بالأفكار الأوروبية أدى إلى تقديم أفكار جديدة للجماعة (الأمة المصرية بدلا عن الأمة الإسلامية والعربية) بديلا لما تلاشى بفعل الزمن والتغير مثل أفكار الجامعة الإسلامية والإمبراطورية العثمانية.
6. انتشار الصحافة الدورية إذ تحمل افتتاحياتها التوجه الإيديولوجي لها، وأقلامها القارة وأعمدتها تعمل على بث فكرة تميّز القُطر المصري في أوساط القراء ومنها: جريدة الجريدة، وجريدة اللواء، وجريدة الأستاذ، والجريدة السياسة الدولية...وغيرها.
7. الأزمة الاقتصادية والسياسية في 1870م و1880م التي شهدتها مصر نتيجة وقوعها تحت السيطرة الأجنبية، مثّلت قوة دفع لظهور مسألة قومية مصرية، حيث اندمجت مجموعات وطنية في حركة سياسية، غير أن هزيمة الحركة أوقفت الجدل الحاصل حول هُوية مصر ولم يظهر حتى مطلع القرن العشرين.
8. ممارسات الاحتلال من قهر وسيطرة على ثروات مصر منذ 1882م[3].
9. إعلان الحماية البريطانية على مصر سنة 1914م.

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص13.

[2] مُحَمَّد عمارة، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل**، دار الشروق، ط1، مصر، 1994، ص10.

[3] كان من عواقب الاحتلال البريطاني لمصر أن ألغي الدستور وحل مجلس النواب واوقفت عملية التحول والتغيير والتجديد التي بدأت أيام مُحَمَّد علي باشا ورسم لمصر سياسة اقتصادية تجعل منها مزرعة تنتج لبريطانيا المواد الخام وسوقا تبيع فيه مصنوعاتها ومجالا تستقر فيه رساميلها وتستخدم فيه موظفيها وبعد أن كانت الفئات الوطنية الواعية تركز جهودها على تطوير البلاد في مختلف الميادين إذا بها بعد الاحتلال تنصرف إلى مواجهة ومقاومة اجراءاتهم القمعية الرامية إلى تمزيق الجبهة المصرية الداخلية وعزلها عن الاطار القومي العربي العام مما أوجد في مصر تيارا وطنيا محليا تصدى لمقاومة الاحتلال ورفع شعار مصر للمصريين. ينظر: أحمد طربين، **التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا**، م.د.و.ع، ط2، لبنان، 2003، ص.ص83-84.

10. استثمار موارد مصر أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1919م)[1].

ب.2. العوامل الخارجية:

ساهمت مجموعه من العوامل الخارجية متظافرة في ظهور تيار القوميّ القُطريّ المصرية يمكن أن نعرض أهمها فيما يلي:

- **العوامل الاستعمارية:**

1. الدور الذي قام به الاستعمار الأوروبي في عزل مصر عن العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين: حيث أن الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801م) والاحتلال الإنجليزي عقب الثورة العُرابية 1882م كانا لهما بالغ الأثر في شيوع مفاهيم جديدة حول القومية والبناء الذاتي للمجتمع المصري[2].

2. الحملة الفرنسية على مصر [3]: حملة نابليون بونابرت على مصر (1798-1805م) التي كانت حملة عسكرية وعلمية جعلت النخبة المصرية تدرك الفرق الشاسع بين العالم الإسلامي وأوروبا ولا شك أن عدد هائل من العلماء والمهندسين والخبراء صاحبوا الحملة الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن حملة عسكرية فحسب بل علمية أيضا وحتى الفنانين والموسيقيين كان لهم حضورهم أيضا[4].

---

[1] للمزيد حول دور مصر في دعم الحلفاء ماديا وبشريا خلال الحرب العالمية الأولى. ينظر: يوسف نحاس، **ذكريات سعد عبد العزيز ماهر ورفاقه في ثورة 1919م، تصرفات حكومية**، دار النيل للطباعة، مصر، 1952، ص29 وما بعدها.

[2] عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **حركة الترجمة وتحديث اللغة والثقافة العربية في مصر خلال القرن التاسع عشر دراسة تاريخية ثقافية**، مجلة دراسات العالم الاسلامي، د.م، فيفري 2012، ص08.

[3] اختلف المؤرخون حول مدى ارتباط الحملة الفرنسية بالتحديث والنهوض في مصر، فبينما يرى فريق أن الحملة وليدة الثورة الفرنسية التي نادت بإنسانية الإنسان ودعت إلى تحقيق العدالة والحرية والمساواة قد دخلت مصر لتيقظ الوعي الداخلي بها ومن ثمة فإن ظهور حركة تنويرية تحديثية في العالم العربي الإسلامي مدين للغرب وحده، دون البحث في الشروط الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية التي ولدت شروط الانتقال، ويرى فريق آخر أن الحملة الفرنسية لم تكن بداية نهضة حقيقية، وأن مصر كانت تعيش إرهاصات تحديثية خلال القرن الثامن عشر، ولكنها مرت بأزمة في نهاية القرن التاسع عشر، وخلال هذه الأزمة دخل الفرنسيون، ومن هذا المنطبق يصبح التطور واردا قبل الحملة وما حدث في عصر مُحَمَّد علي باشا والاحتلال الفرنسي مجرد امتداد لجذور نهضة سابقة ولإرهاصات حداثة محلية ظهرت بوادرها قبل أن يأتي الغرب أصلا. ينظر: مجدي فارح، مرجع سابق، ص61.

[4] أحمد حافظ عوض، **نابليون بونابرت في مصر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص96 وما بعدها.

3. إحتضان بريطانيا وفرنسا للحركة العربية الثائرة ببلاد الودلة العثمانية وتنافسهما في السيطرة عليها، فكان الإنجليز يتولون حماية كل متمرد من مصر ويحولون دون أن يبطش به الأتراك، والأمر ذاته كان الفرنسيون يقومون به مع المتمردين المسيحيين في بلاد الشام، مدعين الحق لأنفسهم في حمايتهم، وقد وصل هذا التنافس إلى حد احتضان بعض الضباط العرب لدى الطرفين[1].

- **العوامل الثقافية:**

1. البعثات العلمية المصرية لفرنسا والتي تمثلت في البعثات الطلابية التي أرسلها مُحَمَّد علي باشا والي مصر إلى أوروبا كان لها ولكتاباتها تأثير واضح المعالم في ظهور القومية المصرية [2]، حيث ورد أن "الشعور بالوطنية اصطلاح إفرنكي انتقلت بذوره إلى الشرق من مطاوي العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التي اهتدى إليها أهل الغرب، ونقلتها البعثات الطلابية"[3].

2. أثر حركة الترجمة: أدى إزدهار الترجمة والنقل، اللذان سمحا بنقل جزء معتبر من التراث الأوروبي، فضلا عن إنتشار الطباعة والصحافة خاصة في مصر إلى بلورة الوعي القومي ذو الارتكتز القُطري حيث أورد الكاتب سعيد إسماعيل فكرة حول أثر الطباعة ما يلي: "الطباعة أولت المثقفين إعترافا بأنهم بمثابة المُنَبِّئِين بأفكار عصرية، وقد عملوا كمحفزين على ظهور مفاهيم جديدة ولإحياء تصورات قديمة عن إعادة تنظيم المجتمع والدولة ومركز الفرد فضلا عن طبيعة علاقته مع كليهما"[4].

3. ظهور الخلافات الفكرية حول الهوية القومية ومسألة الانتماء والإصلاح الإسلامي والقضايا الاجتماعية كالمساواة بين الجنسين وغيرها بمصر.

- **العوامل السياسية:**

1. تفكك الدولة العثمانية وتعرض ولاياتها للزعزعه: ذلك أن التصورات المبثوثة في نفوس كل المرتبطين بالدولة العثمانية تحولت من كونها الدرع الواقي إلى رجل مريض، يُستنزف إما عن طريق

---

[1] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص187.

[2] المرجع نفسه، ص80.

[3] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص69.

[4] سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، مرجع سابق، ص111.

الامتيازات أو المعاهدات [1]... لذلك أضحى واجبا على هذه الدول البحث عن النصرة لذاتها فتمكنت بعض القوميات، من الإنفصال عن الإمبراطورية العثمانية، بعد نضال مرير معها في بداية القرن 19م.

2. صعود الحركة الكمالية[2] والرغبة في التخلي عن الامبراطورية العثمانية: حيث شرع في تطبيق سياسة تعتمد على التكتل والوحدة التركية بفرض لغتها وقوانينها، وتحتكر السلطة وتقف "موقفا متعاليا وفوقيا" [3]، وهو طرح استغل لتحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية، حيث صاغت الحركة الكمالية جملة من الأفكار عرفت بسياسة التتريك لتحقيق أغراضها لإيهام العرب المعتقدين في تحقيق استقلالهم.

3. الاتجاه نحو إرساء قواعد لدولة تركية منغلقة (بفكرة علمانية) عقب سقوط حكم السلطان عبد الحميد الثاني 1908م ووصول الكماليين إلى سدة الحكم.

- **العوامل القومية:**

1. شيوع المفاهيم القومية المسيطرة على المجتمع الأوروبي خلال القرن التاسع عشر ووصول أصداء الحركات القومية التي اشتدت إبان القرن التاسع عشر في أوروبا الوسطى والشرقية إلى مصر خصوصا، فقد وصف هذا القرن بقرن القوميات والتحرر القومي في أوروبا، كما سميت سنة 1848م بربيع الشعوب، إذ عرف إندلاع حركات قومية وليبرالية عنيفة في القارة الأوروبية عامة، وفي وسطها وشرقها خاصة، فضلا عن تحمس فئة هامة من الأوروبيين والأمريكيين لتحرير اليونان مهد الحضارة الأوروبية والغربية عموما من الهيمنة العثمانية.

---

[1] كان من المحتمل أن تحتج الدولة العثمانية بأن مصر لم تقبل الحماية البريطانية، وبالتالي لا يمكن أن تعترف بهذه الحماية، ومن ثم لا يمكن التنازل عن حقوق سيادتها لدولة غير مصر، إذا لم يكن بد أن تتنازل عنها، ينظر: مُحَمَّد حسين هيكل، **مذكرات في السياسة المصرية**، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص84.

[2] الحركة الكمالية: يقصد بها جملة الاجراءات العميقة المتخذة في الاستانة مركز الحكم للدولة العثمانية من طرف مصطفى كمال أتاتورك منذ 1919م إلى ما بعد إلغاء الخلافة سنة 1923م. ينظر: **عبد الرحمان الشهبندر، الدولة والخلافة في الخطاب العربي أبان الثورة الكمالية في تركيا، دراسة ونصوص**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1996، ص05.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص112.

2. مسؤولية العرب في عدم اشراك مصر في قضاياهم القومية وحدث ذلك خلال مرحلة التخطيط للثورة العربية سنة 1916م وتهميش مصر في القضية[1].

كل هذه العوامل ساعدت على ولوج الفكرة القومية القُطرية إلى مصر[2]، وسمحت بظهور نخبة مطلعة ومتفتحة بشكل أو بآخر على الفكر القومي الأوروبي، وقد راجت الفكرة القومية على نطاق واسع، واتخذت عدة أشكال، فمنها التي اقتصرت على مجالات جغرافية محدودة (القومية اللبنانية، السورية، المصرية، التونسية، ...إلخ)، ومنها من نظر إلى القومية نظرة أوسع، تشمل العالم العثماني بأكمله أو المجال العربي وإذا كان في حكم المؤكد أن الفكرة القومية العربية الحديثة، كانت انعكاسا للحركات القوميات الأوروبية التي مرت بها، فإنها عرفت تأخرا قبل أن تظهر في نهاية القرن التاسع عشر لسببين أساسيين هما:

– غياب المفهوم القومي بفعل هيمنة خطاب الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، التي جعلت من الدّين رابطة أمثل لجمع الشمل وصيانة حريتهم وكرامتهم، فهو العامل حسبهم الذي وحد بين القبائل والأجناس وصهرهم في أمة واحدة. أما النظريات الحديثة من قومية ووطنية، فهي في اعتبارهم حيل صنعتها القوى الأجنبية الاستعمارية وحلفائها لكي تنهب بواسطتها ثروات العرب والمسلمين الاقتصادية، وتبسط سيطرتها على بلدانهم، ولهذا آثر قسم كبير من العرب عدم الثورة على الحكم العثماني[3].

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص158.

[2] يرجع البعض ظهور الفكرة القُطرية إلى طرح نابليون بونابرت بدعايته السياسية في مصر التناقض الأساسي للمشروع الاستعماري فالغزو يجري تصويره في صورة تحرير لشعوب الشرق من مستبديها المحليين أي المماليك كما أن ما يجري استحضاره من تيمات إنما يعني أن مستقبل مصر والعالم العربي الإسلامي لا يمكن أن يكون سوى الدولة القومية وهذا هو معنى نداءاته لنزعة وطنية عربية ثم لفكرة قومية مصرية يمكن لها أن تنسب لنفسها في نهاية الأمر تراث الفراعنه وفكرة الأمة مرتبطة بفكرة الحضارة بحيث تصبح مسألة إحياء الماضي هي ضمان مستقبل مشرق وتملك مصر هذه الخاصية المزدوجة التي تتمثل في أنها مهد الحضارة. ينظر: مجدي فارح، مرجع سابق، ص55.

[3] عبد الرؤوف سنو ، **السلطان عبد الحميد الثاني والعرب، الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية** ، مجلة حوار العرب، ع04، بيروت، 2005، ص10.

– طبيعة النظام العثماني الذي تمكن من تغييب المفاهيم القومية، مستفيدا من التأخر الحاصل في قطاع خطوط المواصلات ووسائل النقل والاتصالات الحديثة، التي ظلت لفترة طويلة من الزمن شبه معدومة، إلى غاية وصول مُحَمَّد علي باشا إلى الحكم في مصر، الذي قام بإصلاحات شاملة سهلت الاتصال والاحتكاك بالخارج، وأعاد تجديد نمط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية[1].

وهكذا يتبين أن الدولة العثمانية قد استطاعت بفعل رابطة الدّين الإسلامي ونظامها المطبق أن تكبح جماح تطلعات القوميين العرب الذين كانوا شديدي التحمس للفكر القومي المتأجج في أوروبا، والرغبة في أن تكون لهم كياناتهم الخاصة بهم لكنها وقفت عاجزة في نهاية المطاف، عن مقاومة التيار القومي القُطري المتنامي في مصر، وتزايد الحمية العربية ضدها، ردا على استمرارها في تجاهل المطالب القومية العربية تحت غطاء الجامعة الإسلامية، وبفعل تعاضم دور العناصر التركية المعادية للشعوب العثمانية وبخاصة العربية[2].

[1] إلياس الأيوبي، **مُحَمَّد علي**، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، ط1، القاهرة، 2014، ص47.

[2] فدوى أحمد محمود نصيرات، **المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840–1918م)**، م.د.و.ع، ط1، بيروت، 2009.

المبحث الثالث: تيارات الفكر القومي في مصر وتجلياتها مع مطلع القرن العشرين:

شهدت الساحة الفكرية بمصر تنافس كثير من التيارات القومية، مردُ ذلك جملة من الاعتبارات والدوافع، وفي نظرنا يُعد الدافع الإيديولوجي من جملة هاته الاعتبارات، وقصد توضيح حقيقة ذلك قمنا بعرض هذه التيارات على النحو التالي:

1. التيار القومي الإسلامي:

يظهر جليا التوجه الإسلامي لمصر من خلال عديد المظاهر، ولعل أبرزها الأزهر الشريف المنبر الذي "احتكر المعرفة والتوجيه الفكري والسياسي"[1] لفترة زمنية طويلة بمصر،كما مثلت فكرة الجامعة الإسلامية توجه الكثير من القادة والمفكرين السياسيين، يضاف لهذا أحد تمثلات الفكر الإسلامي لمصر وهي فكرة الجمعية الإسلامية. وسنعرض فيما يلي بعضا من سيطرة النفوذ الإسلامي في مصر.

أ . الجامعة الإسلامية في مصر:

اتجه أغلب القادة والمفكرين السياسيين في مصر توجها إسلاميا تبلور في فكرة الجامعة الإسلامية والتي حاول السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) استخدامها كأداة لتحقيق الالتفاف للشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية، وقصد فرض سيطرته على الولايات العربية[2]، فحسب أ.جرشوني وج.جانكوفسكي أنه: "مع بداية القرن العشرين ميلادي أصبحت الهوية الإسلامية في العالم الإسلامي تعني تعضيد الامبراطورية العثمانية وتتجلى في إعلان الولاء لسلطانها الخليفة، والقبول بهيمنته الفكرية والوقوف إلى جانبه في الأزمات الدولية"[3].

ويُعزى الفضل في انتشار التيار الإسلامي ذي التوجه التحرري إلى الشيخ جمال الدّين الأفغاني (1897-1938م)، وبعد ذلك تلميذه مُحَمَّد عبده (1849-1905م)، وقد عبر الزعيم المصري مصطفى كامل (1874-1908م) عن ترحيبه بفكرة الجامعة الإسلامية بقوله: "إننا نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شيء، نريد أن نرى أمة مشرقية تصدر منها الأنوار إلى كل أمة مشرقية، ولأننا

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص22.

[3] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص25.

بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة في مملكة الخلافة الإسلامية وهي في الحقيقة مملكتنا، قبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها نتجه"[1].

غير أن فكرة الجامعة الإسلامية بمصر[2] أصيبت بانكسار واضح بعد تحالف عرب المشرق العربي ببلاد الشام والحجاز مع الغرب ضد الخلافة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى [3]، وتجلى ذلك في الثورة العربية سنة 1916م[4]، كما أن مستوى الولاء للدولة العثمانية بمصر تراجع أمام التعبير عن وطنية مصرية ذات توجه إقليمي محلي [5]، ويستند جانكوفسكي في تفسيره هذا إلى كتابات رفاعة الطهطاوي.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الساحه الفكرية السياسية والاجتماعية المصرية شهدت صراعا حادا بين أنصار التيار الدّيني وأنصار التيار الليبرالي الذين ارتفعت أصواتهم منادية بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وإلغاء المحاكم الشرعية وتعديل قوانين الأحوال الشخصية.

ومما سبق من فحوى الخلاف بين التيارين قيام البرلمان المصري في سنة 1926م بمناقشة وضعية الوقف الأهلي ، وارتفعت الأصوات المطالبة بإلغاءه، وقد نظر أنصار الاتجاه الدّيني لهذه الإجراءات على أنها بدع خاصة وأنها جاءت بعد إلغاء الخلافة سنة 1924م[6]، ومثلت قضية علي عبد الرازق ذروة الأزمة بين التيارين ، ومن أهم رجال الدعوة للتيار الإسلامي بمصر مُحَّد عبده، جمال الدّين الأفغاني، ورشيد رضا، الذين مثلوا بشكل قوي وكبير هذا التوجه.

---

[1] مصطفى كامل، **المسألة الشرقية**، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2014، ص85.

[2] عبّر أحمد شوقي على ارتباط مصر بتركيا وفكرة الجامعة الإسلامية بمصر قائلا:

وإني لطير النيل لا طير غيره... وما النيل إلا من رياضك يُحسب

فلا زلت كهف الدّين والهادي الذي ... إلى الله بالزُلفى له نتقربُ

ينظر: مُحَّد مُحَّد حسين، مرجع سابق، ص51.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص25.

[4] للمزيد حول تفاصيل الثورة العربية ينظر: جورج انطونيوس، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**، تر: ناصر الدّين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، ط2، لبنان، 1987.

[5] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص26.

[6] المرجع نفسه، ص25.

كما لايفوتنا أن نشير إلى الجهد الذي قدمه الشعراء المصريين في هذا المضمار وأبرزهم أحمد شوقي الذي كتب في قصيدة مشهورة في هذا الشأن نذكر منها هاته الأبيات:

عالي الباب هز بابك منا فسعينا وفي النفوس مرام

و تجليت فاستلمنا كما للن اس بالركن ذي الجلال استلام

نستميح الإمام نصرا لمصر مثلما ينصر الحسام الحسام

فلمصر وأنت بالحب أدرى بك يا حامي الحمى استعصام

يشهد الله للنفوس بهذا وكفاها أن يشهد العلام[1]

ب. الجمعية الإسلامية:

تعود أصول الفكرة للشيخ رشيد رضا (1865-1935م) الذي دع ا إلى تأسيس جمعية تمتد فروعها في جميع أقطار العالم الإسلامي، وتقوم على مبدأ أساسي هو الاعتقاد بأن الأخوة في الإسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسلمين باعتبارهم أمة واحدة، وغاية هذه الجمعية التأليف بين المسلمين في الخضوع لناموس واحد في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام الشرعية والمدنية واللغة واحدة هي العربية، وفي ذات السياق يرى المؤرخ أحمد طربين أن مدرسة رشيد رضا (المنار الإسلامية الإصلاحية) كان لها بالغ الأثر في تطور التفكير الدّيني المصري ودعم التيار الإسلامي في فترة ما بين الحربين العالميتين[2].

ج. الأزهر الشريف:

أدى إلغاء الخلافة العثمانية سنة 1924م إلى زيادة نشاط جامع الأزهر الشريف ، حيث برز اسم مصر كمركز نشاط إسلامي لمعالجة مشكلة الخلافة، وفي هذا الشأن اقترح مؤتمر إسلامي يرشح فيه الملك حسين بن علي للخلافة، ثم برز اسم الملك فؤاد كبديل للملك حسين، وقد أُجل المؤتمر

[1] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق ص32.

[2] أحمد طربين، مرجع سابق، ص121.

العديد من المرات بسبب عدم وجود توافق أولي حول الموضوع، وعقد سوى مرة واحدة في القاهرة بتاريخ 13 ماي 1926م[1].

ولعل أن غزارة الإنتاج الصحفي ذو التوجه الإسلامي وبرعاية من الأزهر الشريف لدليل قاطع على الأثر البالغ لها، ومن أمثلة ذلك: مجلة المنار لرشيد رضا التي صدرت سنة 1898م ثم اختفت سنة 1935م، ومجلة الفتح لمحب الدّين الخطيب صدرت سنة 1926م، حضارة الإسلام لمحمد علي شراب سنة 1928م، الهداية الإسلامية لمحمد الخضر حسين سنة 1928م، الجامعة الإسلامية سنة 1932م.

وفي هذا السياق صوّر "كرومر" الحاكم العام البريطاني بمصر في كتابه "مصر الحديثة" (Modern Egypt) فكرة انتشار الرابطة الإسلامية بين المصريين، واعترف بما تتمتع به الخلافة التركية من نفوذ واسع في مصر[2].

وقد عبّر الكاتب مُحَمَّد عبد الشفيع عن الوضع بمصر مع انهيار دولة الخلافة العثمانية حيث يقول: "تلمست مصر أقدامها في عالم جديد، حيث اختفت دولة الإسلام حقيقة كانت أم مزعومة وارتفعت عاليا راية بريطانيا وفرنسا الاستعمارية "[3]، وهو بذلك يصوّر انتقال السيطرة على مصر من الدولة العثمانية إلى خضوعها تحت النفوذ الأوروبي، وقد عبّر الباحث المصري "طارق البشري" أيضا عن وضع مصر بقوله: "لقد وجدنا أنفسنا في مصر عام 1920م قد انفصلنا عن دولة الخلافة أو وحدة الانتماء الشامل" [4]، ويضيف في ذات السياق "بعد انتهاء الخلافة انهار التكوين المؤسسي ولم يعد أمامنا إلا تشكيل تكوينات داخلية قادرة على دفع الأطماع التي تحيط بنا عن طريق إقامة الحصون وإخراج الأجانب"[5]، وفي رأينا هو ما تجلى فعلياً في سيادة الفكر القومي القُطري المصري.

---

[1] سعيد اسماعيل علي، **دور الأزهر في السياسة المصرية**، دار الهلال، مصر، 1986، ص17 وما بعدها.

[2] Cromer, **Modern Egypt**, the macmillan company, New York, 1908, P139.

[3] مُحَمَّد عبد الشفيع عيسى، **هوية مصر في دساتيرها الحديثة**، مجلة آراء ومناقشات، مصر، دت، ص128.

[4] طارق البشري، **نحو تيار أساسي للأمة**، مركز الجزيرة للدراسات، ط1، قطر، 2008، ص52.

[5] المرجع نفسه، ص52.

2. التيار العروبي:

إن انتماء مصر العربي " ليس موضع شك" [1]، فقد اكتسبت اللغة العربية مع الفت وحات الإسلامية، يضاف لذلك استقبال موجات الهجرات للقبائل العربية، علاوة على الدور الواضح لجامع الأزهر في تنشيط الثقافة العربية، وما يلاحظ في ذات السياق أن مصر لم تعترف بالتوجه العربي كتيار فكري على المستوى الشعبي والانتماء السياسي قبل نهاية عشرينيات القرن العشرين، و تفسر الباحثة عواطف عبد الرحمان اكتشاف مصر لعروبتها من خلال القضية الفلسطينية، وت رجع السبب في حجب القومية العربية عن مصر هي الجامعة الإسلامية التي أسس لها جمال الدين الأفغاني.[2]

من خلال ما ذكر يمكننا أن نشير إلى استمرار نمو وتطور تيار الحركة القومية العربية في مصر يقوى ويزداد على الرغم من اشتداد وطأة الاحتلال البريطاني والحكم العثماني في البلاد العربية المجاورة وكان لقيام الجمعيات العربية التي تكونت في مصر أثر كبير في إذكاء تلك الحركة من أمثال جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية التي تأسست في القاهرة آواخر عام 1912م. وكانت أهدافها تدور حول إقناع الأتراك بضرورة إدارة الدولة على أساس لا مركزي أي تحقيق أوفر من الاستقلال الإداري من جهة، وتوجيه الرأي العام العربي نحو المطالبة باللامركزية من جهة أخرى.

ويفرق الباحث "طارق البشري" بين التيار الإسلامي الذي يؤكد على فكرة مرجعية [3] وجامعة سياسية[4] مع تقديم المرجعية على الجامعة السياسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى التيار القومي الذي يركز على الجامعة السياسية فقط، وفي السياق ذاته يضيف الباحث "طارق البشري" أن التيار الليبرالي الذي يركز على الجانب الاقتصادي دون إهمال الجانب السياسي ذي الصلة بقضية نظام الحكم[5]، ودليل ذلك إذ وبعد انتهاء المواجهة العسكرية الأولى وتغير الخارطة الجيو سياسية في العالم

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] فكرة مرجعية: توظف بمعنى مبادئ تيار القُطرية المصرية أي الالتفاف حول أرض مصر باعتبارها كيان حضاري مميز.

[4] جامعة سياسية: يقصد بها النظام السياسي الذي يجمع بين المصريين ويحقق وطنية الجميع (أجانب +مصريين) على اختلاف دياناتهم دون تحيز لطرف دون آخر.

[5] طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، مرجع سابق، ص12.

بانتصار الثورة الاشتراكية بروسيا سنة 1917م، إضافة إلى الظروف المحلية التي شهدتها مصر من تصاعد الصراع ضد الاحتلال (ثورة 1919م)، وانهزام الدولة العثمانية في الحرب، وتشتيت القيادة السياسية المصرية على يد اللورد كتشنر [1]، وفي ظل هذه التطورات تكون مصر قد نأت بنفسها على التفكير في غيرها.

لا يخفى على مهتم بالموضوع أن الصحف العربية وانتشار دور النشر بمصر ومفعول معاهدة الاستقلال سنة 1936م التي منحت حرية نسبية للسياسة الخارجية لمصر عملت على توجيه مصر إلى محيطها الطبيعي العربي[2].

وفي الغالب عمل هذا التيار الفكري على تبني التوجه العروبي واعتبر مصر عربية بامتدادات تاريخية كونها شهدت الفتوحات الإسلامية مبكرا، وشهدت أيضا موجات الهجرات البشرية العربية من جهة الشرق لذلك فهي عربية بحسب تفسيرات أنصار هذا التيار [3]، وإن ظهر خافتا خلال الفترة المعنية بالبحث إلا أنه سيطر بعد نجاح ثورة 1952م وازداد التيار قوة مع تمكن الرئيس جمال عبد الناصر من سدة الحكم وعمل على نشر إشعاع مصر العربية خارجا.[4]

3. التيار القُطري:

تختلف التسميات من الوطنية المصرية إلى القومية المصرية إلى القُطرية المصرية، إلى الوطنية الإقليمية الضيقة، هذا وإن اختلفت التسميات فإن الفكرة الجوهرية واحدة، والاختلاف الحقيقي يكمن في "نظرة كل مؤمن به من زاويته الخاصة وحسب مفاهيمه، دون أن تتبلور نظرته مع نظرات زملائه لتُكَوِّن قاعدة فكرية شاملة" [5]، وقد تنازع هذا التيار مجموعة من التوجهات الفكرية[6]. غير أن

---

[1] عواطف عبدالرحمان، مرجع سابق، ص25.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص301.

[3] علي فهمي خشيم، **بحثا عن فرعون العربي وأبحاث أخرى**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص17.

[4] طارق البشري، **بين الجامعة الدّينية والوطنية في الفكر السياسي**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998، ص05.

[5] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص31 .

[6] تُبنى فكرة القطرية المصرية على أساس طبيعي وهو وادي النيل. وتفسرها الباحثة عواطف عبد الرحمان بأنها: "حصر مصر داخل حدودها الطبيعية وهي تمثل التعبير الفكري والسياسي للنمو الذاتي الخاص الذي أخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحصار وظروفه". ينظر: عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص46.

الجدير بالتنويه له منذ الوهلة الأولى وفي هذا المقام أن الباحثة عواطف عبد الرحمان عبرت عن هذه الفكرة (فكرة الاختلاف في التسمية) وزادت عن ذلك بتنويهها إلى الاختلاف في التصور ، حيث تشير إلى أن مصر أخذت عن آسيا القرآن الذي يفرض أخوة تفوق الأخوة الإقليمية، في حين أخذت عن أوروبا القومية بمعناها الإقليمي الضيق (الحوض المتوسط)، وأخذت مصر عن إفريقيا تراثها الفرعوني في التاريخ، وتراثها النيلي في الجغرافيا.

والحقيقة أن فكرة مصر القُطرية نتاج الفكر الأوروبي الغربي، وأصله الثورة العُرابية التي عملت على إنشاء رابطة عاطفية بين المصري ووطنه، ثم تطورت على أيدي أصحاب الثقافات الأوروبية حيث نجد مع مطلع القرن العشرين تياران:

-القُطرية الوطنية عاطفة: عبر عن أحسن صورها السيد مصطفى كامل حين دعا إلى جامعة مصرية إسلامية.

-القُطرية الوطنية عقلانية: مثلها أحمد لطفي السيد حين دعا إلى جامعة مصرية خالصة.[1]

ويدعو التيار في أساسه إلى "إقامة جامعة وطنية متشدّدة" تنسلخ عن الأقطار العربية والانطواء على الهوية المصرية البحتة، فالتواصل الأوروبي المصري أنتج قومية مصرية من خلال المفكرين المصريين الذين نهلوا من ينابيع المعرفة الأوروبية في القرن التاسع عشر، وتأثرت مصر بأوروبا الغربية وخاصة فرنسا وقوميتها التي ترتكز على مفهوم إقليمي يحدد القومية بالإقليم والمناخ والحدود الجغرافية على حساب اللغة والعاطفة والدّين ، إذ أن مصر تأثرت بهذه القومية وتبنتها وطبقتها "دون تساؤل عن مدى ثواب تلك القومية، ولم تختبر نتائجه وكذا صلاحيته، فضلا عن انعزالها عن الجزء الأسيوي العربي، هذا الانعزال حجب عنها التفكير في جاراتها".[2]

وتستند هذه الفكرة إلى كونها إحدى طرق إثبات الذات القومية ، حيث "أن مصر لا تعد جزء من العالم العربي وأنها تشغل مكانا خاصا في الحضارة العربية الإسلامية، كما لو كانت تشغل

[1] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص16.

[2] أنيس صايغ، **الفكرة العربية في مصر**، مطبعة هيكل الغريب، ط1، مصر، 1959، ص34.

مرتبة أعلى من الآخرين، ومنذ نهاية القرن الماضي دأب الليبراليون المصريون المتعلمون [1] في أوروبا على عزل مصر عن العرب متذكرين عصور الفراعنه، وقد شاطرتهم هذه الأفكار مجموعة من الكتاب والأدباء والشخصيات السياسية التي تربت في مصر في بداية العقود الأولى من القرن العشرين".[2]

وبخصوص هذا التيار فإن الكاتب " ألكسي فاسيليف " يعيب على ا لتوجه القومي القطري المصري إذ يقول: "إن كل دعوة شوفينية تعتمد على الغطرسة العنصرية والتفوق العنصري لشعب على الشعوب الأخرى في الأرض، وعلى بناء مجد الأمة على حساب السيطرة على أجناس أخرى أو على التميز المتوارث لها على أجناس أخرى..."[3].

وفي ذات السياق يضيف الكاتب المصري " جمال حمدان " في كتابه "شخصية مصر " قائلا: "فنحن معجبون بأنفسنا أكثر مما ينبغي وإلى درجة تتجاوز الكبرياء الصحي إلى الكبر المرضي ونحن نتلذذ بممارسة عبادة الذات في نرجسية تتجاوز العزة الوطنية المتزنة السمحاء إلى النعرة الشوفينية الساذجة البلهاء أو الهوجاء"[4].

على الرغم من كون تيار القُطرية المصرية قد تجاوز مرحلة التنظير والاعتقاد به كمبادئ فلسفية، وأصبح فكرة عملية على يد بعض نخبة مصر، إلا أننا نشير إلى أن هذه الأفكار شغلت حيزا من الساحة الفكرية المصرية ولم تسيطر على التوجه العام لمصر سيطرة كاملة، حيث تدافعت مع التيارات الفكرية المنادية سواءً بعُروبة مصر أو بإسلاميتها، ونشير إلى أن تيار القُطرية المصرية ذو توجهين إما توجه متوسطي أو توجه فرعوني وهو ما سنعرضه.

أ. التوجه المتوسطي:

تعود فكرة هذا التوجه إلى منظري البورجوازية أيام الحملة الفرنسية على مصر وملخصها أن فرنسا ومعها بلاد شمال إفريقيا ومصر ودول الساحل الشرقي للمتوسط إنما تعيش جميعها حول البحر المتوسط وتهدف إلى "خلق رابطة فكرية بين شعوب البحر المتوسط وفرنسا توطئة وتبريرا للسيطرة

---

[1] نذكر منهم: أحمد لطفي السيد، طه حسين، مُحَمَّد حسين هيكل، نجيب محفوظ،...

[2] ألكسي فاسيليف، **مصر والمصريون**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، لبنان، 1994، ص262.

[3] المرجع نفسه، ص278.

[4] جمال حمدان، **شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان**، ج1، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص26.

السياسية التي تتطلع فرنسا إلى فرضها على هذه الشعوب" [1]، وقد ظهرت نخبة مثقفة آمنت بفكرة المتوسطية واعتبرت مصر امتدادا لأوروبا من أمثال: قاسم أمين، أحمد لطفي السيد ..، ويعتبر طه حسين أقوى المعبرين عنه.[2]

وتشير عواطف عبد الرحمان إلى أن فكرة (متوسطية مصر) لا تعود أصوله ا إلى "الخديوي إسماعيل"[3] القائل: "مصر قطعة من أوروبا" ويقصد بها أن مصر جزء من المتوسط، على الرغم من الإطار الزماني والمكاني اللذين عاش فيهما الخديوي إسماعيل، وهو عصر يمتاز بازدياد النفوذ الفرنسي منذ حكم سعيد باشا (1854-1863م)، وحتى حصول ديليسيبس على امتياز حفر قناة السويس [4] وتتحجج الكاتبة في نفيها هذه الفكرة كون ظهور نظرية "حوض المتوسط" سبقت هذه الفترة التاريخية بزمن طويل.[5]

ويرى المؤرخ "أنيس صايغ" أن القومية في مصر انتهت إلى قومية مصرية والسبب في ذلك أن القومية الأوروبية التي تأثرت بها مصر هي القومية الفرنسية بالضبط، وقد ارتبطت القومية فيها بتحديد الأمة على أساس "الإقليم، المناخ، والحدود الجغرافية" أكثر من الاهتمام "باللغة والعاطفة والدّين" ،

---

[1] ألكسي فاسيليف، مرجع سابق، ص32.

[2] شَرَحَ الكاتب "طه حسين" لُب فكرته حول الامتداد المتوسطي لمصر. للمزيد ينظر: طه حسين، **مستقبل الثقافة في مصر**، دار المعارف، القاهرة، دت.

[3] الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن علي (1830-1895م): خامس حكام مصر من الأسرة العلوية، وحكم من 18 جانفي 1863م إلى أن خلعته انجلترا عن العرش في 1879، خلال حكمه أعطى مصر دفعة قوية للمعاصرة، إلا أنه أغرق مصر في الديون، حين عزله سافر على الفور إلى نابولي بإيطاليا، ثم انتقل بعدها للإقامة في الآستانة، توفي في 02 مارس 1895م في قصره (قصر إميرجان) باسطنبول الذي كان منفاه بعد إقالته. ينظر : https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14.00.

[4] امتياز حفر قناة السويس: في 30 نوفمبر 1854 منح حاكم مصرالخديوي "مُحَمَّد سعيد باشا" الفرنسي "فرديناند دليسبس" امتياز حفر قناة السويس، وكانت أهم شُروطه أن تكون مُدة الإمتياز 99 عاماً من تاريخ إفتتاح القناة.ينظر:جلال يحي، مرجع سابق، ص107.

[5] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص32.

وقد أخذت مصر هذه الأفكار من القومية الأوروبية وتبنتها دونما تريث على حد تعبير الباحثة عواطف عبد الرحمان.[1]

وإذ يعتبر طه حسين [2] أحد أعمدة التيار القطري المتوسطي ف إنه ضمَن فكرته في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" يقول: "إن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب الب ح ر الأبيض المتوسط"[3]، ويضيف: "... إنما كانت مصر دائما جزءا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها"[4].

ويركز طه حسين على أن م صر مستقلة بموجب المعاهدات (معاهدة 1936م)[5] و(معاهدة مونترو 1937م)[6]، كما يجب أن تصبح جزءا من أوروبا إذ بذلك فقط تصبح جزءا من العالم الحديث الحديث بناءا على الاتفاقيات بين مصر وأوروبا، حيث يقول: "...وأن نمحو من قلوب المصريين أفرادا وجماعات هذا الوهم الآثم الشنيع الذي يصور أنهم خلقوا من طينة غير طينة الأوروبي وفطروا على أمزجة غير الأمزجة الأوروبية... علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداد

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص34.

[2] طه حسين : (1889-1973م): أديب وناقد مصري، لُقّب بعميد الأدب العربي غيّر الرواية العربية، مبدع السيرة الذاتية في كتابه" الأيام "الذي نشر عام 1929م، يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة ، لا تزال أفكار ومواقف طه حسين تثير الجدل حتى اليوم، درس في الأزهر، ثم التحق بالجامعة الأهلية حين افتتحت عام 1908م، وحصل على الدكتوراه عام 1914م، ثم ابتعث إلى فرنسا ليكمل الدراسة عاد إلى مصر ليعمل أستاذا للتاريخ ثم أستاذا للغة العربية عمل عميدا لكلية الآداب، ثم مديرا لجامعة الإسكندرية، ثم وزيرا للمعارف، من أشهر كتبه: في الشعر الجاهلي (1926) ومستقبل الثقافة في مصر (1938) ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14:10.

[3] طه حسين، مصدر سابق، ص17.

[4] المصدر نفسه، ص19.

5 معاهدة 1936م: وقعت في 26 أوت 1936م بين بريطانيا ومصر في لندن، انسحبت بموجبها القوات البريطانية إلى قناة السويس، والاعتراف بالاستقلال المصري عن التاج البريطاني. ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14:08.

[6] معاهدة مونترو 1937م: أدت الاتفاقية إلى الإلغاء الكامل للامتيازات ووضع الأجانب في مصر تحت النظام القضائي المصري بعد فترة انتقالية طولها 12 سنة، فكان تاريخ إلغاء المحاكم القنصلية في 15 أكتوبر 1949م. ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14:30.

ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد فيها وما يُعاب"[1].

كما يصف "طه حسين" ارتباط مصر بأوروبا في موضع آخر، يقول: "يكفي أن أذكركم بما ترتب على التعاون بين فرنسا ومصر من خير مادي ومعنوي وفكري، خير مادي يشهد عليه قناة السويس والدلتا والري في مصر، وخير معنوي فهنالك نهضة مصر وتعرُّف الشرق العربي على الحضارة الغربية بعد أربعة قرون أو خمسة من السُبات، وخير فكري فقد نشأ علم المصريات وكان شامبليون وماردريت وماسبيرو واكتشاف مصر الفرعونية والعصر الهليني" [2]، وهي الدعوة (الفرعونية والمتوسطية) التي سخر لها طه حسين كتاباته ساهمت بشكل رئيسي وفعال في تشكيل الإقليمية المصرية [3]، كما كان لـ"حسين مؤنس" ا لتوجه ذاته من خلال كتابه "مصر ورسالتها" ، إذ يعتبر تاريخ مصر تاريخ المتوسط على وجه التقريب[4].

ومن أبرز أعلام الـتوجه المتوسطي: أحمد أمين، عباس العقاد، توفيق الحكيم، إبراهيم المازني، طه حسين، منظور فهمي، محمود عزمي ، مُحَمَّد حسين هيكل، عبد الله عثمان، وحملت مجموعة من الصحف والمجلات الدفاع عن التيار المتوسطي منها: صحيفة "الجريدة" [5] لسان حال القومية المصرية، ومجلة الثقافة لأحمد أمين بداية من 1914م، ومجلة المصور الأسبوعية والشهرية سنة 1927م لإسماعيل مظهر، ومجلة الأسبوع لإدوارد عبده سعد سنة 1933م، ومجلة الكاتب المصري بإشراف طه حسين.

---

[1] طه حسين، مصدر سابق، ص 42.

[2] طه حسين، **من الشاطئ الآخر**، تر: عبد الرشيد الصادق محمودي، منشورات المركز القومي للترجمة، ط 1، مصر، 2008، ص202.

[3] أنور الجندي، **محاكمة فكر طه حسين**، دار الاعتصام، مصر، د.ت، ص336.

[4] حسين مؤنس: **مصر ورسالتها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، مصر، 1989، ص05.

[5] الجريدة: صحيفة مصرية أنشأها وترأس تحريرها أحمد لطفي السيد، اختفت سنة 1915م وتحولت إلى جريدة السفور ثم جريدة السياسة اليومية ثم الأسبوعية عام 1922م، وهي لسان حال حزب الأحرار الدستوريين.ينظر: عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص 85.

ومن خلال هذا التوجه الذي مثل أحد آليات التغريب نرى أنه يؤكد على أن مصر عقلا وحضارة وتركيبا جزء من التكوين الأوروبي، وقد كانت لمقالات سلامة موسى بين سنتي 1925م و1926م خير دليل، فقد أورد قائلا: "كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوروبا فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرة، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب"[1].

وفي ذات السياق يُعرب "سلامة موسى" عن كون مصر غربية يقول: "فقد عشنا حوالي ألف سنة ونحن جزء من الدولة الرومانية ثم نحن في هيئة الوجه أوروبيون، والشعب الأول الذي سكن مصر لا يختلف البته عن الشعب الذي كان يسكن أوروبا قبل 400 سنة"[2].

وقد دلل أحد الكتاب عن "سلامة موسى " كونه يحمل مشروعا لمستقبل مصر يقول: "...يرى أيضا أن تاريخها رأسيا بدأ من الفراعنة إلى الإسلام ولكنه يركز على جذور مصر القديمة من ناحية والعصر الحديث من ناحية أخرى في بناء الوطنية المصرية"[3].

ب. التوجه الفرعوني:

ظهر هذا الاتجاه على يد بعض المثقفين الأقباط ، فنشأت صحيفة الوطن سنة 1877م لصاحبها ميخائيل عبد المسيح، وصحيفة مصر سنة 1895م لصاحبها تادرس شنودة، عالجت هاتان الصحيفتان مشكلة الأقباط على أنهم أمة لها كيان خاص ومميز على اعتبار أن الاقباط سلالة الفراعنة وأنهم أهل البلاد الأصليين[4].

---

[1] سلامة موسى، **اليوم والغد**، مؤسسة هنداوي، مصر، 2019، ص08.

[2] سعيد إسماعيل علي،الفكر التربوي العربي الحديث، مرجع سابق، ص146.

[3] غالي شكري، **طه حسين والوطنية المصرية**، مجلة أدب ونقد، ع52، مصر، 01 نوفمبر 1989، ص20.

[4] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص110.

تأسست في القاهرة "جمعية الاصلاح القبطية " سنة 1908م[1] من أجل توثيق صلات المحبة بين العناصر المختلفة التي تتألف منها الأمة المصرية والدفاع عن حقوق الأقباط وتنمية المشاعر الدّينية لديهم ونشر التعليم بينهم، وكانت جريدة مصر ناطقة باسم الجمعية وطالبت بأن يكون للأقباط نفس الحقوق التي يتمتع بها المسلم ون في الدولة[2]، وفي ذات الإطار عملت نتائج التنقيب عن الآثار الفرعونية القديمة دور المغذي الروحي لهذا التوجه وهذه النتائج عززت الانتماء الفرعوني لمصر في نظرهم ومن هنا اكتسب علم المصريات (legypthologie) أهمية خاصة.

ومما ساعد هذا التوجه القُطري الفرعوني هو تلك الاكتشافات الأثرية التي من أبرزها اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) سنة 1920م، حيث زادت من تغذية توجه مصر نحو الفكر الفرعوني في القومية المصرية وزاد من حدة هذا التوجه وجود الأقباط بمصر ، "فالاقتناع والإيمان الراسخين لدى الأقباط بأنهم شعب فريد يمتلك تاريخا خاصا ومع ذلك فإن أكثر العوامل أهمية في تعزيز وتقوية الانطباع الذاتي للأقباط كان اكتشاف الماضي فقد أدى تطور اكتشاف مصر الفرعونية وعملية إلقاء الضوء على روعة الحضارة المصرية القديمة إلى تجميع شمل الأقباط كي يعثروا على هويتهم الحقيقية كمصريين ذوي تاريخ طويل"[3].

وفي هذا السياق القُطري قام المعلم " يعقوب القبطي" بدور كبير لنجاح هذا التوجه، ومما قام به في هذا الشأن هو الدعوة إلى استقلال مصر عن العثمانيين كأولى الحلقات لبعث قومية مصرية فرعونية ووطن مصري مستقل عن الشرق ومرتبط بالغرب حضاريا. وللإشارة أن الإنجليز كقوة محتلة لمصر دعمت الفكرة ، حيث مكنتهم من الوظائف والأعمال الإدارية، ونشطوا في الصحافة فأسسوا لأنفسهم عدة صحف وحصرت اهتمامها في قضايا الطائفة والترويج للدعوة الفرعونية وتمجيد التاريخ المصري القديم[4].

---

[1] سميرة بحر، مرجع سابق، ص 155.

[2] علي المحافظة، مرجع سابق، ص128.

[3] مصطفى الفقي، مرجع سابق، ص28.

[4] تضمنت مجلة المقتطف خلال أعداد مارس ونوفمبر وديسمبر 1926م مواضيع متنوعة تدعم فكرة الفرعونية المصرية مثل مقال "المتحف القبطي" لمرقص سميكة باشا، ومقال "تابوت توت عنخ آمون الذهبي" لمؤلف مجهول، والعدد الخاص الصادر في 31=

ومن أهم مبادئ الاتجاه الفرعوني لمصر ونعني بذلك النداء بفرعونية مصر عن طريق:[1]

-إحياء الآثار الفرعونية.

-بعث الأدب المصري القديم.

-إقامة الأدب الحديث على أسسه وتمجيد مصر الفرعونية والتبرؤ من العرب.

-مصر كيان إنساني وحضاري وثقافي خاص.

-مصر لا تمتُ للعروبة بصلة إلا بالدّين وهي صلة واهية فاللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة.

-الدعوة إلى استعمال اللهجة المصرية الدارجة في التعليم والأدب و الصحافة والصكوك والتمثيل بغرض تسهيل نشر الثقافة وإيجاد أدب مصري ولغة مصرية خاصة[2].

لم يكن للنزعة الفرعونية صدى سياسي بل انحصرت في مدرسة أدبية [3]لم تمارس أي نفوذ على التيارات الأخرى، كما أن بعض دعاتها اتجهوا توجها مصريا معتدلا إسلاميا صريحا أو عربيا على الأقل.[4]

=ديسمبر 1926م والذي حوى 76 مقالا. ينظر: المقتطف، عدد خاص، 31 ديسمبر 1926م، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1926م.

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص39.

2 تمثل رواية "المصرية" للروائي الفرنسي سينويه أوضح صور التفكير القُطري المصري المرتبط بالأرض والذي تصاحبه النزعة الفرعونية في الشق الأدبي، للمزيد ينظر: جيلبرت سينويه، **المصرية**، تر: مُحَمَّد بنعبود، منشورات الجمل، د.م، 2004.

[3] مثل محمود سامي البارودي طلائع شعراء الفرعونية، ومن أقواله:

سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر ... لعلك تدري غيب ما لم تكن تدري

بناءان ردا صولة الدهر عنهما ... ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر

أقاما على رغم الخطوب ليشهدا ... لبانيهما بين البرية بالفخر

فكم أمم في الدهر بادت وأعصر... خلت وهما أعجوبة العين والفكر

تلوح لآثار العقول عليهما ... أساطير لا تنفك تُتلى إلى الحشر

ينظر: مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص62.

[4] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص39.

وتشير الباحثة عواطف عبد الرحمان إلى أن القومية المصرية بإطارها الفرعوني والمتوسطي تتفق جميعها في "حصر مصر داخل حدودها الطبيعية وهي تمثل التعبير الفكري والسياسي للنمو الذاتي الخاص الذي أخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحصار وظروفه"[1].

والجدير بالذكر هنا أن الاتجاه المصري الفرعوني كان إفريقيا من الناحية التاريخية. وزاد أن أخذ المنحى الإفريقي على الصعيد الجغرافي [2]، حيث نما هذا التيار بحسب الأبحاث التاريخية والاكتشافات الأثرية التي أحيت العلاقات بين مصر والسودان ومناطق حوض النيل مع القارة الإفريقية ، ومع مرور الوقت نما هذا الاتجاه وتطور، بينما لم يصبح منتصر على الفرعونية بل امتد ليشمل التوجه الإفريقي، فقد مثل السودان ورقة نشطة لتيار القومية المصرية الإفريقية ذات البعد الجغرافي[3]، كونها توحدت على يد مُحَمَّد على باشا بعد عدة حملات (1820-1822م) وكذلك جهود إسماعيل باشا، غير أن الإنجليز قلموا أظافر مصر بعزل السودان عنها ووضعه تحت الحكم الانجليزي [4]، وقد مثل السودان أيام الحركة الوطنية المصرية محل الاهتمام كأداة تعبير عن قوميتهم ، فقد أعلن مرة أن "السودان جزء لا يتجزأ من مصر"[5].

كما عمل الفرنسيون على "تحويل مصر إلى مجتمع علماني قومي فحاولوا استعداء المصريين على الأتراك عن طريق بعث الروح المصرية الفرعونية والعربية عن طريق بيانات بونابرت المتكررة"[6]، وإن وإن باءت هذه المحاولات أيضا بالفشل لإدراك المصريين أنها كانت وسيلة للحيلولة دون قيام جبهة إسلامية موحدة ضد الحكم الفرنسي ، ولتأكيد ذلك حاول الفرنسيون إنشاء فيلق من الأقباط يعمل في خدمة الجيش الفرنسي بإدعاء أن هذه الخطوة تعمل على إدماج الأقباط في جسم الأمة ولكن

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص46.

[2] للمزيد حول الانتماء الافريقي من الناحية الجغرافة لمصر ينظر: إيمان عبد العظيم أحمد سيدمرجع سابق، ص162 وما بعدها.

[3] داوود بركات، **السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ص34.

[4] إيمان عبد العظيم أحمد سيد، مرجع سابق، ص162.

[5] مُحَمَّد صبري، **تاريخ مصر الحديث من مُحَمَّد علي إلى اليوم**، مرجع سابق، ص235.

[6] مجدي فارح، مرجع سابق، ص55.

الواقع أن الفرنسيين قصدوا من وراء ذلك تفرقة عنصري الأمة واستغلالها إلى أقصى حد لحكم البلاد[1].

تجدر الإشارة إلى أن الإنجليز كقوة احتلال في مصر دعمت الفرعونية، بينما حاربت القومية عند حزب الأمة لأنها "تهددهم"[2]، وعلى المستوى الأدبي كان لأحمد شوقي بعد عودته من المنفى سنة 1920م وحافظ إبراهيم أيضا دورا هاما في نشر هذا التيار ، وتأتي فكرة دعم التوجه الفرعوني بمصر كمحاولة لتغييب الجذور العربية من ذاكرة الأجيال وتعزيز الانفصال التاريخي بدعوى إقليمية التاريخ، وهو من قبيل بعث الحضارات القديمة، وقد برزت اهتمامات الغرب الاستعماري والصهيونية العالمية في هذا الاتجاه، فقد عرض "رولفكر" (roulfekher) وهو صهيوني متعصب تبرعه بعشرة ملايين دولار في سبيل إقامة متحف للآثار الفرعونية في مصر[3].

[1] مُحَمَّد أنيس، **تطور المجتمع المصري من الإقطاع إلى ثورة 23 يوليو**، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص63.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص37.

[3] عبد الرحمان حسن، **أجنحة المكر الثلاثة التبشير، الاستشراق، الاستعمار**، دار القلم، بيروت، 1975، ص296.

خلاصة الفصل:

وجوهر القول أن مصر خلال هذه الفترة شهدت تحولات سياسية وفكرية جراء ما عاشته من أحداث كالثورة العُرابية التي كانت أول دليل على ظهور وعي قومي مصري، كما أن الاحتلال الإنجليزي عمد على توطيد النزعة الانفصالية بمصر على الدولة العثمانية، وبالتالي تشتيت العمل على توحيد الهوية الإسلامية، كما كان للحركة الوطنية المصرية الدور في كشف الممارسات الاستعمارية للاحتلال البريطاني من جهة والتواطؤ معه من طرف القصر أيضا، كل ذلك أدى إلى ظهور مجموعة من التيارات الفكرية القومية بمصر تنازعت الهوية الجمعية والحدود الطبيعية للجماعة الوطنية، وبرز للعيان مع سيطرته على الساحة الفكرية المصرية تيار القُطرية المصرية الذي كان قد فرض سيطرته.

الفصل الثاني

تيار القُطرية المصرية لدى النخبة والأحزاب ومن خلال ثورة 1919م

تمهيد:

سينصب بحثُنا في هذا الفصل حول رؤية نماذج من النخبة المصرية لمفهوم القُطرية كمبدأ فكري ، إلا أننا نود أن نشير إلى أن طرحنا للفكرة استند على منهج "هبولت أدولف تين" (Hippolyte Adolphe Taine)[1] (1828-1893م) المؤرخ والفيلسوف الفرنسي كون منهجه يشرح الفكر الوطني القُطري الذي ساد مصر مطلع القرن العشرين [2]، فهو يعتمد مبدأ: الوسط، واللحظة، والعرق، وجدير بالذكر أن الوسط وفق منهج "تين" مثّله في فكر النخب المصرية "وادي النيل"[3]، إذ أُعتبر القُطر المصري من ناحية الطبيعة الجغرافية قطعة مرتكزة بمجرى النيل العظيم مع التفاوت في التشدد بالتمسك بالنيل كمحدد طبيعي ، وفيما يلي نعرض نماذجا لفهم النخبة المصرية لقُطريتها، والتي تميزت في عمومها بجملة من الخصائص نتيجة جملة من العوامل أهمها التواجد البريطاني في مصر وتأثيرات النخب المستفيدة من البعثات العلمية سلفا والمتشبعة بالثقافة الغربية وأهم ما ميزها مايلي:

---

[1] إيبولت أدولف تين (1828-1893م): كان ناقداً ومؤرخاً فرنسياً، والمؤثر النظري الرئيسي على الحركة الطبيعية الفرنسية، ومن رواد الوضعية الإجتماعية (Social positivism)، وأحد أوائل ممارسي النقد التاريخاني (historicist) التاريخانية الأدبية كحركة نقدية قيل أنها بدأت به وسيظل تين يُذكر خصوصاً لمقاربته ذات الثلاث شُعب لدراسة مضمون عمل فني، بناءً على ما يسميه العرق، المحيط واللحظة . كان له أثراً عميقاً على الأدب الفرنسي، وعرف في زمنه كأديب ومؤرخ وفيلسوف، ومن كتبه الشهيرة: «في العقل» و«تاريخ الأدب الانكليزي» و«فلاسفة فرنسا الكلاسيكيون في القرن التاسع عشر» و«أصول فرنسا المعاصرة» في 12 جزءاً يعيد فيها الاعتبار لفرنسا القديمة على حساب ثورتها وتوجهات تلك الثورة للمزيد ينظر:

- Kelly, R. Gordon, **Literature and the Historian**, American Quarterly, Vol 26, No.2, USA,1974, P143.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص61.

[3] يرى مُحَمَّد حسين هيكل نهر النيل بعين القُطرية المصرية فيعرفه بما يلي: "وادي النيل ينعم بمميزات مناخية طوبوغرافية لا تتوفر لأي بيئة أخرى، فهو وحدة جيدة التحديد مكتفية ذاتيا ومعزولة، إنه كيان مستقل متحرر من المؤثرات الخارجية، وهو محاط من الغرب والشرق والجنوب بصحاري ضخمة، تشكل حاجزا فعالا بينه وبين جيرانه، وإلى الشمال يحد وادي النيل البحر الأبيض المتوسط ويعزله عن المناطق المناخية الشمالية. نقلا عن: أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص63.

-العصرنة: ويتضح ذلك من خلال عمل فئة المثقفين المصريين على الدمج بين الأصالة من خلال المحافظة على العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وبين المعاصرة ، من خلال تبني المقاربات الناجحة لتسيير مختلف شؤون الحياة بغض النظر عن المرجعية الدّينية[1].

-تطور الطبقات الاجتماعية: ويقصد بتطور الطبقات الاجتماعية في هذا المقام هو ما أفرزته الثورة العُرابية على المستوى الاجتماعي، ذلك أن من بين أسباب قيامها هو سيطرة الأتراك والشراكسة على مفاصل الدولة ، وبغرض تسوية الوضعية تم دمج العنصر المصري في المناصب العليا للدولة وترقية العسكريين إلى رتب عليا، ناهيك عن دخول فئة الطلبة حيز النزاع الفكري ، وأن طبقة الأعيان قد تداخلت مع المجتمع المصري خلال تلك الحقبة مما نتج بالأساس عن توقف تيار الهجرة العثمانية إلى مصر، كما أدى إلى أن يقل إلى حد كبير اشتراك العنصر التركي العثماني في الإدارة المصرية [2]، كما نمت العناصر المثقفة المصرية نمواً كبيراً واكتسبت قيما وأخلاقيات وطموحات جديدة نحو إدارة المجتمع المصري وشغل مركز الصدارة فيه، وإحلال المصريين الذين تلقوا تعليماً أوربياً محل الأتراك العثمانيين في الوظائف[3].

-ظهور فئة ا لطلبة المتسيّسة : منذ بداية القرن العشرين طفت إلى السطح النخبوي فئة الطلبة كمشارك وبفعالية في مسائل السياسة والدولة وهو الأمر غير المألوف سابقا[4].

-ستمرارية النضال[5]: يقصد به النشاط الملحوظ في ظل الهيمنة الأجنبية، فعلى الرغم من التواجد البريطاني بمصر منذ 1882م إلا أن النخبة المصرية لم تتوان في الدفاع عن قضية مصر رغم المضايقات القائمة سواءا من القصر أو من بريطانيا ، وقد يُفسر بإيمان النخبة بقضيتها والعزم على الدفاع عنها دون هوادة، مع تحد واضح للوضع من سيطرة أجنبية –بريطانية– أو تواطؤ من القصر.

---

[1] صلاح عبد الصبور، **قصة الضمير المصري الحديث**، مطابع اقرأ للطباعة والنشر، لبنان، د.ت، ص123.

[2] المرجع نفسه، ص123.

[3] أحمد زكريا الشلق، **معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، الدوحة، 1996، ص.ص102-103.

[4] للاستزادة حول دور الطلبة كفئة جديدة صنعت الحدث في مصر خلال هذه الفترة ينظر: عاصم محروس عبد المطلب، **الطلبة والحركة الوطنية في مصر (1922–1952م)**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ت.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص78.

-نخبة متغربة: نقصد بها ظهور صفوة متغربة متأثرة بالأفكار الأوروبية التغريبية، ظهور هذه الفئة أدى إلى انتشار أفكار جديدة مثل البحث في مسألة الهوية الجمعية وانتماء الدولة ، وهذه الفئة في الحقيقة هي نتيجة لحقبة سابقة مارس فيها مُحَمَّد علي باشا (1805-1848م) سياسة الانفتاح على أوروبا، وفعّل آلية البعثات للخارج، مما جعل المستفيدين منها يعايشون واقع القومية خاصة في أوروبا الغربية، الأمر الذي أدى إلى تبنيهم خط القومية الاقليمية الضيقة (القُطرية)، ومن ثمة الدخول في مرحلة فكرية جديدة تتضمن البحث عن الولاء الجمعي وهوية الدولة المصرية وحدود المجتمع[1].

-إعادة التفكير في طبيعة حدود المجتمع[2]: وهي ميزة فكرية تحلت بها فئة النخبة المصرية مطلع القرن العشرين بسبب تدهور الدولة العثمانية والتواجد الأجنبي في مصر وهو ما تجلى في التيار القُطري المصري.

جدير أن ننوه بأننا سنكتفي في عرضنا لتيار القُطرية المصرية من الناحية التاريخية بالعودة إلى المفكر رفاعة الطهطاوي كحلقة أساسية لبداية تبلور مفهوم القُطرية المصرية، دونما العودة إلى فترات زمنية سابقة كالحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، لاعتقادنا أن ذلك يحيد بالموضوع عن جادته ناهيك عن التشعب الزمني وزخم الأحداث التاريخية اللذان يمكنهما أن يشغلا حيزا أكبر من هذا العمل.

في الغالب يُعرض موضوع القومية المصرية في إطار مقاومة الأجنبي دونما الوضع في الحسبان الأبعاد الفكرية والثقافية المتشابكة التي تبلورت خلال مسيرة تشكل وظهور القومية المصرية، فتُفسر كما -سلف الذكر- في إطار مقاومة الأجنبي أي رفض مصر لأوضاعها العامة ، بما في ذلك رفض السيطرة الأجنبية، ذلك أن المؤرخ مسعود ضاهر يُرجع تشكُل الفكر القُطري إلى أنه "وثيق الصلة بالمشروع الأمبريالي لتفكيك الوطن العربي في أعقاب المرحلة العثمانية الطويلة" [3]، كما يندرج ضمن

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص79.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص23.

[3] مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص454.

الرغبةفي رسم صورتها الذاتية (قومية قُطرية)، أو رغبة منها في تحقيق علاقتها المتميزة بمن حولها، فيما يخص النشاط السياسي المصري في إطار قومي[1].

المبحث الأول: تيار القُطرية المصرية في تصورات النخبة:

1. رفاعة الطهطاوي (1801–1873م):

يشير رفاعة الطهطاوي (1801–1873م) في مؤلفاته إلى حب الوطن الذي يعتبره الدافع الأكبر للناس على محاولة بناء مجتمع متمدن، فحُب الوطن أحيانا كمعنى العصبية عند ابن خلدون [2]، أي شعور التضامن الذي يجمع بين أبناء المجتمع الواحد ويشكل أساس القوة الاجتماعية [3]، حيث يستعمل رفاعة الطهطاوي مفهوم العصبية بمعنى أضيق وجديد في الآن ذاته ، إذ يُلح في ضوئه لا على واجب المواطن السلبي في الخضوع للسلطة بل على دوره في بناء مجتمع متمدن ، لكما يؤكد على الدور الايجابي للواجبات المتبادلة بين الذين يعيشون في البلد الواحد، وهكذا يحمل حب الوطن معنى خاص "الوطنية الإقليمية" أو "القُطرية المصرية".

يعتبر رفاعة الطهطاوي أول من حلل فكرة الأمة المصرية باعتبارات إسلامية ، مع أنه كان من الأوائل الذين غادروا مصر في إطار البعثات إلى أوروبا، وهو الأمر الذي جعله كثير التأثر بمونتيسكيو (Montesquieu)[4]، ففكرة الأمة عند رفاعة الطهطاوي استقاها من الفيلسوف الاجتماعي الأوروبي

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص17.

[2] العصبية عند ابن خلدون هي الوعي الجماعي والتضامن والولاء القبلي أو الوطني أو الحس المجتمعي ، أنها لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء ، بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية الجماعة، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبة فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة، وليس بين فرد وآخر فقط. ينظر: مُحَمَّد عابد الجابري، **العصبية والدولة**، م.د.و.ع، بيروت، 2001.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص89.

[4] مونتيسكيو (Montesquieu) (1689–1755م): قاض ورجل أدب وفليسوف فرنسي، صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده حاليا العديد من الدساتير عبر العالم، ومؤلف كتاب "روح القوانين".ينظر: www.maarefa.org تاريخ الإطلاع: 2020/11/27، الساعة 23:35.

مونتيسكيو والذي ألحَ على أهمية الظروف الجغرافية في تكوين الشرائع مما يستلزم القول بحقيقة الجماعة المحدودة جغرافيا، وبعبارة أخرى "المجتمع الناشئ عن العيش في مكان واحد"[1].

كتب رفاعة الطهطاوي في مؤلفه "مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" وصفًا لمصر وطبيعتها ومصيرها، ويرى الباحث ألبرت حوراني حول ما كتبه رفاعة الطهطاوي بأنها تسمو إلى مرتبة النظرية "جديرة بالاهتمام"[2] لأنها وحسبه دائما "توضح بدقة الأفكار الشائعة بين الفئة الجديدة الحاكمة في مصر والتي أُجريت إصلاحات إسماعيل باشا على أساسها" [3]، إنها تلخص بداية التفكير في القُطر المصري وبعبارة أوضح نقطة البداية لتشكل الوعي الوطني بالقُطر المصري" حتى حينما يتكلم عن حب الوطن يرمي إلى الشعور المشترك بين القاطنين أرض مصر"[4].

ويرى الباحث معتز زاهر أن رفاعة الطهطاوي "لا يعتنق مفهوم الوطنية المذموم الذي يوالي ويعادي على قطر ما" [5]، "فكل مملكة تأخذ حظها الأوفر من نير التمدن مدة قرون وأزمان بحمية أهلها ومغالاتهم في حب الأوطان... فيحصل لهذا الوطن من التمدن الحقيقي المعنوي والمادي كما الأمنية فيقدح زناد الكد والكدح والنهض بالحركة، والنقل والإقدام على ركوب الأخطار تنل الأوطان بلوغ الأوطار"[6].

فسر رفاعة الطهطاوي مصر كشي ء مميز في المكان ومستمر في الزمان ، وذهب في تفسيره لفكرة القُطرية إلى الاعتقاد بتميز الكيان المصري مع وجود بُعدين له تمثلا في:

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص82.

[3] نفسه، ص82.

[4] نفسه، ص89.

[5] معتز زاهر، **ما أخفاه العلمانيون من تاريخ مصر الحديث**، دار القمري، مصر، 2014، ص212.

[6] رفاعة الطهطاوي، **مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص19.

-البُعد الأول: بُعد عربي ويظهر جليا من خلال كتاباته ، فالاعتراف بوجود بُعد عربي للكيان المصري سمة لازمته في تآليفه، ويُرجع ألبرت حوراني هذا البعد إلى أن "ظِل فكرة العروبة لازال يلوح في ذهنه، لكن ذلك لم يكن إلا من رواسب الماضي لتفكيره القديم"[1].

-البُعد الثاني: بُعد فرعوني وتمثل في التفكير الفرعوني، فهو يرى بأن "مصر الحديثة حفيدة شرعية لأرض الفراعنه" [2]، والظاهر من خلال كتابات رفاعة الطهطاوي أن مخيلته تزخر بأمجاد مصر القديمة فقد كتب قصائد في مدح الفراعنه.

وفي ذات الإطار يعتز رفاعة الطهطاوي بفرعونية مصر إذ يقول: "مصر القديمة مدعاة للاعتزاز ويمكن لمصر الحديثة استعادته"[3]، ومما جاء في كتابه مناهج الألباب أن "بنية أجسام أهل هذه الأزمان هي عين بنية أهل الزمان الذي مضى وفات والقرائح واحدة"[4].

وكان لقاؤه بالمستشرق سلفستر دي ساسي (Silvestre de Sacy)[5] محطة مهمة في حياته الفكرية، حيث تنبه بفضله إلى اكتشافات الآثار المصرية ، "وقد ملأت مصر القديمة ذهنه فأضافت عنصرا هاما إلى تفكيره"[6]، وهو سَبْقٌ للطهطاوي في اكتشاف أثر الفرعونية في تاريخ مصر، ذلك أن الفكرة الغالبة عليه إلى قبل ذلك الحين هي فكرة مصر الإسلامية.

إضافة للبُعدين اللذين أطَرا فكرته حول القُطرية المصرية فإن المسحة الإسلامية تظهر في قُطريته والتي يؤكدها حين يذكر أن مصر جزء من الأمة الإسلامية، لكنها كانت قبلا في العصور القديمة

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص89.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] نفسه، ص.ص89-90.

[4] رفاعة الطهطاوي، مصدر سابق، ص187.

[5] سيلفستر دي ساسي (1172-1758م)، هو مستشرق فرنسي، لقبه البدوي بشيخ المستشرقين الفرنسيين، درس اليونانية واللاتينية ثم العربية والعبرية، كما أتقن عدة لغات أوروربية، ينظر: خير الدين الزركلي، **موسوعة الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص78.

[6] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص80.

والحديثة معاً أمة منفصلة تشكل موضوعا مستقلا للتفكير التاريخي ، حيث تتلخص فكرة القُطرية المصرية في كون "جميع من يعيشون في مصر جزء من الجماعة الوطنية"[1].

وفي ذات السياق يعتز رفاعة الطهطاوي بعظمة مصر الغابرة ويهتم بمستقبلها وقد كتب قصائد مدح للأسر الحاكمة وفيها أيضا مدح لمصر القديمة ، وهو يصرح بحب أرض النيل وبماضيها المجيد ويظهر جليا في قصائده عن الوطنيات إضافة إلى كتابين عن التاريخ[2].

وفي إطار دعمه لفكرة القُطرية المصرية اعترف رفاعة الطهطاوي بوجود أمة جامعه ، ويقصد بذلك الأمة الإسلامية، وهي مسحة لم يغفلها في تفسيره لقُطرية مصر-كما أسلفنا الذكر- غير أنه أكد على أن داخل الأمة الجامعة "جماعات قومية تنادي بولاء أبنا ئها لها" [3]، وقد نَظَرَ لمُحتوى فِكرته في هذا السياق الباحث جانكوفسكي بأنها تحمل مضامين علمانية ،كونه يرى "الأُخوة الوطنية إلى جانب الأخوة الدّينية بين كل المصريين"[4].

إن المتمعن في قول رفاعة الطهطاوي يدرك بأنها إشارة صريحة للفكر الذي دعا إليه حول بناء مصر القُطر دون إغفال انتمائها لجماعة أكبر وهي الجماعة الدّينية الإسلامية على وجه الخصوص [5].

وفي ذات السياق يُعرب عن وجود مصر "كأمة منفصلة تشكل موضوعا مستقلا للتفكير التاريخي، جميع من يعيشون في مصر جزء من الجامعة الوطنية"[6]، وهو بذلك يؤكد على أن مصر تعيش بولائين بولائين الأول تجاه من يدينون بالدّين الواحد، والآخر تجاه من يسكنون أرضا واحدة. وهو النهج

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص90.

[2] ترك رفاعة الطهطاوي إنتاجا غزيرا، ويعتبر أهم ما له صلة بالموضوع هي كتاباته المتعلقة بالتاريخ المصري مثل: أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، وكذا كتابه نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز. ومن شعره:

يا مصرُ أنتِ أرضُ كل مُعجزه ... كم فيكِ من آثار فخرٍ مُنجزه

قد عُدتِ كالعصر القديم مُنتزه ... لله إسماعيلُ فيما أبرزه

في حيّز الوجودِ فوقَ الحدِّ ... يدومُ فخره كما الأهرامْ

ينظر: مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص93.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص91.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص33.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص91.

[6] المرجع نفسه، ص90.

نفسه الذي سلكه فيما بعد سعد زغلول [1]، حيث يقر بمصر كشي ء محدد في المكان ومتصل في الزمان، فرعوني وعربي على السواء.

اضطلع رفاعة الطهطاوي بمهام الوطني، فترجم نصوصه وأعطى مضمونا حضاريا وتُراثيا لفكرة الوطن، وذهب إلى أن الوطن هو الوطنية الإقليمية، حيث يتعايش فيه جميع أبنائه[2].

2. ملامح القُطريّة من خلال تجربة الثورة العُرابية (1881م):

مثّلت الثورة العُرابية إحدى صور التلاحم وتاريخا جديدا لمصر، وكذا نقطة البداية لظهور مفهوم الوطنية المصرية، أو الوعي الوطني حيث اختلطت بين الفعل العسكري والتأطير الفكري بغية تحقيق مطالبها، ولعل أن العبارة التي أطلقها أحمد عرابي أمام القناصل وبحضور حاكم مصر الخديوي مُحَمَّد توفيق حين قال: "نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم"[3]، جعلت من ذلك اليوم مشهودا لتاريخ الوطنية المصرية، كما أن "أحمد عرابي باشا يؤمن بمصريته وبحق أبناء مصر في تحمل مسؤوليتها، وكان له دور في ترسيخ مبدأ مصر للمصريين"[4].

ومن بين الذين ذاع صيتهم أيام الثورة العُرابية نقدم أنموذجان يحملان توجها واضحا للفكر القُطري هما: عبد الله النديم، وأديب إسحاق:

---

[1] سعد زغلول ولد سنة 1857م في قرية إيبانة بمحافظة كفر الشيخ، تلقى تعليمه في الكتاب ثم التحق بالأزهر عام 1873م، تعلم على يد جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده، انتقل إلى معاون بوزارة الداخلية لكنه فصل منها لاشتراكه في ثورة عرابي 1882م، اشتغل بالمحاماة لكن قبض عليه عام 1883م بتهمة الاشتراك في التنظيم الوطني المعروف بـ"جمعية الانتقام"، شغل منصب وكيل للنيابة ثم رئيسا، ثم نائب قاض عام 1892م، انضم إلى الجناح السياسي لفئة المنار التي كانت تضم أزهريين وأدباء وسياسيين ومصلحين اجتماعيين ومدافعين عن الدين، وهو أحد المساهمين في وضع حجر الأساس لإنشاء الجامعة المصرية مع كل من مُحَمَّد عبده، ومُحَمَّد فريد، وقاسم أمين عام 1907م، تولى رئاسة الحكومة في 18 جويلية 1907م، وأدى غيابه في منفاه إلى اضطرابات مصر مما أدى إلى الثورة المصرية عام 1919م، تصاعدت المطالب البريطانية اللاحقة التي شعرت أن سعد زغلول صار شخصا غير مقبول، استقال وعاد لاحقا إلى الحكومة في عام 1926م حتى وفاته عام 1927م. ينظر: https://ar.wikipedia.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/12/11، الساعة 18.00.

[2] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص157.

[3] مُحَمَّد متولي، مرجع سابق، ص 11. ينظر أيضا: عبد الرحمان الرافعي، **الزعيم الثائر أحمد عرابي** ، دار مطابع الشعب، ط 3، القاهرة، 1968، ص01.

[4] المرجع نفسه، ص20.

أ. عبد الله النديم (1844-1896م):

كان عبد الله النديم[1] لسان حال عرابي ورفاقه، حيث عبرت مقالاته عن "القومية" والوحدة، وهي بحسب مفهومه تشمل الأقباط، وقد اعتبره الباحث ألبرت حوراني أول الوطنيين الشعبيين، ولم يع أن الأمة المصرية مكتفية بذاتها وتستطيع بعث نهضتها بالاقتصار على مواردها الخاصة [2]، كما أنه يحمل فكرا نهضويا يتوافق مع مشروع مُحَمَّد علي السياسي واستمرت فكرته حتى بعد الثورة العُرابية[3].

أصدر عبد الله النديم صحيفة التنكيت والتبكيت في 1881م تعرض فيها للهجوم على الاستعمار ودافع عن الشخصية القومية وسخر من القيم الاقطاعية، وبعد فترة أصبحت صحيفة رسمية للثورة وغيرت اسمها إلى "اللطائف" لأنها تريد الحصول على أكثر قاعدة شعبية وتصبح أكثر وقاراً واحتشاماً وتخاطب فئة معينة أكثر تنوراً وثقافة ، وقد عُطلت مرات عدة لأنها تحولت إلى مقاومة للاحتلال ودعت للحرب تستنفر الشعب إلى القتال[4].

كما يُعد عبد الله النديم أحد "أقطاب الوطنية المصرية والحركة الوطنية" [5] التي نشأت قبل الاحتلال البريطاني ، فقد كتب قائلا: "يا بني مصر... ليعُد المسلم منكم إلى أخيه المسلم تأليفا للعصبية الدّينية، وليرجع الاثنان إلى القبطي والإسرائيلي تأييدا للجامعة الوطنية، وليكن المجموع رجلا

---

[1] هو عبد الله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي، الشهير بالنديم ولد عام 1845م بمدينة الإسكندرية، أرسله أبوه إلى احد كتاتيبها ليتعلم القراءة والكتابة وليحفظ القران الكريم، ولقد اظهر عبد الله النديم ذكاء خارق وذاكره قوية، فأتم حفظ القران وهو في سن التاسعة من عمره انظم إلى جمعية مصر الفتاة وحث أعضاءها على الخروج من السرية إلى العلن، والعمل جهاراً بدل العمل في الخفاء، حتى لا يعطوا الخديو إسماعيل وأعوانه ذريعة البطش والتنكيل بهم والزج في السجون، وكان يخطب بالناس ويحثهم على الوقوف في وجه التدخل الأجنبي في شؤون البلاد، ونفي عدة مرات عن البلاد وظل يعاني مرض السل حتى توفي عام 1896م. للمزيد من التفاصيل ينظر: شحاتة عيسى إبراهيم، **عظماء الوطنية في مصر العصر الحديث** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة، مصر، 1977، ص.ص113-137.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص202.

[3] يسري توفيق مُحَمَّد خالد السيفي، مرجع سابق، ص29.

[4] صلاح عيسى، **البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة** ، أفاق عربية ، ج 04، ع 06، السنة 04، بغداد، 1979، ص.ص275-279.

[5] مُحَمَّد متولي، مرجع سابق، ص27.

واحداً يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين" [1]، من خلال هذا القول ندرك أن عبد الله النديم دعا إلى تحقيق وحدة دينية ووطنية جامعة لكل سكان مصر بغض النظر عن الجنسية أو الأصل، بل يكفي الإقامة بأرض مصر وحبها حتى تتجسد المصلحة العليا لمصر.

مما ورد من كتاباته حول الوطنية في جريدة "التنكيت والتبكيت ": "أيها الوطنيون أُوصيكم بكلمة الاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف وأحذركم من التخاذل وسماع أقوال أهل الأهواء... فالله الله عباد الله في بلادكم وأنفسكم وأعراضكم فاجتنبوا كبائر النفور وصغائر الضغائن والأحقاد ولا تقولوا هذا عربي وهذا تركي وهذا جركسي، فكلمة الوطنية تجمعنا ووحدة الدّين تنادي بيننا بالاتحاد"[2].

ب. أديب إسحاق (1856–1885م):

نادى أديب إسحاق [3] بفكرة الوطن حتى أصبحت دعوة شعبية عامة شعارها "مصر للمصريين"، فقد كتب: "يا أيتها الأمة المصرية انهضي من عثرة الغفلة وأنظري إلى الذين نالوا السعادة فإنك أهل لأعظم المواهب"[4]. عمل على تغذية حوادث 1882م للثورة العُرابية من خلال ما نقله إلى القراء المصريين من ترجمة من اللغة الفرنسية، وكانت فكرة المجتمع السياسي القائم على تضامن غير التضامن الدّيني تحتل مكانا رئيسيا في تفكيره [5]، حيث أشار إلى أن الوطن هو المسكن، ويجب على ذوي الحياة السياسية من وحدة تجمعهم وأن الوطن إنما هو خير وجود للوحدة لامتناع الخلاف والنزاع

---

[1] سلافة النديم، **بقلم عبد الله النديم**، ج1، المطبعة الجامعة، ط1، مصر، 1897، ص78. ينظر أيضا: مجلة الأستاذ، ع42، السنة 01، مطبعة المحروسة، مصر، 13 جوان 1893.

[2] عبد الله النديم، التنكيت والتبكيت، ع18، السنة 01، مصر، 16 أكتوبر 1881، ص07.

[3] ولد أديب اسحاق في دمشق سنة 1856م، تعلم العربية والفرنسية، ونبغ باكرا فنظم الشعر قبل أن يتجاوز العاشرة، انضم إلى جمعية زهرة الآداب ثم تولى رئاستها وكان يلقي الخطب والمحاضرات والقصائد، جاء للقاهرة سنة 1876م، حيث التقى بجمال الدين الأفغاني والنخرط في حلقته، فساعده على إصدار صحيفة "مصر" في القاهرة سنة 1977م، ثم نقلها إلى الإسكندرية ليصدر معها بالتعاون مع سليم النقاش صحيفة "التجارة" اليومية سنة 1878م، واضطر لمغادرة مصر إلى باريس حيث أعاد إصدار صحيفته "مصر"، أقام في باريس علاقات مع بعض رجال الدولة وكتب في الصحف الفرنسية عن الشرق، وحضر جلسات مجلس الأمة، لكنه أصيب بالسل فعاد إلى بيروت، ليغادر مجددا إلى مصر حيث اختير سكرتيرا ثانيا لمجلس شورى النواب، ثم عاد لبيروت وما لبث أن توفي سنة 1885م. ينظر: https://arabthought.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/12/11، الساعة: 17.00.

[4] علي المحافظة، مرجع سابق، ص123.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص201.

فيه[1]، كما نادى بفكرة الجماعة الشرقية التي يوحدها احتقار أوروبا لها ومقاومتها للنفوذ الأوروبي، وأشار إلى الجماعة العربية القائمة على وحدة الشعور، والجماعة العثمانية التي تربط بينها شريعة مشتركة وسلطة واحدة ورغبة في العيش المشترك، والأهم في كل هذا دعوته إلى فكرة الوطن الذي هو الوحدة الإقليمية التي ينتمي إليها جميع القاطنين فيها والغيورين عليها[2].

لقد سجل "أديب إسحاق" أقوى المعاني محركا للهمم ودافعا للنفوس الحرة إلى التضحية في سبيل الوطن والحرية لا في البلاد المصرية فحسب، بل حيث ذهب وحلّ، ففي باريس أصدر جريدة "القاهرة" التي تغنى فيها بمصر وأمجادها[3].

ويُرجع مُحَمَّد مُحَمَّد حسين بذور القُطرية المصرية إلى الثورة العُرابية ويؤكد على أنها كانت مختلطة بالإسلام[4]، حتى أنها لم تدعو إلى الانفصال عن الدولة العثمانية وإن كانت ضد مقاومة استبداد العنصر الجركسي والنفوذ الأوروبي، وقد هدفت إلى "إنشاء رابطة عاطفية بين المصري ووطنه تحفزه إلى الاهتمام بأمره والعمل على رفعته وأداء واجبه نحوه من جهة، والمطالبة بحقه من جهة أخرى"[5].

3. مُحَمَّد عبده ومسألة الأمة المصرية:

أُثيرت مسألة الأمة المصرية بعد الحملة البريطانية على مصر 1882م، إذ أتت من الخارج مع الحكام البريطانيين والجاليات الأجنبية المسيطرة على حياة مصر الاقتصادية مفادها أن مصر ليست أمة ولا يمكنها تحقيق كيان وطني مستقل[6]، وقد عمل جيل ما بعد الاحتلال خاصة مع مطلع القرن العشرين على مقارعة الفكرة إذ أثرت في أوساط المثقفين المصريين أيما تأثير فعملوا على دحضها.

وقد كان اللورد "كرومر" من أوائل متزعمي فكرة النكران لوجود أمة مصرية ، حيث أنه وفي معرض حديثه عن إشكالية الحكم الذاتي في مصر نفى أن تكون هناك أمة مصرية، فحسبه لا وجود

---

[1] مُحَمَّد أحمد خلف الله وآخرون، **القومية العربية والإسلام**، م.د.و.ع، ط3، لبنان، 1988، ص36.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص202.

[3] مرذر معاليقي، مرجع سابق، ص134.

[4] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص09.

[5] المرجع نفسه، ص10.

[6] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص204.

لها وأن تكوينها يتطلب من الناحية الزمانية ربما أجيالا فيقول في ذات السياق: "الحكم الذاتي المناسب لمصر هو السماح لجميع القاطنين فيها من مسلمين ومسيحيين، ومن أوروبيين وآسيويين وأفريقيين أن ينصهروا معا في هيئة حاكمة واحدة، فإذا لم يتحقق ذلك وقد يتطلب تحقيقه أعواما، لا بل أجيالا، فمن الضروري أن تتخلى مصر عن فكرة الحكم الذاتي"[1].

من خلال تصريح اللورد كرومر يتجلى لنا أن مسألة الحكم الذاتي طرح معقد من وُجهة نظر البريطانيين، إذ يعتبر الأمة المصرية لا وجود لها، وأن تكوينها يتطلب فترة زمنية طويلة ، كما أننا نرى أن دفع كرومر للمصريين البحث في هذه المسألة غرضه فصل مصر عن الأمة العربية، وبداية التأسيس لكيان مصري قائم بذاته، وهو الأمر الذي انجرت ورائه بعض أطياف النخبة المصرية، غير أننا نرى أنه خطأ وقع فيه هؤلاء لأن مصر ليس أمة بل هي شعب يعيش داخل أمة عربية جامعة.

وقد زاد الشرخ في قضية الأمة المصرية عندما تأجج الصراع بين الأقباط والمسلمين أو ما عُرف "بمحنة الجامعة المصرية" [2]، حيث عقد المؤتمر القبطي سنة 1910م، والمؤتمر المصري سنة 1911م، عمل الأقباط على اعتبار أنفسهم أمةً مُستقلة لها كيان منفصل عن مصر، وعمل مقابل ذلك المؤتمر المصري للرد على المطالب القبطية للمؤتمر والتي لا تقوم على أساس من المواطنة المصرية، ولكنها تقوم على أساس ديني فقط[3].

وفيما يلي نعرض أنموذجا لتصور الأمة المصرية مثله قطب من النخبة وهو مُحَمَّد عبده، حيث يذهب الشيخ الإمام أن للأمة المصرية كيان مستقل غير أنه في حالة انحطاط فقط، فهو القائل: "نحن أمة لا حزب" ، ويضيف "أمة مصرية لا تعير العرق أي وزن" [4]، وفي تفسيراته لتطور المجتمع المصري رأى بأنه "يحمل خطر الانقسام إلى دائرتين دون اتصال حقيقي بينهما دائرة تنحسر يوما عن يوم

---

[1] Cromer, Op.Cit. P223.

[2] كتب الشاعر المصري الغاياتي قصيدة تؤرخ للصراع الإسلامي القبطي بمصر، جاء منها:

وما أُمة القرآن في مصر أمة ... ترى الأمة الإنجيل أبغض جيلا

فإنا وأنتم في بلادنا ... أقمنا على دين السلام طويلا

لنذود عن الأوطان إن طم حادث ... ونحمي حماها بكرة وأصيلا

ينظر: مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص 141.

[3] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص11.

[4] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 226.

وهي الدائرة التي تسودها شرائع الإسلام ومبادؤها الخلقية، ودائرة تتسع يوما بعد يوم وهي الدائرة التي تسيطر عليها المبادئ المستمدة بالاستنباط العقلي من اعتبارات المصالح الدنيوية" [1]، كما يفسر مُحَمَّد عبده وحدة الأمة على أنها وحدة معنوية لا يؤثر فيها الانقسام إلى دول قومية، وفي ذات السياق يرى بأنه لا يمانع في أن يكون للأمة المصرية رئيس يحكم تحت إشراف الخلافة الدّينية وعلى الرغم من مسحته الدّينية الإسلامية إلا أنه ظل قوميا مصريا كونه متأصلا (ابن بلد).

ويؤكد مُحَمَّد عبده بأن "التاريخ والمصالح المشتركة بين الذين يعيشون في البلد الواحد تخلق رابطة عميقة فيما بينهم، بالرغم من اختلاف الأديان" [2]، وقد أثار شعوره أهمية الوحدة في نظرته إلى الإصلاح الإسلامي والأمة، فيرى أن الوحدة ضرورية في الحياة السياسية وهو في هذا يساير رؤية أحمد لطفي السيد القائل بأن الأمة المصرية: "كيان ذو وجود سياسي منفصل، يمكن خلاله قيام مجتمع فاضل على غير الأساس المشترك الذي وضعه الدّين والشريعة"[3].

ويشير إلى أن الوحدة الأقوى لا تكون بين "الذين ينتمون إلى البلد الواحد أي ذلك المكان الذي لا يعيشون فيه فحسب، بل يجدون فيه أيضا مجالا لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة وموضوعا لمحبتهم وعزتهم"[4].

إن أكثر كتاباته في هذه المرحلة على أهمية من حيث المستوى المعرفي والفكري، حيث كان مُحرّرا في تلك الفترة في جريدة الوقائع المصرية، إذ يفهم من خلال الكتابات أنه يخطط في الحقيقة للدولة القومية الحديثة على أساس تنمية الدولة القائمة وتحويلها من دولة تنتمي إلى القرون الوسطى إلى دولة قومية وحديثة معا[5].

ولقد كان مُحَمَّد عبده يرى بالإضافة إلى تجديد الأدب والعناية باللغة وتعليم فنونها وآدابها، وإتقان الكتابة والخطابة ضرورة تحقيق إصلاح فوق هذا الإصلاح، ومن ذلك تأليف المجامع والمعاجم

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 145.

[2] المرجع نفسه، ص164.

[3] أحمد لطفي السيد: **المنتخبات**، دار النشر الحديث، مصر، 1937، ص133.

[4] رشيد رضا، **تاريخ الإمام الأستاذ مُحَمَّد عبده**، مطبعة المنار، ط1، القاهرة، 1931، ص.ص194-195.

[5] سامي خشبة، **تحديث مصر، قراءة نقدية ومستقبلية**، مطبعة فتى النيل، ط1، مصر، 2002 ، ص02.

وفلسفة البيان والانتقاد، بل له دوره في حركة إنشاء الجامعة المصرية قبل وفاته، مما يمكن من تحقيق نهوض علمي وأدبي وقانوني وسياسي يتكامل في مصر[1].

انتهت صيحات الصراع حول مسألة الأمة والتي كانت مُتباينة مُتنافرة تأخذ الناس من كل الجهات، وقد ساعدت على تبنيه الوعي القومي وإنضاج التفكير، فكانت أشبه شيء بالفوضى التي تُمهد للنظام وبالسديم الذي يتكشف عن الإجرام وبالشك الذي يلدُ اليقين[2]، وفي ختام المؤتمر المصري (29 أفريل 1911-04 ماي 1911م) تلى أحمد لطفي السيد التقرير الذي أكد على أن المؤتمر يبحث في المصلحة العامة وينظر في التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التي كاد يتصدع بناؤها بسبب المؤتمر القبطي، حيث أكد على أن الأقلية والأكثرية في الأمم تقوم على أساس الدّين، ولكنها تقوم على أساس المذاهب السياسية، وأن الأمة باعتبارها كائنا سياسيا أو نظاما سياسا إنما يتألف من عناصر سياسية كذلك[3].

وكانت الإجابة التي تفضل بها زعماء مصر سنة 1919م للإنجليز عندما سألوهم الاستقلال دلالة قاطعة على وجود مصر الأمة، حيث "ذهب زعماء مصر سنة 1919م يسألون الإنجليز عن وضعهم، فسألهم الإنجليز عما يقصدون، فقالوا زوال الاحتلال البريطاني، فلما سألهم الإنجليز وبعد الاحتلال هل تعودون إلى سيادة الدولة العثمانية المنهزمة، فقالوا لا، بل تعود مصر لمصر... فدهش الإنجليز وسألوا ما هي مصر؟ إننا لا نعرف شيئا اسمه مصر، ولكن فقط مُجرد قُطر اسمه "القُطر المصري" كما هو موجود على الخرائط الرسمية، يتبع سياسيا الدولة العثمانية، وحضاريا الحضارة العربية حسب اللغة والدّين، أما مصر فأين هي؟ وما هي مقوماتها؟ وما هي شخصياتها؟ وكانت الإجابة عسيرة، عندئذ قام رجال الفكر والفن والاقتصاد يجيبون عن السؤال ويبحثون عن مصر"[4].

---

[1] رشيد رضا، مصدر سابق، ص201.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص136.

[4] توفيق الحكيم، **مصر بين عهدين**، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988، ص.ص13-14.

4. أحمد لطفي السيد (1872–1963م):

يتوجب علينا قبل عرض تصوّر أحمد لطفي السيد لقُطرية مصر، البحث عن العوامل التي ساعدت من جديد على إعادة انبعاث القومية المصرية ذات البعد القُطري، حيث تفاعلت جملة العوامل الداخلية والخارجية لانبعاث قومية مصرية جديدة عقب نهاية الثورة العُرابية ومع مطلع القرن العشرين، وهي قومية قُطرية تعتبر أرض مصر ووادي النيل كفيلان بخلق قومية مصرية متميزة، ويمكن أن نحدد أهمها فيما يلي:

- **العوامل الداخلية:** ويتجلى بعض منها في:

– نمو روح العداء للأجانب جراء الممارسات الناجمة عن الاحتلال البريطاني لمصر 1882م.

– قيام أحزاب سياسية شكلية كأداة للتعبير السياسي وهو مظهر جديد في الحياة السياسية المصرية.

- أما **العوامل الخارجية** يمكن أن يتجلى بعضها في:

– ثورة 1908م في الدولة العثمانية ، ومن ثمة بداية تصور وطن دون سلطة لا مركزية ولا زمنية ولا روحية أي الاحساس ببداية التخلص من جميع أشكال التبعات للأستانة.

– أزمات الدولة العثمانية خلفت شعورا لدى المصريين بأن الدولة العثمانية لم تعد تقوى لا على حماية نفسها ولا على حماية المنتسبين إليها.

– بروز تيار عربي متطور في غرب آسيا: مثلته الثورة العربية سنة 1916م فيما بعد بقيادة الشريف حسين بن علي.

لم تنته مسألة القُطرية المصرية عقب الثورة العُرابية تماما، فقد عادت إلى الظهور بفعل جملة من العوامل عددناها فيما سبق، وكانت إحدى صور تجليات القومية المصرية ذات البعد القُطري في أفكار أحمد لطفي السيد (1872-1963م) الذي يُعد أحد تلامذة الشيخ مُحَّد عبده، وأحد المؤسسين لحزب الأمة ورئيس تحرير الصحيفة الناطقة باسمه "الجريدة" ، غير أنه لم يشبه أحدا في تقديم تفسيرات للقُطرية المصرية لا أستاذه مُحَّد عبده ولا غيره، فقد تفرد تصوره لقُطرية مصرية خالصة [1]، نحاول تتبع تفاصيلها فيما يأتي.

[1] إن جدية فكر أحمد لطفي السيد وعدم ركونه للتوفيقية وعدم خضوعه للمرجعيات التقليدية في تصوره للدولة وقضايا المجتمع، كونه يحتمع بقوة النظر والبُعد العملي المتصل بمعاركه السياسية في الواقع ، كما أن محدودية انتشار فكره تبعا لآثاره كان نتيجة =

كان أحمد لطفي السيد ابنا لأحد وجهاء الريف، التحق بمدرسة ثانوية حديثة ثم بكلية الحقوق ومع أنه عُرِفَ بأنه أحد تلامذة مُحَمَّد عبده[1]، فإنه لم يفضل اتخاذ الإسلام أساسا للنهضة القومية، وإنما تركزت رؤيته السياسية حول مصر بوصفها بلدًا مستقلا فريدًا بسماته، وبهذا يعد أحمد لطفي السيد من أوائل القوميين الذين بنوا فكرهم على مفهوم الدولة القومية في العالم العربي، واختلف مع أولئك الذين كان ولاؤهم الأول للعرب أو العثمانيين أو مثاليات الخلافة الإسلامية، وروج لنموذج الوطن المصري الذي يتمتع بحق طبيعي في الحكم الذاتي عن طريق المنابر التي حظي بها بوصفه أحد مؤسسي حزب الأمة.

تميّز فكر أحمد لطفي السيد حول القُطرية المصرية ،كون "أن الدّين لا يعنيه كأحد مكونات المجتمع"[2]، وفي ذلك وصفه سلامة موسى في مقال نشر بجريدة الهلال تحت عنوان "المجددون في الشرق العربي"، قال: "قضى أكثر من ثماني سنوات يقود شباب مصر المستنير عن سبيل —الجريدة– التي كان يحررها طول هذه المدة، فدعا إلى الدستور وصمد لأمير البلاد في هذه الدعوة، ودعا إلى الوطنية في وقت كانت تتعالى حوله أصوات سخيفة صاخبة بأن مصر جزء من الدولة العثمانية، وهي شائعة في العالم الإسلامي، ولكنه استطاع أن يُسكت هذه الأصوات، وكان أكبر عامل في انضمام الأقباط إلى الحركة الوطنية المصرية لأنه حدد معنى هذه الوطنية وجعلها مقصورة على مصر"[3].

وإذا كان لم يعالج قضايا الفكر الدّيني مباشرة فإن طريقته في معالجة "المسألة الوطنية المصرية ومطالبته بانتهاج النظام الليبرالي أو ما يسميه بالنظام الحر، وما يستند إليه من قيم وأسس فلسفية وحضارية كلها قضايا يستنتج منها توجهاته الليبرالية بشأن الدّين"[4]، حيث بنى فكرته حولها على أساسين:

=للمواقف الراديكالية للفكر السلفي والتيارات الاشتراكية والقومية المنتشرة آنذاك والمعادية للفكر الليبرالي. ينظر: يسري توفيق مُحَمَّد خالد السيفي، مرجع سابق، ص26.

[1] أحمد لطفي السيد، **حياتي**، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013، ص12.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص181.

[3] سلامة موسى، **المجددون في الشرق العربي**، الهلال، ع02، مطبعة الهلال، مصر، 01 نوفمبر 1924، ص135.

[4] مُحَمَّد نور الدّين، "**إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر**"، أطروحة دكتوراه علوم (غير منشورة)، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص40.

+الأساس الأول: أن المجتمع البشري متجه بحكم سُنة التقدم الذي لا يقاوم نحو طور مثالي يتميز بسيطرة العقل، واتساع أفق الحرية الفردية، وازدياد التخصص والتشابك، وزوال العلاقات القائمة على العادات والأوضاع الراهنة.

+الأساس الثاني: أثر فيه فكر غوستاف لوبون* بخصوص فكرة "الطبع القومي"، حيث يرى أن لكل شعب بنيته الذهنية الثابتة ثبوت بنيته الجسدية، والتي تتكون بالتراكم التاريخي البطيئ إلى حد ما[1].

والبنية الذهنية الثابتة في تصوره تتكون بعنصرين هما :العقل والطبع. أما الطبع فيقصد به مجموعة المواهب الناجمة عن الإرادة والمثابرة والنشاط وقوة التسلط، وبأن الإيمان الدّيني هو أهم العوامل المؤثرة في الطبع القومي (عندما يولد دين تولد مدنية) ، وهي ذاتها الفكرة التي أسهب المفكر الجزائري مالك بن نبي في شرحها وضمنها كتابيه ميلاد مجتمع، وشروط النهضة[2]، أما بخصوص الدّين فهو يتكيف بعد خمود الحماسة الأولى وفقا للطبع القومي[3].

يحدد أحمد لطفي السيد الأمة على أساس الأرض (القُطر)، ولم يفكر بأمة عربية باعتبار لغوي (قومية عربية) أو أمة إسلامية باعتبار ديني (خلافة عثمانية)، بل فكر في أمة مصرية، وبعبارة أخرى "أمة القاطنين أرض مصر"[4]، وبخصوص طبيعة المجتمع الذي يسكن هذه الأرض فإنه يذهب إلى أن لهذا المجتمع المصري ماضيان، ماضي فرعوني وآخر عربي ، ومن المهم أن يدرس المصريين الماضي

---

* غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) (1841-1931م): طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا، من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند وباريس (1884م)، والحضارة المصرية وحضارة العرب في الأندس، وسر تطور الأمم، وروح الاجتماع الذي كان إنجازه الأول. ينظر: https://arabthought.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/12/11، الساعة: 17.00.

[1] غوستاف لوبون، **سر تطور الأمم**، تر: أحمد فتحي زغلول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص108.

[2] ينظر: مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، دار الفكر العربي، دمشق، 2009. وكذا كتابه: **شروط النهضة**، دار الفكر العربي، دمشق، 2009.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص181.

[4] المرجع نفسه، ص184.

الفرعوني كونه يلقنهم "قوانين النمو والتقدم"[1]، وهو يساير فكر رفاعة الطهطاوي في هذا حيث يؤكد على أن مصر "كانت حائزة كمصر الحديثة على سر التقدم الدنيوي"[2].

ولا تتوقف عنده مصرية القاطنين بأرض مصر على الأصل الواحد أو اللغة المشتركة أو الدّين الواحد، فهم حسبه ليسوا مصريين لوحدهم إنما الصلة التي تربط جميع القاطنين في مصر الراغبين في ربط مصيرهم بمصيرها قوية لدرجة أنها تتغلب بسهولة على اختلاف الدّين أو اللغة أو الأصل، فما يجعل من المصري مصريا إنما هي إرادته في اتخاذ مصر وطنه الأول والوحيد [3]، وفي هذا السياق يدعو أحمد لطفي السيد إلى "انصهار جميع المقيمين بمصر في أمة مصرية واحدة"[4]، وبهذا يصوغ رؤية دقيقة لقومية مصرية قُطرية [5]، كيف لا "والأمة في رأيه كيان حي، ووحدة طبيعية نشأت عن الحاجات الإنسانية التي لا مفر منها للجماعة"[6].

من خلال ما سبق يمكننا إجمالا أن نقدم تصورا للقُطرية المصرية عند أحمد لطفي السيد، حيث يُقر بوجود جماعة مصرية تسكن مجالا طبيعيا، توحدهم المصلحة الوطنية، ويضيف أنه لا فرق بينهم لا من حيث الديانة ولا الجنسية، بمعنى أنه لا يولي أي اعتبار للفروقات اللغوية والدّينية وغيرها ، يكفي أن تسكن أرض مصر.

ولعل أن النقد يُسجل ضد توجه أحمد لطفي السيد في تفسيره للقومية القُطرية جاء على لسان المفكر الإسلامي "أنور الجندي" حيث يقول: "وإذا كان من حقنا أن نجري مع الفكر الغربي في حلبة الفكر الإنساني، فإن من حقنا أن يكون للقيم مفهومها المستمد من فكرنا وتاريخنا وتجربتنا وأن

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص36.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص185.

[3] المرجع نفسه، ص.ص185-186.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص39.

[5] وصف أنور الجندي فكر أحمد لطفي السيد فقال: "يؤمن بالغرب وهو مثله الأعلى في نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، كان يكره الدولة العثمانية والخلافة والجامعة الإسلامية والعروبة ولا يؤمن إلا بالإقليمية الضيقة مصر للمصريين"، ينظر: أنور الجندي، **أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، لطفي السيد وطه حسين**، دار الأنصار، القاهرة، 1979، ص05.

[6] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص35.

لا يفرض علينا مفهوم الغرب لها، ومن هنا بدأت مراجعة النظرية التي تقول بأن اللغة والتاريخ من مقومات القومية، وأن الدّين ليس مقوماً"[1].

وقد أكد على رأيه، حيث أورد أحمد لطفي السيد في الصحيفة التي أشرف على تأسيسها ورئاسة تحريرها" الجريدة" ، فكتب يقول: "الجمعية المصرية تتألف من المصريين الأصليين ومن عناصر أخرى جديدة من الأجانب حلَوا بمصر على سبيل القرار، وجعلوها موضع سعيهم فصارت بعد قليل محل ثروتهم وموطن حياتهم في الحال والاستقبال"[2].

وفي هذا الإطار اِعتبر السوريين المقيمين بمصر أنفسهم جزء من الأمة المصرية لهم ما على إخوتهم المصريين فهم شركاء في السراء والضراء، حيث ورد في هذا السياق: "نحن نعتبر أنفسنا جزء لا ينفصل عن الأمة المصرية وقد مضى علينا في مصر أكثر من مائة وعشرين سنة وفي هذه المدة تمتعنا بخيراتها ونحن لا نعد أمراء إلا بالانتساب إليها، ومن أقدس الواجبات علينا أن نكون قلبا وقالبا إلا مع الأمة وأن نحس بإحساسها، نفرح لفرحها، ونحزن لحزنها، ونعمل في السبيل الذي تعمل فيه ، ويحق لنا أن نفتخر بمجهوداتها، فإن هذه المجهودات من شأنها أن ترفع رؤوسنا ولا يمكن أن نطلب إلا ما تطلبه الأمة بأسرها وهو الاستقلال التام للبلاد المصرية"[3].

وما تجدر الإشارة إليه في فكر أحمد لطفي السيد قوله بوجود شخصية مصرية متميزة، حيث أن الماضي المصري كله وحدة واحدة وأن مصر الحديثة نتاج لذلك الماضي ، فيقول: "لا شبهة عند أحد منا في معنى كوننا أمة متميزة عمَا عداها بمشخصات خاصة بنا، قد لا يشاركنا فيها غيرنا من الأمم ولنا لون خاص ، وميول خاصة ، ولغة واحدة شاملة، ودين للأكثرية واحد، وكيفيات في تأدية عملنا، ودم يكاد يكون واحدا، يجري في عروقنا ووطننا محدود الجهات بحدود طبيعية تفصلنا عن غيرنا"[4].

---

[1] أنور الجندي، **معالم الفكر العربي المعاصر**، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت، ص226.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص36.

[3] "**مصر**"، المقتبس، ع3118، السنة 12، الأربعاء 30 مارس 1921، مطبعة الإصلاح، دمشق، ص03.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص36.

من خلال ما سبق طرحه يمكننا أن نخلص إلى تميز فكر لطفي السيد بـ:

+الخاصية الأولى: يقوم فكره على أساس المنفعة وإنماء القومية المصرية الخالصة (القُطرية) وبعدها مجابهة المحاولات التي ترمي إلى إقامة الجامعة الإسلامية التي مصيرها الفشل، لأن الدّين لايصلح أساساً لإقامة الدول ويضع مقابل ذلك المبدأ العلماني، وهو أن المصالح أو المنافع هي التي تصلح لذلك ودعا المصريين إلى التمسك بقوميتهم متأثراً بفكرة جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي.

+الخاصية الثانية: يظهر من طرحه الفكري أن الليبرالية التي تقوم على مبدأ الحرية الفردية ويسميها (مذهب الحريين)، أما الاشتراكية يسميها (مذهب الجماعيين) أنه يأخذ بالنظرية الليبرالية كما وضعها آدم سميث[1] وجون ستيوارت م يل[2] التي تقوم على مبدأ الفردية ، وترى أن الدولة ليس لها دور في المجتمع إلا المحافظة على الأمن في الداخل والخارج والاهتمام بالتعليم.

+الخاصية الثالثة: تتجلى من خلال دعوته إلى نقل مقومات الحضارة الأوربية، وهي بمعناها نشر التعليم والاهتمام بالعلوم والفنون وإقامة الصناعات وتطوير الاقتصاد وتحرير المرأة وتطبيق الديمقراطية[3].

+الخاصية الرابعة: أحمد لطفي السيد لم يعر أسس بناء القومية بالمدرسة التقليدية أي اهتمام ودافع عن القُطرية كأساس للقومية دونما الحاجة إلى أي رابط آخر.

---

[1] آدم سميث (Adam Smith) (1723-1790م): فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد اسكتلندي (انكليزي) ، يعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي، دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية والمنافسة وحرية التجارة بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة، وهو أحد علماء عصر الاستنارة، له عدة مؤلفات أشهرها كتاب (ثروة الأمم). ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14:30.

[2] جون ستيوارت ميل (John sturat mill) (1806-1873م): هو فيلسوف اقتصادي بريطاني، كان والده أحد كبار أهل العلم والمعرف في القرن الثامن عشر، اهتم بتعليمه حتى أنه استطاع أن يجعل منه كائناً عقلانياً مزوداً بمعلومات واسعة، كان صافي الذهن فصيح جداً ومن مؤلفاته مباد ئ الاقتصاد السياسي، عن الحري ة استعباد النساء، أسس اللي يرالية السياسية. ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14:33.

[3] مؤتمر الحزب الوطني، **محاضر جلسات الحزب الوطني المصري عام 1910م**، الطليعة، القاهرة، ع 04، 1969، ص.ص157-159.

5. مصطفى كامل (1874–1908م):

أسس مصطفى كامل[1] الحزب الوطني المصري الذي يعد أول حزب أنشأ بمصر ببرنامج محدد، وكان أول من جعل الوطنية عقيدة ثابتة لدى المصريين ومطمحا ساميا تعتنقه النفوس وتعمل على تحقيقه[2].

تَمثل الأساس النظري والفكري الذي قامت عليه وجهة نظر مصطفى كامل فيما يلي[3]:

- المسألة المصرية مسألة دولية.
- الاستعانة بأوروبا لإكراه الإنجليز على الجلاء.
- التشبث بالدولة العثمانية باعتبارها الدولة صاحبة السيادة الشرعية على مصر.
- الدعوة للجامعة الإسلامية[4].

دعا مصطفى كامل للالتفاف حول حركة الجامعة الإسلامية تحت لواء السلطان العثماني لأنه كان يعتمد في مطالبته بالجلاء بناءً على ما لمصر من حقوق دولية تكفلها معاهدات واجبة

---

[1] مصطفى كامل: سياسي مصري ولد يوم 14 أوت 1874م بالقاهرة، تخرج من مدرسة الحقوق ثم انصرف للدعوة للحركة الوطنية بالخطابة وتنظيم المؤتمرات والعمل بالصحافة، وكان أكبر الكُتاب الاجتماعيين المصريين والمثقفين لذلك أدى دوراً في تطوير المنظمات الوطنية والنضال السياسي، ونشر كراسات هجائية سياسية طالب فيها جلاء القوات البريطانية عن مصر، وعدَّ التثقيف والدعاية للآراء الوطنية وسيلة أخرى للنضال من أجل استقلال مصر، وفتح في عام 1898م مدرسة وطنية في القاهرة، وفي عام 1900م أصدر صحيفة اللواء وكتب فيها مقالات ضد سياسية الدول الأمبريالية عامة، وفي عام 1907م أنشا الحزب الوطني واختير رئيساً له، توفي في 10 نوفمبر 1908م. للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد رشاد، **مصطفى كامل حياته وكفاحه**، مطبعة السعادة للطباعة والنشر، القاهرة، 1958، ص27؛ وينظر أيضا: مجلة الهلال، القاهرة، السنة 16، مارس 1908، ص326.

[2] مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مرجع سابق، ص237.

[3] المرجع نفسه، ص.ص237–238.

[4] الجامعة الإسلامية: ظهرت الفكرة أواخر القرن التاسع عشر نتيجة للضغط الإستعماري الأوربي في الشرق الإسلامي عامة والإحتلال البريطاني لمصر خاصة، وظهرت على لسان جريدة العروة الوثقى لمؤسسها جمال الدّين الأفغاني والشيخ مُحَمَّد عبده سنة 1884م، وكان السلطان عبد الحميد الثاني هو صاحب الفكرة وغايته من الفكرة هي جمع المسلمين في حوزة دولة الخلافة بالإضافة إلى مناوأة الاتحاديين في الداخل ومقاومة تيار القومية العربية في البلدان الخاضعة للحكم العثماني وإتخاذها أداة في مقاومة الضغوط التي كانت تتعرض لها الدولة العثمانية من الدول الإستعمارية، وحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية في مصر عن طريق حزبه الوطني. للمزيد ينظر: ذوقان قرقوط، **تطور الفكرة العربية في مصر (1805–1936م)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ص.ص244–246، وينظر أيضا: عصام ضياء الدّين، " **الحزب الوطني في مصر وعلاقته بتركيا الفتاة**"، آفاق عربية، ع01، السنة 02، بغداد، 1976، ص.ص12–14.

الاحترام [1]، ويؤكد مصطفى كامل على ترحيبه بفكرة الجامعة الإسلامية فيقول: "إننا نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شي ء نريد أن نرى أمة شرقية تصدر منها الأنوار إلى كل أمة مشرقية، ولأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة في مملكة الخلافة الإسلامية وهي في الحقيقة مملكتنا التي إليها نلجأ ونحوها نتجه"[2].

تصور مصطفى كامل أمة مصرية تحكم نفسها في إطار الوطنية الجديدة ، إذ يعتبر "مصر أمة واحدة لكنها جزء من العالم العثماني والمسلم والشرقي ولم يكن همه تحليل طبيعة المجتمع المصري ولا تربية المصريين بل تحريك الهمم في الصراع ضد البريطانيين"[3].

الأمة المصرية عند مصطفى كامل أمة مصرية إسلامية عثمانية، فهو يعطيها البُعد الروحي الدّيني الإسلامي، ويضيف لها الطابع السياسي فينسُبها للدولة العثمانية [4]، وأساس الوحدة في تصوره يكون هو الشعور أي الإحساس بالانتماء إلى الأمة وبالمسؤولية تجاهها، وموضوع الشعور عنده هو "أرض مصر" التي يتغنى بجمالها وماضيها العظيم "أرض مصر إله نعبده" [5]، أما القُطر من ناحية التقطيع الطبيعي فهو "وادي النيل" (مصر والسودان).

ويذهب إلى أبعد من ذلك في تصويره للجماعة الوطنية فيقول: " لايجوز للغة أو الدّين أو الوضع الحقوقي أن يؤثر فيمن تشملهم الوطنية فهي تضم مبدئيا جميع القاطنين أرض مصر" [6]، والمتمعن في حديث مصطفى كامل يدرك أن الوطنية المصرية لا تعنيها الفروقات المختلفة لا الدّينية ولا اللغوية وإنما كل من سكن أرض مصر فهو معني بها ، ويضيف في ذات السياق أن الرابطة المعنوية قائمة بين الأقباط والمسلمين إذ عاشوا معا قرون عديدة في منتهى الوحدة والتجانس ، لكن هذا لا

---

[1] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص24.

[2] مصطفى كامل، مصدر سابق، ص28.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص206.

[4] انحاز مصطفى كامل خلال ما عرف بصراع "طابا" (1906م)، وهي جزيرة بمنطقة سيناء المصري ادعى العثمانيون السيطرة عليها، ورفض المصريون الفكرة بدعم من الإنجليز، ومع ذلك ظل مصطفى إلى جانب العثمانيين معتبرا مصر كلها جزء من الامبراطورية العثمانية. ينظر: مصطفى كامل، مصدر سابق، ص66.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص212.

[6] المرجع نفسه، ص.ص212-213.

يعني في نظره أن على أي من الفريقين أن يتخلى عن دينه أو أن على مصر أن تكف عن كونها إسلامية قبل كل شي ء. ويبني مصطفى كامل فكرته حول الأمة المصرية على مبدأين: المبدأ الأول: الدّين، أما المبدأ الثاني: الحياة الوطنية. وحسبه دائما فهما يشكلان دائرتا الحياة، فليس هناك داع لأن يقوم نزاع بينهما، إذ أن الدّين الحقيقي يعلم الوطنية الحقيقة[1].

إن هذا الطرح الفكري لم يكن جديدا بالنسبة للفكر المصري، ذلك أن رفاعة الطهطاوي قبله أشار إلى أن المصري له ولائين، ولاء للإسلام وولاء لمصر، غير أن مصطفى كامل زاد عن ذلك بكونه لم يختزل الولاء الأول في الإسلام وفقط، بل وترك أيضا ذلك متاحا للأقباط، مكتفيا بالقول بأن الولاء للدين الحقيقي يعلم الوطنية الحقيقية.

ويذهب مصطفى كامل في تفسيره للقومية القُطرية المصرية إلى كون مصر لها ارتباط بالدولة العثمانية، على الرغم من أنه غالبا ما يضع "دفاعه عن استمرار الرابطة المصرية مع العثمانيين في إطار المنفعة المحتملة من هذه الرابطة في تحرير مصر من الاحتلال البريطاني"[2]، ويستشف من خطبه توظيف مصطلحات "الأمة المصرية" و"الأمة الإسلامية" دون أن يكون بينهما تناقض وأن على كل أمة إلتزامين: الأول تجاه دينها وعقيدتها، والثاني إلتزام تجاه الوطن وهو أرض آبائها[3].

ويُرد رأيه إلى عاملين الأول ميله التقليدي إلى رؤية مصر كجزء من العالم الإسلامي، أما السبب الآخر فهو محاولته تفسير الصراع العالمي آنذاك بين شرق وغرب أو بين مسلم ومسيحي مع تمييزه لأسبقية مصر على التوجه العثماني ، فيقول: "إن حُبنا لمصر له الأسبقية على كل شي ء آخر سواه... نحن نود أن تكون مصر للمصريين"[4]، ويعبر في موضع آخر: "إن الوطنية هي أشرف الروابط الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تُبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة وكل ما ترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية ما هو إلا ثمار الوطنية"[5].

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، **مصطفى كامل باعث الوطنية الجديدة**، دار المعارف، القاهرة، 1950، ص168.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص27.

[4] نفسه، ص29.

[5] محمود العمري، **مصطفى كامل والسيادة العثمانية**، الرسالة، ع296، 06 مارس 1939، ص445-446.

إن الأدوار التي أداها مصطفى كامل في إطار دفاعه عن قُطرية مصر ابتداء من دفاعه على الارتباط العثماني لها، والدعوة إلى وقوف فرنسا إلى جانب مصر ضد بريطانيا باعتبارها عدو تقليدي لها، ونهاية بإيمانه بمصر وفقط[1]، وهو ما يعني تمسكه بفكرة قُطرية مصر مع وجود مساحة انتماء أكبر وهي الدولة العثمانية التي تسمح له بالتمكين لمصر القُطر في ظل صراع دولي آنذاك.

يأتي تفسير مصطفى كامل لتوجهه القُطري المصري في ظروف توحي بأن الخصومة بين الإسلام والمسيحية أو هي استمرار للحروب الصليبية كما تصوّرها [2]. و"ألا تناقض في الجمع بين الرابطة الدّينية والرابطة الوطنية، ورأى أن الانتساب إلى الرابطة الدّينية التي تُمثلها السلطة العثمانية لا تُنافي الوطنية المصرية وإنما تنحصر في علاقة التضامن"[3].

وبهذا يرى مصطفى كامل أن الاستقلال الوطني لابد أن يُبنى على الدّين الإسلامي ولابد أن تكون الوطنية ثمرة من ثمار التمسك بالإسلام، إن الدّين هو الأساس الذي يُبنى عليه الاستقلال الصحيح والمجد الأبدي، وإن الوطنية لا تكون صادقة قوية شديدة إلا إذا كانت ثمرة من ثمار التمسك بالدّين ونتيجة من نتائجها[4].

إن نظرة سريعة لما أدلت به النخب المصرية من تفسيرات للقُطرية المصرية يجعلنا نؤكد على أن الفكر القُطري هو المبدأ السائد خلال السنوات الأولى من القرن العشرين ، غير أن الاختلافات والتباين المسجل، إنما يرد بالدرجة الأولى إلى الاختلاف الإيديولوجي للنخب وتطور التيار القطري مرهون بتطور الأوضاع الدولية والأوضاع الداخلية لمصر ، وتحول الفكر القُطري من إيمان النُخب الفردي إلى معتقدات حزبية، فكان للأحزاب المصرية ذات التوجه القُطري مساهمات في تغذية وتطور تيار القُطرية المصرية. وهذا ما سنتناوله في العنصر الموالي.

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركية الوطنية، مرجع سابق، ص367 وما بعدها.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص08.

[3] مُحَمَّد عبده، **مذكرات مُحَمَّد عبده**، دار الهلال، مصر، د.ت، ص84.

[4] معتز زاهر، مرجع سابق، ص299.

المبحث الثاني: تيار القُطرية المصرية لدى الأحزاب الوطنية.

نتناول في هذا العنصر نماذج من الأحزاب الوطنية المصرية خلال الثلاثون سنة الأولى من القرن العشرين، ونحاول إبراز قراءة وفهم كل حزب للقُطرية المصرية كما نحاول ضبط تجليات الاختلاف ومن ثمة نبحث عن تبريرات للتباين والاطلاع عن مدى رسوخ الفكرة لدى بعض أحزاب النخبة المصرية.

في هذا الصدد يشير جانكوفسكي وجرشوني في دراستهما حول هوية مصر بأن الأحزاب المصرية السياسية منها والقومية تجلت أكمل الآراء التي صبغت الهوية القومية المصرية وأكثرها أهمية ما قدمه مصطفى كامل وأحمد لطفي السيد ، فقد مثلت الذروة... "أكثر التعبيرات عن المواقف القومية المصرية في تطورها خلال العقود السابقة إحكاما ورصانة" [1]، ولأننا أفردنا لهما عنصرين مستقلين بخصوص فكرهما حول القُطرية فإننا سنحاول البحث عن التوجه القُطري لبعض الأحزاب التي تعتبر امتداد لفكر النخبة سواء كأفراد يمثلون أنساقا فكرية أو امتداد لصحف أخذت أشكالا حزبية رسمية يحركها الانتماء الوطني ويقودها رجالات تيار القُطرية المصرية.

ما يلاحظ أن مصر لم تتعرف عمليا على المفهوم الليبرالي للأحزاب السياسية إلا في مطلع القرن العشرين والذي يُعتبر "جمعية تم تنظيمها على أساس تحقيق مبدأ معين أو بلوغ غاية سياسية بعيتها وذلك بواسطة السيطرة على الحكم بالوسائل الدستورية" [2]، وقبل التطرق للقطرية المصرية لدى الأحزاب الوطنية رأينا من المفيد عرض خصوصيات هذه الأحزاب في العناصر التالية:

-تتميز هذه الأحزاب بوجود أجنحة عسكرية لها تسعى إلى تحقيق أهدافها بالأساليب العسكرية، إذا تعذر الوصول إلى تلك الأهداف بالطرق السلمية، وقد ظهرت هذه الحالة لأول مرة في تاريخ مصر عندما انضم إلى الحركة الوطنية ضباط من الجيش، وأصبح الجيش أداة لحماية الحركة القومية، وليس أداة لقمع الشعب[3].

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص27.

[2] جمال بدوي، **نظرات في تاريخ مصر**، دار الشروق، ط2، 1994، القاهرة، ص 23.

[3] ذوقان قرقوط، مرجع سابق، ص187.

-انخراط فئة العلماء في صفوف تلك الأحزاب بعد أن كان العلماء قوة مؤثرة تحت جناح مُحَمَّد علي باشا مساندة لسياسته وتوجهاته، بعدما برزت قيادات اجتماعية ووطنية تحقق آمال هذه الفئات[1].

-اتسم خطابها السياسي منذ ظهورها بالحدة والصرامة، وقد برز ذلك من قبل خلال مخاطبة أحمد عرابي الدول الأوربية: "إن الأوربيين يهددون بالعدوان علينا...حسناً، دعهم يفعلون ذلك، ولكنهم بمجرد إطلاق رصاصة واحدة علينا سوف يفقدون الثمانين مليوناً التي تشكل الدّين العام، والعشرين مليون التي اقترضها الفلاحون من اصحاب البنوك"[2].

-طموحها في الاستقلال عن أي سيادة سواء كانت إسلامية أو غير ذلك، وتجلى هذا في ظهور الاتجاه العلماني على سياستها، فيما يتعلق بحكم مصر لأن شرعية الحكم حسب عقيدتها مستمدة من إرادة الأمة وليس من تبعيتها للخلافة العثمانية[3].

-أذكت الشعور الوطني لدى الفلاحين الذين كانوا قبل هذه الحركات يتهربون من الخدمة العسكرية، ويصيبون أنفسهم بعاهات خطيرة حتى لا يكونوا صالحين للتجنيد، فنجد أن تحولاً كبيراً قد طرأ على تفكيرهم، فقاموا بالتطوع من أجل حمل السلاح والدفاع عن الوطن، لأنهم أصبحوا على قناعة تامة بأن الأرض غير مضمونة، إلا بوجود وطن مستقل تحت قيادة حكومة وطنية تمثلهم[4].

-بروز تيار الوطنية الشعبية، إذ كان من أهم سماته التي اتسم بها أن هذا التيار كان غير مهادن في صراعه ضد النفوذ الأجنبي، فكان كثيراً ما يتوجه إلى الفلاحين بشكل خاص و إلى الجماهير بشكل عام يحرضهم على الأثرياء ويحذرهم من سيطرتهم على السلطة وعلى مجلس النواب حتى لا يضعوا القوانين التي تحمي مصالحهم، ويحبسوا الثروة لأنفسهم، مما يؤدي إلى هلاك فئات كبيرة من الشعب [5]، في حين برز تيار آخر كان يقوده الشيخ مُحَمَّد عبده، وكان هذا التيار تصالحي في موقفه مع

---

[1] علي بركات، **تطور الملكية الزراعية في مصر (1813–1914م)**، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1975، ص244.

[2] المرجع نفسه، ص249.

[3] ذوقان قرقوط، مرجع سابق، ص189.

[4] علي بركات، مرجع سابق، ص252.

[5] مُحَمَّد عبد الرحمن حسين، **نضال شعب مصر (1798–1956م)**، منشأة المعارف للطباعة، الإسكندرية، 1970، ص32.

المستعمرين، إذ يقبل بالتعاون معه لينال الاستقلال تدريجياً، كما كان الشيخ مُحَمَّد عبده نخبوي في تفكيره السياسي والاجتماعي، فقد كان يرفض المساواة بين طبقات الشعب المختلفة[1].

إن تعدد هذه الخصوصيات وثرائها وتشعبها سيكون له أثر في نشاط هذه الأحزاب حول موضوع القُطرية، وهذا ما سنقف عليه من خلال الأحزاب التالية:

1. حزب الأمة 1907م:

يعتبر حزب الأمة في الحقيقة امتدادا لصحيفة "الجريدة" حيث أعلن الحزب ضمن خطه الافتتاحي أن الهدف الرئيسي للحزب هو تكوين شخصية مصرية وبلورة خصائص سياسية مميزة لها ، ويبني الحزب نشاطه على أساس الشعور بالوحدة والتضامن[2]، والذي من شأنه أن يضفي قيمة له.

يبدو أن حزب الأمة رفع لواء القومية المصرية من خلال دعوته إلى الاستقلال التام ، فالاحتلال البريطاني يذهب ويترك مصر لأهلها ، وأن الحصول على الحرية لا تأتي بالكلام بل بقوى متعددة ترفع إليه ، وهي الكفاءات الأخلاقية والعلمية والصناعية والإدارية والقضائية واشتراك الحزب مع الحكومة في الأعمال العامة والاهتمام بالتعليم.

وقد رفع الحزب منذ البداية شعار الاعتدال والتدرج على اعتبار أن الظروف التي تمر بها البلاد والعلاقة بين الحكومة والأمة تجعل من عمله أحوج إلى زمن طويل، وكانت وسائل الحزب لبلوغ غايته هي: "كافة الوسائل الشريفة من كتابة ومشافهة وإيفاد وفود وتفهم وتفاهم وإقناع" [3]، حتى أنه يدعو إلى: "تأسيس دولة قومية مصرية ونادى بتطور مصر التدريجي إلى كيان يحكم نفسه ذاتيا بالتعاون مع بريطانيا" [4]، ويتضح من برنامج الحزب ووسائله أنه يدعوا إلى قُطرية مصرية لا تعطي أي أولولية خارجية سوى للفكرة المصرية، كما يتبنى طرق سلمية مدنية وإن كان الحزب قد تبنى بعض الأساليب في مهاجمة الحكومة ونقدها.

---

[1] Arthur Cold schmidt, **The Egyptian National party (1892 – 1919)**, London, 1964, P 328.

[2] مصطفى الفقي، مرجع سابق، ص54.

[3] فؤاد المرسي خاطر، **"موقف مؤتمر فرساي عام 1919م من بلاد المشرق العربي "**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث، القاهرة، 1970، ص55.

[4] جابر الأنصاري، **تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي المعاصر (1930–1970م)**، عالم المعرفة، منشورات وزارة الثقافة والفنون،الكويت، دت، ص28.

ولد حزب الأمة وعاش حياته كلها على صحيفة الجريدة التي ترأسها المفكر أحمد لطفي السيد، فكانت لوحة إعلان الحزب التي يعلن فيها برامجه، وفتحت الصحيفة صفحاتها للشباب الوطني وكون منهم رئيس الجريدة جمعية من المؤلفين والصحفيين لينظموا دراسات وتحقيقات للمطالبة بالتوسع في التعليم وبعض التنظيمات الأخرى.

ما يلاحظ أن حزب الأمة يدعو إلى قومية لا تقيم وزنا للعاطفة ولا تخاطب ضمائر المتدّينين، كونهم يهدفون من خلال تبنيهم للقُطرية التي هي قومية لا تعترف بالدين كمكون أساسي للقومية إلى ترسيخ مفهوم مصر ككيان حضاري خاص ليس له أي ارتباط خارجي، وهي في تقديرنا فكرة تحقق عزل وانشقاق مصر عن عالمها العربي الإسلامي. جدير بالذكر أن الوطنية بالمعنى الذي يدعو إليه كُتاب حزب الأمة ومفكروه واضحة التأثر بمذهب التحرر (Libralism) من ناحية، وبالمادية (Materialism) من ناحية أخرى، وكلا المذهبين كان له دُعاة أقوياء من المتفرنجين يروجون له في العالم الإسلامي[1].

2. الحزب المصري 1908م:

أثار الاتجاه الإسلامي الذي تميزت به أقوال وأعمال الحزب الوطني مخاوف الأقلية القبطية، وقد احتمى هؤلاء القبطيون من الاتجاه الإسلامي بالمغالاة في رفع شعار المصرية، وعد أن الوطنية القبطية هي صون للوطنية المصرية بغض النظر عن الدّين.

كانت المؤامرة التي دبرت للحزب الوطني وتسببت في تصدع الوحدة بين مسلميه وأقباطه بعد موت مصطفى كامل، وكان القبطيون يأملون خيراً في حزب الأمة لأنه عّد الأكثر مصرية من الأحزاب الأخرى، إلا أنه لم يقف معهم في حملة الشيخ جاويش عليهم والتي تمثلت في نفي صفة الوطنية على الأقباط واعتبارها حكرا على المسلمين، ورفضت صحيفة الجريدة نشر بعض ردودهم على تلك الحملة، كما أنه صعد من حملته الوطنية في النصف الثاني من عام 1908م مما جعل إحدى الصحف القبطية وهي (مصر) تضع مُحَّد فر يد ولطفي السيد في سلة واحدة وتقول ع نهما أنهما:

[1] مُحَّد مُحَّد حسين، مرجع سابق، ص105.

"يتنازعان على دولة الغوغاء في مصر"، إذ كانت أحد العوامل التي دعت إلى ظهور مكون سياسي [1]، يحمل النزعة الطائفية أطلق على تسميته (الحزب المصري) في 02 سبتمبر 1908م، وأسسه أحد الشخصيات المعروفة هو المحامي اخنوخ فانوس (1865–1918م)[2]، فقد تمكن من جمع الأقباط العاملين في السياسة مع بعض الأغنياء ذوي النفوذ والسلطة، ويتبنى بالدرجة الأولى فكر الأقلية القبطية النصرانية[3].

إن وفاة مصطفى كامل وما دخل على الحزب الوطني ، بل على الموقف السياسي كله من تغيرات أثرت على اعتقاد الأقباط بأن الحزب الوطني ليس حزبهم، فتفجر العداء بين الحزب الوطني وحزب الأمة من جانب والخديوي عباس حلمي من جانب آخر، كان من الأسباب المؤدية إلى تخوف الأقباط من حزب الأمة و الحزب الوطني وإلى شعورهم أن هذا التطرف قد يؤدي بمصر إلى الهاوية.

كان تأسيس الحزب المصري يعد بمثابة رد فعل لتوجهات الحزب الوطني تحت زعامة مُحَمَّد فريد في تأسيس الدعوة الوطنية على الدعوة الإسلامية ، لأن الاتجاه الإسلامي القوي للحزب الوطني، ولاسيما بعد وفاة مصطفى كامل جعل الشبان الأقباط ينفرون من هذا الحزب واتجاهه الإسلامي، ولاسيما بعد أن كتب الشيخ عبد العزيز جاويش مقالا وصف فيه الأقباط بأنهم أصحاب الجلود السوداء وقال أيضاً في تصريح له: "أن مسلمي مصر يجب أن يتعلقوا بالدولة العثمانية لأنها مقر الخلافة الإسلامية ولا عبرة بتاريخها السياسي في مصر وغير مصر"[4].

لقد كانت الدعوة الإسلامية مقترنة دائماً بالدعوة الوطنية حتى في أيام مصطفى كامل ، ولكنها نشطت أيام مُحَمَّد فريد وعبد العزيز جاويش و أحمد حلمي ، وقد ذكر سلامة موسى في وقت

---

[1] يونان لبيب رزق، **الأحزاب المصرية عبر مائة عام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2006، ص33.

[2] اخنوخ فانوس: ولد في عام 1865م وهو محامي مشهور، التحق بالجامعة الأمريكية ببيروت، وأسس جمعية خيرية في أسيوط لمساعدة منكوبين الأزمة الاقتصادية ونقص المواد الغذائية، اشتغل بالمحاماة أمام المحاكم الأهلية ابتداءً من عام 1884م ومنحته الجامعة الأمريكية درجة الدكتوراه الفخرية عام 1910م. ورأس المجلس البريطاني العام بالقاهرة، توفي في عام 1918م. https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 15:30.

[3] يونان لبيب رزق، مرجع سابق، ص34.

[4] المرجع نفسه، ص33.

سابق عن الشباب الأقباط في مجلة "الكاتب المصري" عدد جويلية 1946م: أن الشبان الأقباط بين عامي (1903–1907م) كانوا يقرؤون صحيفة اللواء ، إلا أنهم يرفضون الانضمام إلى الحزب الوطني لأنهم لا يؤمنون بالجامعة الإسلامية ولا بالدعوة العثمانية اللتين تبناهما الحزب ، وفي مقابل هذا الاتجاه سجل سلامة موسى قولهم: "إذا كنتم تدعون إلى جامعة إسلامية و إلى تأييد الحقوق (العثمانية) في مصر مع أن (العثمانيين) ليسوا فقط أجانب بل تاريخهم يحفل بالمظالم في مصر، ف إن لنا الحق في الاتجاه نحو جامعة مسيحية والاعتماد على الاحتلال البريطاني"[1].

والجدير بالذكر أنه لا يمكننا وصف الأحزاب المصرية الوطنية [2] بالطائفية قبل ظهور الحزب المصري وعند الإشارة إلى اتجاهات تلك الأحزاب بأنها إسلامية، فليس القصد أنها طائفية، ولكن هذه الأحزاب تبنت مقاومة الاحتلال من خلال إعلائها الجهاد في سبيل الله، وبما أن الغالبية العظمى من الشعب المصري هم مسلمون، فإن هذه الأحزاب لابد و أن تكون ذات صبغة إسلامية، ولم يكن الحال داخل الحزب المصري كذلك فقد أعلن عن توجهه الطائفي كرد فعل حسب ما يقول على اتجاهات الأحزاب الأخرى الإسلامية، بينما هو في الحقيقة على ما يبدو مدفوعاً من سلطات الاحتلال البريطاني التي دأبت على إثارة روح الطائفية داخل المجتمع المصري لغرض تشتيت قواه الوطنية وإشغاله بنزاعات داخلية، يكون الخاسر الأكبر فيها هو الشعب المصري.

وبعد أن أعلن الحزب عن نفسه عام 1908م بقليل دعا إلى مؤتمر صحفي في صحيفة "مصر" وبمقدرته الكبيرة على التعبير وبمعلوماته الغزيرة القانونية، أعلن أنه بعد الضمانات التي أعطيت للبريطانيين، فقد أصبح للمصريين ضمانات مماثلة لإدارة شؤونهم وحدد سياسة الحزب في خطوط عدة، يمكننا أن نستنتج وجود الفكر القُطري للحزب من خلال بعض بنود برنامجه منها[3]:

---

[1] لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة 1919م**، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص188.

[2] مثل: الحزب الوطني القديم 1893م، حزب الأمة 1907م.

[3] لويس عوض، مرجع سابق، ص191.

-وحدة مصر والسودان: اعتبر الحزب أن السودان جزء طبيعي لا يتجزأ عن مصر خاصة وأن الفكر القُطري يعتمد مبدأ البُعد الطبيعي ممثلا في نهر النيل الذي يعتبر رمزا للوحدة الطبيعية بين مصر والسودان.

-استقلال مصر : يعتبر الحزب المصري أن مصر دولة مستقلة تبعا لاتفاقيات تاريخية ضمنت حق مصر في تسيير شؤونها دون وجود أية سلطة عليها، وما على الاحتلال البريطاني إلا التنحي ومنح حرية التسيير للمصريين.

-التوسع في أعطاء الجنسية المصرية لتشمل المصريين والذين تمصروا : من هذا المبدأ نستنتج شيوع الاعتقاد القُطري لدى الحزب المصري، والذي يُبنى على أن كل من توطن بأرض مصر يمكنه أن يكون مصريا، شرط ولائه لمصر دون سواها.

-تحقيق صداقة حقيقية بين مصر وبريطانيا : ذلك أن القُطريين المصريين يبنون فكرهم على المصلحة، ولا يرون حرجا في التواجد البريطاني بمصر كاحتلال، بل يمكن الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع الأجانب وضمان امتيازاتهم وحقوقهم المشروعة قانونا ، وعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا، تحقق لمصر التسهيلات التجارية والحماية العسكرية البريطانية[1].

-إنشاء مجلسين نيابيين بسلطات تشريعية نصف إحداهما يتكون بالانتخاب من الأجانب الذين يقيمون في مصر منذ خمس سنوات على الأقل.

-الفصل بين الدّين والسياسة بقانون : إن اتجاه الحزب (علماني) فقد نصت المادة التاسعة من البرنامج "فصل الدّين عن السياسة فصلاً تاماً والمساواة في الحقوق القومية بين سكان مصر وفي الحقوق الوطنية بين المصريين الوطنيين بلا تمييز مطلقا بسبب الجنس أو الدّين"[2].

تضمن البرنامج حرصاً ملحوظاً على التمثيل الطائفي بما اقترحه من نظام نيابي، وقد تضمن الاقتراح تكوين مجلسين، للنواب (يتألف من نواب وطنيين ينتخبهم المصريون الوطنيون) والغرفة

[1] جمال بدوي، مرجع سابق، ص41.

[2] يونان لبيب رزق، مرجع سابق، ص34.

التشريعية التي تتألف من أعضاء نصفهم من الأجانب ونصفهم من المصريين (وجميعهم ينتخبون على كيفية تمثل حقيقة كل عضو)[1].

أكد الحزب المصري على الطائفية ودعا إلى قُطرية مصرية بهُوية فرعونية، ذلك أنه يبني معتقده الفكري بأحقية الأقباط بمصر دون سواهم، وتجسد ذلك في كتابات مؤسسه في الصحافة البريطانية، فقد كتب في 10 جويلية 1908م واعترف بنفور المسلمين منه وإنهم لا يحبونه ولذلك لم ينظموا لحزبه بينما كتبت (الستندارد) الصحيفة البريطانية بعد ذلك بأيام قليلة تعليقاً على تأسيس الحزب المصري ، "طال العهد على انزواء الأقباط وليس بكثير على قوم مثلهم أن يكون لهم حزب خاص بهم ذو مبادئ مستقلة عن بقية الأحزاب"[2].

كتب اخنوخ فانوس عدة مقالات وأبحاث في القومية المصرية الفرعونية وفي الرسائل لإعادة بناء مجد مصر، وكان شعاره ورمز حركته مصريون قبل كل شيء، أن برنامج الحزب المصري يعطي صورة للتناقض الذي وقع فيه الأقباط بقدر ما كان نابعا من ضرورات دينية، فعلية هذا مضمون تقدمي.

إن كل ما قيل وكتب عن الحزب المصري فلا يمكن الجزم أنه خرج إلى حيز الوجود، فلم يذكر أن كتب عنه مقولة أو ذكر أسم أي عضو من أعضاء الحزب باستثناء مؤسسه وتوفيق حنين، كما لم يرَى المصريون أي نشاط سياسي مارسه الحزب [3] مثل مشاركته في مختلف الانتخابات وتوقف نشاطه على الدعوة إلى حفظ حقوق الأقباط.

من المجافاة أن يقبل الأقباط وتحت أي ظرف العودة إلى الطائفية التي تحرر منها المصريون بعد أن أنجزت عملية بناء الدولة الحديثة خلال القرن التاسع عشر من تقويض الدعائم الطائفية لمجتمع مصر[4].وقد وصف الحزب المري بأنه "محاولة طائفية فاشلة، جرفتها رياح الوعي والرشد والتنوير".

---

[1] يونان لبيب رزق، مرجع سابق، ص69.

[2] يونان لبيب رزق، **الأحزاب السياسية في مصر (1907–1984م)**، دار الهلال للطباعة، مصر، 1984، ص.ص66–67.

[3] يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية عبر مائة عام، مرجع سابق، ص70.

[4] يونان لبيب رزق، الأحزاب السياسية في مصر (1907–1984م)، مرجع سابق، ص67.

وقد ناقض الحزب المصري الواقع التاريخي لأن الدعوة للقومية المصرية تتعاظم كل يوم، وهي دعوة نقيضه لتفتيت الوطن المصري إلى عناصر، وقد شكلت هذه التناقضات حاجزاً منيعاً أمام كافة المحاولات الطائفية[1].

إن إعلان الحزب المصري برنامجه هو ترجمة لفكره السياسي الذي بُني على أساس طائفي ديني (قبطي) في تلك المدة المليئة بالعمل السياسي حتى و إن لم يستطع فكر الحزب أن يتحول إلى واقع ملموس[2]. وبالرغم من الخطط السياسية والاجتماعية التي تضمنها برنامج الحزب إلا أن موقفه من الاحتلال البريطاني أدى في النهاية إلى هروب عدد كبير من أعضائه، فضلاً عن أن الحزب لم يلقَ التأييد إلا من الدوائر البريطانية وبعض العائلات القبطية الغنية، فقد عجز عن تنفيذ أي هدف من أهدافه التي تبناها وسعى إلى تحقيقها.

إن قراءة في برنامجه تعطينا ملاحظة أن هذا الحزب كان يجمع بين العلمانية و الاعتدال في معاملاته، فتظهر العلمانية من خلال مادته الثالثة التي تنص على ما يلي: "فصل الدين عن السياسة فصلا تاما والمساواة في الحقوق العمومسة بين سكان مصر وفي الحقوق الوطنية بين المصريين الوطنيين بلا تمييز بين الجنس والدين"[3].

3. حزب الأحرار الدستوريين 1922م:

بدأ العمل في تشكيل الحزب خلال 1922م في الإسكندرية في منزل عدلي يكن الذي اختير رئيسا للحزب لأنه بفضل مقامه يحوز على أكبر عدد من الأتباع، ومن ثم سوف يؤيدونه في الوصول إلى الحكم في حالة نجاحهم في الانتخابات، واشترك أحمد لطفي السيد ومُحَمَّد حسين هيكل في إعداد خطاب الافتتاح الذي سيعلن فيه عدلي يكن قيام الحزب ، وأصبحت جريدة "السياسة" لسان حال الحزب الجديد وتولى رئاسة تحريرها مُحَمَّد حسين هيكل[4].

---

[1] يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية عبر مائة عام، مرجع سابق، ص70.

[2] يونان لبيب رزق، **الأحزاب المصرية قبل ثورة 1952م**،، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، مصر، 1977، ص35.

[3] جمال بدوي،مرجع سابق، ص39.

[4] مُحَمَّد حسين هيكل، **في أوقات الفراغ**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، مصر، 2018، ص122.

والجدير بالذكر أن أحمد لطفي السيد هو الذي سمى الحزب بالأحرار الدستوريين تأثرا بحزب الأحرار البريطاني بعد رفض اسم "المصري الحر" [1]، وفعلا أعلن عدلي يكن في أكتوبر 1922م قيام الحزب، وأكد في خطاب الافتتاح الذي نشرته جريدة "السياسة" تحت عنوان "مبادئ وأغراض حزب الأحرار الدستوريين" أن هذه المبادئ والأغراض تنحصر في ثلاثة مواضيع:

الموضوع الأول : يتعلق با لاستقلال السياسي ويتضمن "الاستمرار في العمل السياسي لاستكمال استقلال مصر استقلالا فعليا تاما وإنهاء الاحتلال البريطاني لمصر، والسعي في إعداد وسائل الدفاع عن البلاد ضد كل اعتداء خارجي والحرص فيما يتعلق بالمفاوضات المقبلة، على أن الأمور التي احتفظت بها بريطانيا العظمى لا يؤدي الاتفاق على شيء منها المساس بأي حال من الأحوال باستقلال مصر أو تعطيل أي مظهر من مظاهره والتمسك بعدم فصل السودان عن مصر ويحفظ سيادتها وإدخال مصر في عصبة الأمم دولة مستقلة ذات سيادة"[2].

أما الموضوع الثاني فهو النظام السياسي الذي يتضمن "تأييد النظام الدستوري والمحافظة على سلطة الأمة وحقوق العرش والسعي في ترقية شأن الهيئات النيابية المحلية كمجالس المديريات والمجالس البلدية واستكمال هذا النظام النيابي حتى يقوم بالشؤون المحلية المختلفة حق القيام"[3].

وأخيرا الموضوع الثالث يتعلق با لنظام الاجتماعي والاقتصادي الذي لا يتضمن إلا بعض النظرات الإصلاحية المتفرقة منها القضاء على الأمية ومجانية التعليم للبنات والبنين، والتعليم الصناعي، واستقلال الجامعات ، ومجانية العلاج ، وتضييق الفوارق الاقتصادية بين الطبقات ، وتوزيع الضرائب توزيعا عادلا ، والرقابة على تحصيلها ، وإقامة الصناعات الكبرى ، واستكمال القوانين التي تكفل حق العامل وصاحب العمل وتشريع التأمين الاجتماعي لطبقات العمال [4]، ويقوم بإدارة الحزب وتنفيذ

---

[1] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص.ص54-55.

[2] نقلا عن: مُحَمَّد متولي، **مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة 1952م دراسة تاريخية وثائقية**، دار الثقافة، القاهرة، 1980، ص298.

[3] إبراهيم أحمد شلبي، **التنظيم الدولي**، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998، ص481.

[4] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية (1876-1882م)، مرجع سابق، ص.ص141-142.

سياسته رئيسه ومجلس إدارته ولجنته البرلمانية ولجنته التنفيذية وجمعيته العمومية [1]، ويسلك الحزب في سياسته وفي تنفيذها طريق الديمقراطية البرلمانية[2].

أُستقبل الحزب من قبل الشعب استقبالا فاترا إن لم يكن سيئاً، لأن الوزارة القائمة التي تساند الحزب لم تحظ بتأييد الشعب، فانتقده حزب الوفد انتقادا سلبياً عن طريق صحفه و ألقى مسؤولية انقسام الشعب عليه و أن الشعب كله حزب واحد –الوفد – وليس له إلا مطلب واحد، الذي ربط الإعلان عن تأليف الحزب باعتقال زعماء الشعب [3]، ثم أن الوفد رأى أن الأحرار الدستوريين لا يتمسكون بالاستقلال وإنما اكتفوا بالاستمرار في العمل لاستكماله ، وإنهم لا يعتبرون أن السودان جزءا من مصر بل يكتفون بحفظ السيادة المصرية عليه ، أما الحزب الوطني فقد أخذ على الحزب الجديد والقائمين عليه المبالغة في الأثر المترتب على التصريح [4]، كما أن برنامج حزبهم لم ينص صراحة على الجلاء وهو جوهر الاستقلال [5]، بالإضافة إلى أن الأحرار الدستوريين متمسكون بمبدأ المفاوضة رغم فشلهم في مفاوضاتهم الأخيرة (مفاوضات عدلي – كيرزن)، مع العلم أنهم صرحوا في حالة الفشل بأنهم لن يفاوضوا إلا إذا انسحب الجنود البريطانيون من الأراضي المصرية[6].

أما العناصر التي مثلت الحزب فهم أعضاء لجنة كتابة الدستور وأعضاء الحزب الديموقراطي وجمعية مصر المستقلة التي أنشئت بالأساس في أثناء مفاوضات عدلي –كيرزن ، وكانت تؤيد عدلي يكن وكان يرأسها حافظ عفيفي[7].

---

[1] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص76.

[2] مُحَمَّد متولي، مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة1952م دراسة تاريخية وثائقية، مرجع سابق، ص306.

[3] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص.ص57–58.

[4]تصريح 28 فبراير 1922 الذي حدد إطار العلاقات المصرية البريطانية بالوجود العسكري البريطاني في مصر وحماية المصالح الاستراتيجية البريطانية الحفاظ على الامتيازات والمصالح الأجنبية في البلاد فيما تضمنته التحفظات الأربعة الشهيرة التي علقت تسوية تلك المسائل الحيوية التي لا يتحقق بدونها الاستقلال التام على مفاوضات تجريها الحكومة المصرية وبريطانيا.ينظر:سامي أبو النور، **دور القصر في الحياة السياسية في مصر**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1996، ص49.

[5] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص63.

[6] عبد الرحمن الرافعي، **ثورة سنة 1919م تاريخ مصر القومي من سنة 1914م إلى سنة 1921م**، ج1، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1946، ص68.

[7] يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية قبل ثورة1952م، مرجع سابق، ص57.

يُعد حزب الأحرار الدستوريين وريث لحزب الأمة [1]، لأنه احتفظ بطابع حزب الأمة القديم بتمثيله الطبقة الخاصة من الأعيان والمثقفين، فكان الأولون منفصلين انفصالاً طبقياً عن الشعب أما الآخرون فمنفصلون ذهنيا عنه[2]، وقد انعكس ذلك على علاقة الحزب بالجماهير فأصبح الحزب حزب أقلية وأصبح قادته بلا أتباع، وبما أن حزب الأحرار الدستوريين جاء خلفا لحزب الأمة، فهم بذلك "خلفاء من بلوروا في بداية القرن العشرين مفهوم الجامعة المصرية في مواجهة الخلافة الإسلامية "[3]، وبذلك مثل حزب الأحرار الدستوريين التيار القومي الليبرالي في الحركة الوطنية المصرية في تلك الفترة ، والتي تبنت خط تيار القُطرية المصرية رافضة بذلك أي انتماء غير مصري لمصرحيث دافعوا عبى شعارات مصر مصرية، ومصر للمصريين.

وكانت بريطانيا تشجع تأليف مثل هذا الحزب، وكان لذلك ما يبرره، فبعد مساعدة بريطانيا للعناصر المعتدلة في إصدار التصريح، كان الجانب البريطاني يتلمس الأمل في الإفادة منهم بوصفهم كقوة في مصر وإذا لم يتحقق ذلك فإنه يمكن تكليفهم ليصبحوا قوة معارضة برلمانية[4].

4. الحزب الاشتراكي المصري 1922م:

ساعدت الظروف التي سادت مصر خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها على قيام حزب اشتراكي، حيث انتشرت الخلايا الاشتراكية في الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد على إثر قيام الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917م[5]، وساعد على ذلك أيضا قدوم البعثات العلمية التي أكملت دراستها في بريطانيا وألمانيا وفرنسا إلى مصر، حيث إطلع المشاركون في هذه البعثات على التيارات والأحزاب الاشتراكية هناك ، وأبرز طلبة هذه البعثات سلامة موس ى وعلى العناني [6]، فضلاً عن أن

---

[1] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص105.

[2] مُحَمَّد زكي عبد القادر، **محنة الدستور (1923–1952م)**، سلسلة كتاب روز اليوسف، ع6، القاهرة، 1955، ص43.

[3] طارق البشري، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، مرجع سابق، ص202.

[4] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص52.

[5] شهدي عطية الشافعي، **تطور الحركة الوطنية المصرية (1882–1956م)**، الدار المصرية، ط1، القاهرة، 1957، ص43.

[6] أمين عز الدّين، **تاريخ الطبقة العاملة المصرية في الثلاثينات (1929–1939م)**، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، مصر، 1972، ص124.

التنظيم النقابي في مصر أخذ ينشط خلال الحرب ، وفي أعقاب الثورة المصرية 1919م فأصبح أساساً لحركة اشتراكية[1].

ومع ذلك فشلت أول تجربة لقيام حزب اشتراكي على إثر تكوين الوفد المصري نهاية 1918م تمثلت بمحاولة جماعة من المثقفين المصريين هم عزيز ميرهم ومُحَمَّد حسين هيكل ومحمود عزمي ومنصور فهمي وإبراهيم الشواربي ومصطفى عبد الر ازق[2]، تأسيس مثل هذا الحزب والحجة التي سيقت لهذا الفشل هي عدم ملا ءمة ظروف مصر الاجتماعية والاقتصادية لتنظيم الجهود في سبيل المبادئ الاشتراكية، ولكن السبب الرئيسي في فشل هذه المحاولة هو ضغط العناصر الأكثر ليبرالية فيه مُحَمَّد حسين هيكل ومحمود عزمي مما حول الحزب من اشتراكي إلى ديموقراطي، وقد عرف الحزب الاشتراكي منذ الوهلة الأولى عدة عراقيل أو صعوبات، لكنه تجاوزها واستطاع في الأخير أن يفرض نفسه أو يظهر على الساحة في 1919م[3]، لذلك فإن خلو الساحة السياسية المصرية من العناصر القادرة على تنظيم حركة اشتراكية وكذلك مقاومة الوفد لأي نشاط يساري داخل النقابات جعل العناصر الأجنبية تضطلع بتأليف الحزب الاشتراكي مستغلة الحماية التي توفرها الامتيازات الأجنبية لهم في نشر الأفكار الاشتراكية من دون تدخل السلطات للحد من ذلك [4].

وكان في مقدمة هذه العناصر جوزيف روزنتال[5] الذي استطاع في عام 1920م تأليف الحزب الاشتراكي في الإسكندرية نظرا وجود الجاليات الأجنبية بكثرة، حيث أخذ يسعى لإشراك النقابات التي تألفت في ظروف الثورة تحت سيطرة البورجوازية ، وكان هدف الحزب الأساس دخول البرلمان والدفاع عن مصالح العمال [6]، ومع مرور الوقت التفت حوَل الحزب العناصر الوطنية التي كانت

---

[1] أمين عز الدّين، مرجع سابق، ص93.

[2] مُحَمَّد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، مصدر سابق، ص69.

[3] رفعت السعيد، **عمائم ليبرالية في ساحة العقل والحرية**، دار أخبار اليوم، ع254، القاهرة، 2002، ص.ص117–119.

[4] عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر (1918–1936م)، مرجع سابق، ص.ص513–514.

[5] جوزيف روزنتال: يعد من مؤسسي الحركة الاشتراكية وسط الأجانب في مصر وهو ألماني هاجر إلى إيطاليا وحصل عل جنسيتها ثم جاء إلى مصر عام 1899م، إشترك في تأسيس عدد من النقابات أهمها نقابات السكائر وا لخياطين وعمال المعادن والمطابع. ينظر: رفعت السعيد، **تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر (1900–1925م)**، دار الفارابي، ط 1، بيروت، 1972، ص.ص161–163.

[6] المرجع نفسه، ص172.

بالأصل ذات ميول اشتراكية ومنهم سلامة موسى وعلي العناني وعبد الله عنان، وكان هؤلاء قد رغبوا منذ 1919م بتأليف جمعية اشتراكية لدراسة المذاهب الاشتراكية المتعددة[1]، فقاموا بالاتصال بروزنتال، وهكذا قام في 1921م الحزب الاشتراكي المصري الذي كان امتدادا للحزب الاشتراكي المؤلف من العناصر الأجنبية، حيث ألف إلتحاماً بين هذه العناصر الوطنية والأجنبية، غير أن هذا لا يعني ذوبان العناصر الوطنية بالأجنبية والتسليم لمبادئها، وإنما غايته اختيار ما هو مناسب للبيئة المصرية من فروع المبدأ الاشتراكي وتمصيره وتقديمه إلى العمال مما يمكن اعتناقه والعمل من أجله.

تعرض الحزب الناشئ إلى هجوم من كل فئات الرأي العام المصري تقريبا ، وقامت الصحافة بدور كبير في هذا الصدد، كما هاجم أيضاً الحزب الوطني ورجال الدّين[2]، لكن ذلك لم يمنع من نشر الحزب لبرنامجه[3] على الرأي العام وصدوره بديباجة طويلة أعلن فيها "صراع المبادئ الاشتراكية العادلة للنظم الرأسمالية" ، وبدأ الحزب نشاطه السياسي بتأييد الوفد واجتذاب قطاعات لا يستهان بها من المحامين والأطباء والمعلمين وخريجي المدارس الصناعية، وكان له الأثر البالغ في زيادة الاعتصامات بين العمال[4]، ولكنه تعرض للانقسام في صفوفه بسبب الاختلافات الإيديولوجية وتغلب الجناح الذي يدعو إلى الانضمام إلى الدولية الشيوعية[5].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى التفاوت لدى الأحزاب المصرية في التعامل مع قضية الأمة المصرية في بعدها القطري، مما انعكس على ما يبدو سلباً على أداء هذه الأحزاب في التصدي للاستعمار البريطاني، الذي وجد في هذا الانقسام ضعفاً للحركة الوطنية المصرية فسارع إلى تغذيته بشتى الوسائل والطرق، إذ نتج عنه ظهور أحزاب موالية للاحتلال، فدخلت الأحزاب الوطنية المصرية في نزاعات جانبية مع تلك الأحزاب أطالت أمد الاستعمار وأسهمت في إضعاف العديد من الحركات الوطنية المصرية، ناهيك عن أثره في تلاشي الاهتمام بالفكر القُطري المصري.

---

[1] أمين عز الدّين، مرجع سابق، ص125.

[2] رفعت السعيد، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر (1900-1925م)، مرجع سابق، ص.ص190-193.

[3] المرجع نفسه، ص185.

[4] عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر (1918-1936م)، مرجع سابق، ص.ص526-528.

[5] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية (1876-1882م)، مرجع سابق، ص147.

المبحث الثالث: تيار القُطرية المصرية من خلال ثورة 1919م.

في هذا المقام نبحث عن السلوكات والمظاهر والمواقف والأفكار التي تصطبغ بالبُعد القُطري المصري من خلال ثورة 1919م ومابعدها والتي تعتبر أقوى حركة خلال عشرينيات القرن العشرين بمصر والمعبرة عن تيار القُطرية البحته وهو ما سنتناوله في العناصر التالية.

1. ثورة 1919م وتمجيد القُطرية المصرية:

نعرض ثورة 1919م وعواملها لأنه في اعتقادنا أن التعرف على الثورة يمكننا من استنتاج المظاهر القُطرية فيها حيث عبرت بيانات الثورة عن كيان مصر كأمة تاريخية، ذلك أن فكر الثورة يرفض التيار القديم العثماني الدّيني ويرفض التيار الجديد كذلك كونه تيار قومي عربي ، تجلت القُطرية المصرية في أكمل صورها في ثورة 1919م، إذ عبرت "البرامج والسياسات التي قدمتها مصر خلال هذه الثورة عن رفضها أية صلة خارجية، وكانت نتائجها دعم للاتجاه القومي القُطري المصري ودعامة للتوجه الذي يرى في مصر ووادي النيل هُوية قومية متفردة"[1]، والتي ترجع أسبابها إلى:

أ . عوامل داخلية:

- إعلان الأحكام العرفية وحلول السلطات العسكرية محل المدنية منذ اندلا ع الحرب 1914م.
- الممارسات السلبية (السيئة) للسلطة الاستعمارية البريطانية بمصر.
- مقترح إنشاء الدستور المصري سنة 1918م ويتضمن برلمان مصري بأغلبية أجنبية.
- نفي سعد زغلول وبعض من رجالات الحركة الوطنية وخاصة حزب الوفد الذي تأسس للمطا لبة باستقلال مصر[2].

ب . عوامل خارجية:

أثرت بعض الأحداث الخارجية خلال الحرب في إذكاء الروح الوطنية في مصر والمطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية، وهو ما تجلى في مطالب ثورة 1919م، ومن العوامل نذكر:

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص86.

[2] مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مرجع سابق، ص239.

-الثورة العربية بقيادة حسين بن علي شريف مكة وبتأييد من بريطانيا والحلفاء الذين تعهدوا بمساعدته في الحصول على الاستقلال[1].

-الثورة الاشتراكية في روسيا في أكتوبر 1917م، حيث فضحت المعاهدات السرية التي عقدتها فيما بينها الدول الرأسمالية الاستعمارية.

-إعلان حق الشعوب في تقرير المصير ضمن مبادئ ويلسون الأربعة عشر[2].

-التصريح البريطاني -الفرنسي في 07 أكتوبر 1918م الذي أكد على تحرير سوريا والعراق من الحكم العثماني وتعهدت الحكومتان فيه بالمساعدة في إنشاء حكومة وطنية فيهما مما أثر في نفوس المصريين[3].

وهكذا يتبين أن الظروف والأسباب كانت مهيأة أمام الشعب المصري للقيام بثورة ضد سلطات الإحتلال البريطاني ولكن كانت تنقصه القيادة الوطنية وظهرت تلك القيادة بتشكيل حزب الوفد المصري الذي سعى إلى تدويل المسألة المصرية عن طريق مناشدة قوى الحلفاء المنتصرة للوقوف إلى جانب استقلال مصر، والمشاركة المصرية في مؤتمر السلام الذي عقد في باريس 1919م، وهي المحاولة التي تحسب لصالح تيار القُطرية المصرية، حيث تضمنت فهما لمصر باعتبارها "وحدة قومية مستقلة تماما" [4]، ويأتي أول تنظير شامل من جانب حزب الوفد للتعبير عن التفرد المصري التاريخي وتميزه القومي في بيان أعده الحزب في جانفي 1919م، حيث بدأ البيان بالتركيز على اتجاه البلاد نحو التغريب إلى حد القول بأن مصر ليست من إفريقيا وإنما أصبحت جزءً من أوروبا، ويضفي البيان على شعب مصر شخصية قومية خاصة ومتميزة[5]، وهو ما يوضح في اعتقادنا تأثر مصر بالمفاهيم القومية القُطرية التي عززتها الحرب وما أسفر عنها من نتائج.

---

[1] جلال يحيى، مرجع سابق، ص.ص326-327.

[2] سلامة موسى، "**ذكريات الحرب الكبرى الأولى**"، الكاتب، مج5، ع18، القاهرة، 1947، ص.ص254-255.

[3] Reginald Wingate, **Wingate of the Sudan: The Life and Times of General Sir Reginald Wingate, Maker of the Anglo-Egyptian Sudan**, Murray, London, 1955, P228.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص72.

[5] المرجع نفسه، ص73.

ج. سيرورة الثورة:

بدأت الثورة المصرية بإضراب طلبة كلية الحقوق في 09 مارس 1919م، ثم أضرب طلبة الأزهر والمدارس الثانوية والعليا ، كما اتسع الإضراب ليشل باقي مرافق الحياة العامة ، واضم لذلك مختلف فعاليات المجتمع المدني المصري وتوقف الحركة التجارية[1]، وتوحد مطلبهم حول استقلال مصر وإطلاق سراح سعد زغلول وزملائه وانتشرت الثورة في باقي أقاليم مصر[2].

كما إشترك الأقباط والمسلمون بالثورة وظهر ذلك جلياً في شعارات "الصليب مع الهلال" ، وتبادل خطباء الأقباط والمسلمون الخُطب في أماكن العبادة لكلٍ منهما [3]، وقام الفلاحون بقطع خطوط السكك الحديدية والاتصالات، وبذلك انفصلت القاهرة باعتبارها العاصمة عن باقي البلاد واستولوا على مراكز الشرطة ومخازن الحبوب [4]، ورداً على ذلك قامت السلطة العسكرية في 17 مارس 1919م بإنذار القرى وحملتها نفقات إصلاحها ولكن دون جدوى ، فأنذرت مرة أخرى في 20 مارس1919م بإحراق القرى في حالة استمرار أعمال الشغب، وعملت السلطات البريطانية أيضاً على تشكيل محاكم عسكرية خاصة لمن يقبض عليهم في المظاهرات ولكن هذه الإ جراءات لم تزد الثورة إلا إشتعالاً [5]، حيث قام الفلاحون بمهاجمة النجدات البريطانية النهرية ، غير أن القوات العسكرية البريطانية استعملت القوة المفرطة فسقط مئات القتلى، واشترك البدو في الثورة وجرت بينهم وبين قوات الاحتلال معارك أكبرها في الفيوم [6]، كما أن الجيش المصري أظهر تعاطفه مع أحداث

---

[1] مُحَمَّد علي الغتيت، **الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ، ثورات العرب في سنة 1919م ثورة مصر**، ج2، الدار القومية، القاهرة، د.ت، ص68.

[2] حسين مؤنس، **دراسات في ثورة 1919م**، سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص70؛ ينظر أيضا: عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة 1919م، ج2، مرجع سابق، ص.ص158-172.

[3] طارق البشري، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، مرجع سابق، ص.ص134–136.

[4] مُحَمَّد أنيس، "**دور الفلاحين في ثورة 1919م**"، آفاق عربية، ع7، السنة 02، بغداد، 1977، ص.ص12-14.

[6] جلال يحي، مرجع سابق، ص113.

[6] عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة 1919م، مرجع سابق، ص.ص168-169.

الثورة من خلال عدم إشتراكه بقمع المظاهرات ، وتضامن طلبة المدارس الحربية والشرطة مع طلبة المدارس الأخرى[1].

ونظرا لحالة الفوضى وغياب السلطة والانقطاع بين المدن والقاهرة تولت هذه المدن مقاليد أمورها بنفسها، كما حدث في المنيا وأسيوط وزفتي[2]، وأمام اشتعال الثورة اضطرت الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها فعينت أدموند هنري ألنبي[3] (Edmund Henry Allenby) (1919-1925م) مندوبا ساميا فوق العادة، وأعطته الصلاحيات الكاملة لاستعادة القانون والنظام بالقضاء على الثورة والعمل على استمرار الحماية[4].

وصل ألنبي إلى مصر في 25 مارس واتبع سياسة المرونة أي المزج بين اللين والشدة كل في موضعه، بحيث ترك للإجراءات العسكرية أن تستمر في ضرب الثورة من ناحية ، وقابل في 26 مارس أعضاء الوفد والحكومة المستقيلة و أعيان البلاد وبحث معهم أسباب الاضطرابات من ناحية أخرى ، وقدم له أعضاء الوفد تقريرا عن المظالم السياسية من إعلان الحماية والثورة، ثم حثوا الشعب على الهدوء والسكينة وعدم الاعتداء على الأملاك أو قطع المواصلات [5]، قرر ألنبي بعد عدة اجتماعات أخرى بينه وبين أعضاء الوفد وحسين رشدي إبلاغ حكومته بأنه سوف يسمح لمن يشاء من المصريين بالسفر بهدف مهادنة الثورة والتخفيف من حدتها [6]، وقد فعل ألنبي ذلك بعد أن تأكدت الحكومة البريطانية من اعتراف الدول في مؤتمر السلام بالحماية البريطانية على مصر[7].

---

[2] عبد العظيم رمضان ، **"موقع الجيش المصري في ثورة 1919م"**، السياسة الدولية، مج 9، ع 31، القاهرة، 1973، ص.ص86-91.

[2] أحمد بهاء الدّين، **أيام لها تاريخ**، دار الشروق، ط3، مصر، 1991، ص.ص88-93.

[3] أدموند هنري ألنبي (Edmund Henry Allenby) (1861-1936م): عسكري بريطاني تخرج من كلية سان هيرست، شارك في حرب البوير عام 1898م كان القائد العام للجيش البريطاني الذي إحتل القدس ودمشق أثناء الحرب العالمية الأولى، عين مندوباً سامياً لمصر بدلاً من ونجت (1919-1925م). ينظر: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/26، الساعة: 14.00.

[4] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص70.

[5] مُحَمَّد علي الغتيت، مرجع سابق، ص71.

[6] Marlowe, Op.Cit , P235.

[7] عبد العزيز رفاعي، مرجع سابق، ص159.

إن ما يُستشف من الثورة و بناء على أن المشاركين فيها من مختلف فعاليات المجتمع المصري وتحت زعامة حزب الوفد و قيادات حزبه الذي له اعتقاد راسخ بقُطرية مصرية "حيث كان الوفد هو الممثل الأساسي لثورة 1919م"[1]، وكانت الشعارات المرفوعة خلال الثورة تدل على وحدة الصف المصري و الإيمان بمصر كيان مستقل دون الحاجة إلى أي ارتباط أو انتماء خارجي حيث يورد أنه وخلال الثورة "توحدت الطائفتين المسلمة والقبطية في نضال وطني شامل و مشترك"[2].

وفي هذا الإطار نشير إلى دور حزب الوفد المصري في توحيد الأقباط و المسلمين حول القضية الوطنية " فكل خطب سعد زغلول جمعت بين الهلال والصليب، وقد انصهرت الاختلافات الدينية في إطار حركة وطنية علمانية مصرية واحدة" [3]، وقد كان حزب الوفد هو التنظيم السائد في ثورة 1919م الذي عمل على محو كافة الارتباط العثماني كون ميثاق الوفد الذي أُعد سنة 1918م لا يذكر أي ولاء خارجي لمصر.

2. الفكر القُطري عَقِبَ ثورة 1919م:

وفي هذا الإطار تشير الدراسات المختصة أن القومية القُطرية المصرية قبل ثورة 1919م كانت خاصة بالنخبة المثقفة ، ثم بعد هذه الحركة أصبحت القومية القُطرية المصرية حركة شعبية ، ويمكن أن نفسر التحول بمجموعة من الأسباب منها:

+الأفكار الجديدة : التي مثلت نتاجا للطباعة وانتشارها، هذه الأخيرة التي مكنت الصحفيين والكُتاب والمفكرين من بلوغ قطاع أوسع من القراء ، كما أنها "عززت تضامنهم" [4]، وأولتهم اعترافا بأنهم: "بمثابة منبئين بأفكار عصرية"[5]، فقد عملوا على ظهور مفاهيم جديدة وإحياء تصورات قديمة

---

[1] أ.جرشوني،ج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص74.

[2] المرجع نفسه، ص73.

[3] نفسه، ص73.

[4] مروان بحيري وآخرون، **الحياة الفكرية في المشرق العربي (1890–1939م)**، تر: عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1983، ص25.

[5] المرجع نفسه، ص.ص25-26.

عن إعادة تنظيم المجتمع والدولة ومركز الفرد، فضلا عن طبيعة علاقته مع كليهما ونقصد بذلك علاقة الفرد بالمجتمع من جهة وبالدولة من جهة أخرى.

-الروح الجديدة الناجمة عن الحرب والتي كشف حقيقة الأوروبي وفكره الاستعماري.

-الوعود والبيانات أثناء الحرب كالوعد بتقرير المصير.

-الظُلم الذي لحق مصر خلال الحرب لاعتبارها قاعدة خلفية تم استنزافها خلالها ماديا وبشريا (كتجنيد الفلاحين في القوات الحليفة في فلسطين) [1].

-التغيير الذي مس سلطة القصر حيث تم استبدال عباس حلمي بعمه.

-إلغاء السيادة العثمانية على مصر وإعلان الحماية البريطانية على مصر 1914م.

-معاملة مصر تحت ظروف الحرب معاملة المستعمرة.

-زيادة عدد جنود بريطانيا بمصر مما أثار حفيظة المصريين.

-عدم تحسن نوعية الخدمات بمصر رغم الوعود الانجليزية.

ومن الأفكار التي عقبت ثورة 1919م ولها دلالة على انتشار و توسع تيار القُطرية المصرية نذكر ما يلي:

-إن الخلفية الإيديولوجية لقيادة الثورة خلال السنوات الأولى لها والتي تشكلت من قدماء الأعيان الذين ارتبطوا خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى بحزب الأمة ذو التوجه العلماني، والذي يدعو إلى انفصالية القومية المصرية، حتى أن سعد زغلول كان عضوا بحزب الأمة قبل سنة 1914م[2]، وعملت على نشر المفاهيم والأفكار القُطرية التي تؤمن بالولاء لمصر القُطر لا غير.

-للثورة رُوح قومية قُطرية مصرية كونها تحت زعامات الوفد التي لم تَنْسُبْ النصر فيها إلى أية جهة عدا الجهة الوطنية المصرية[3].

-عبّرت بيانات ثورة 1919م عن مصر ككيان مميز، وعن المصريين كأمة تاريخية متميزة أيضا[4].

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص207.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص69.

[3] عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة 1919م، مرجع سابق، ص23.

[4] مُحَمَّد حسين هيكل، مذكرات..، مصدر سابق، ص84.

-إن أهم ما يُلاحظ حول فكر الثورة أنه فكر قُطري مصري جديد يؤمن بمصر كوطن قومي وكيان حضاري خاص ويرفض جميع التيارات القديمة كالدّينية العثمانية والعربية على السواء.

-استطاعت ثورة 1919م أن تلغي الحماية سنة 1922م وتحقيق الاستقلال يوم 15 مارس 1922م بإعلان "مصر دولة مستقلة ذات سيادة "[1]، ولا تحوي أية إشارة إلى الارتباط بالإمبراطورية العثمانية أو العالم العربي، والعمل على وضع الدستور يوم 19 أفريل 1923م الذي عبر في مادته الأولى عن الاتجاه القُطري المصري لمصر المستقلة "مصر دولة حرة مستقلة ذات سيادة"[2]، وبذلك تفتح الباب أمام التمصير.

-أنعشت الثورة البورجوازية المصرية بعد تأسيس بنك مصر على يد طلعت حرب.

-تأسيس أحزاب تقوم على أساس قومي مصري ذو بعد قُطري.

-انتصار التيار القومي المصري الليبرالي.

عموما فإن الحرب العالمية الأولى والثورة المصرية سنة 1919م وما أعقبهما من ترتيبات بمصر أدى إلى ظهور الدولة ذات الطابع الإقليمي، حيث تبنّى بعض قادة التيار ال قُطري المصري للخط الليبرالي الذي يسعى إلى ترجمة المشاعر الوطنية المصرية في السياق الاقتصادي، وهو الأمر الذي يحيلنا أن نطرح التساؤل التالي: ما مدى تجليات القُطرية المصرية في السياق الاقتصادي؟و قد يكون للقُطرية المصرية سياقات أخرى اجتماعية أو ثقافية لم تسعفنا ظروف البحث للوقوف عندها ،وهو ما يفتح مجالا أما الباحثين لغوض غمار هذا الموضوع.

3. تيار القُطرية المصرية في الجانب الاقتصادي بعد ثورة 1919م:

إن الإجابة عن التساؤل السابق تفرض أن نبحث في تطور الاقتصاد المصري خلال الفترة الزمنية لموضوعنا، غير أننا سنكتفي بعرض أهم مفاصل التحولات الفكرية الاقتصادية المصرية والتي أفرزت في النهاية وطنية اقتصادية قُطرية مصرية.

---

[1] ينظر الملحق رقم (02).

[2] يوسف قزما خوري، **الدساتير في العالم العربي، نصوص وتعديلات (1839-1987م)**، دار الحمراء، مصر، 1989، ص539. وينظر أيضا الملحق رقم (03).

إن اعتناق مجموعة من المصريين (متنفذي المصرفيين والتجار ورجال الأعمال) لأفكار تخص الاقتصاد ومستقبله وتطوره، "وانتظامها جنبا إلى جنب لتشكل مذهبا في الوطنية الاقتصادية هو مذهب متماسك نسبيا، فأتاحت لهذه الجماعة استخدام قوة الدفع الخاصة بالكفاح المصري من أجل الاستقلال..."[1]، وما كان يجمع هؤلاء الرجال ليس مجرد الإيمان بأن على مصر أن تتصنع، وهو إيمان يشتركون فيه مع الأغلبية الساحقة من المفكرين الوطنيين، وإنما الذي كان يجمعهم هو أن هذه العملية يجب أن تكون من عمل الرأسماليين المحليين وهم يستخدمون أموالا محلية[2].

ومع بداية العشرينات اتخذت جملة من الاجراءات المهمة لتنفيذ "منهاج الوطنية الاقتصادية"[3]، وعلى إثر ذلك أُسس بنك مصر سنة 1920م، كونه البنك ذو الأصل المصري الذي لعب دورا هاما في التأسيس للفكر الاقتصادي المصري الوطني الصرف الذي يعد أحد أوجه التوجه القُطري المصري في الجانب الاقتصادي، كما يُعد أعظم إنجاز اقتصادي لثورة 1919م "حيث كان الاقتصاد قبل ذلك يسيطر عليه الأجانب،حيث لا يمكن أن يرى النور إلا في أحضان ثورة شعبية وطنية تقلب موازين القوى وتفتح عيون الغافلين على حتمية الاستقلال الاقتصادي"[4].

لكن اختلال التبادل التجاري وظهور صعوبات في استيراد المصنوعات وخروج الأجانب من مصر أتاح لفئة صغار التجار والصناع فرصة الثراء ، فقد انتعشت الصناعات الدباغية والجلدية والأثاث وكثرت معاصر الزيوت [5]، فكثرت الأموال في المدن والقرى ونشطت التجارة الداخلية وارتفعت الأسعار وحصل أصحاب الحوانيت على الكثير من الأموال التي كان ينفقها جيش الاحتلال البريطاني[6].

---

[1] مروان بحيري وآخرون، مرجع سابق، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] نفسه، ص19.

[4] جمال بدوي، مرجع سابق، ص 83.

[5] أمين مصطفى عبد الله، **تاريخ مصر الإقتصادي والمالي في العصر الحديث** ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1951، ص110.

[6] عبد العزيز رفاعي، **ثورة مصر سنة 1919م، دراسة تاريخية تحليلية (1914–1923م)**، دار الكاتب العربي، ط1، بيروت، دت، ص80.

أما كبار ملاك الأراضي فإن احتكار بريطانيا للقطن باعتباره عماد ثروتهم ألحق الضرر بهم وأعاقهم عن جني الأرباح التي كانوا يأملون بها فانفصلت مصالحهم عن مصالح الإحتلال البريطاني[1].

وأسهمت السياسة الإقتصادية التي إتبعتها بريطانيا في تعقيد الوضع، حيث عمدت السلطات البريطانية إلى تحديد مساحة الأراضي المزروعة بالقطن بذريعة تعرض موارد الطعام للنقص ، وحددت أيضاً أسعاره وألغت أوامر تصديره وحصرتها في بيوت التصدير الأجنبية ، واحتكرت محصول عام 1918م، وحددت سعره بأقل من أسعار السوق العالمية [2]، مما أضر بمالية مصر المعتمدة بشكل كبير على القطن[3]. أما الصناعة فاتبعت بريطانيا فيها سياسة الاكتفاء الاقتصادي، أي الاعتماد على مصر في سد النقص الحاصل في الواردات الصناعية التي انقطعت بسبب الحرب وعانى من جراء ذلك الشعب المصري وجيوش الحلفاء في مصر [4]. لذلك قامت صناعة مصرية برأسمال محلي حيث تألفت "لجنة التجارة والصناعة"[5] التي شجعت الصناعة في مصر . ومن ناحية أخرى توقفت البنوك عن منح السلف على القطن بل أصرت على طلب أقساط الديون السلف الأخرى وتشددت الحكومة في جباية الضرائب[6].

إن مثل هذه الاجراءات من شأنها أن جعلت التوجه الوطني أكثر وضوحا ، "وشدت من عضدها الأنباء القائلة بأن الحكومة ستصر على استعادة حق البلاد بوضع تعريفاتها الجمركية حينما تنتهي المعاهدات الدولية النافذة في 1930م"[7].

---

[1] عبد العظيم رمضان، **صراع الطبقات في مصر (1832–1952م)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1978، ص21.

[2] صلاح عيسى، مرجع سابق، ص16.

[3] شهدي عطية الشافعي، مرجع سابق، ص31.

[4] أمين مصطفى عبد الله، مرجع سابق، ص109.

[5] لجنة التجارة والصناعة: تأسست عام 1916م على يد جماعة من الرأسماليين المصريين أبرزهم إسماعيل صدقي وطلعت حرب وغيرهم والهدف من تأليفها هو الوقوف على تأثير الحرب في الصناعة المصرية والنظر في الإجراءات التي يمكن إتخاذها في إحلال المصنوعات التي إنقطعت وقدمت تقريراً إعتبر دستوراً للسياسة الصناعية والتجارية المصرية حتى منتصف القرن العشرين . ينظر: أمين مصطفى عبد الله، مرجع سابق، ص110.

[6] جلال يحيى، مرجع سابق، ص238.

[7] مروان بحيري وآخرون، مرجع سابق، ص19.

أما من ناحية التجارة فقد انقطعت التجارة الخارجية ولكن التجارة الداخلية ازدهرت لإقبال جيوش الحلفاء على شراء المواد الصناعية والزراعية وخاصة الملابس وغير ذلك لأغراض عسكرية، ومع ذلك وفي بداية الحرب أصدر بنك إنجلترا تعليماته إلى البنك الأهلي المصري [1]، باستبدال رصيد الذهب المصري بسندات على الخزانة البريطانية بحجة أن ضرورات الحرب تحتم عليه الاستيلاء على الذهب المصري الموجود في خزائنه، وبضغط من سلطة الاحتلال قامت الحكومة المصرية بإعفاء بنك إنجلترا من الشرط القاضي بأن يكون نصف الاحتياطي من الذهب وسمحت له بالاحتفاظ بأذونات الخزانة البريطانية ع وضاً عن الذهب وبذلك أصبحت مصر في دائرة الجنيه الإسترليني [2]، وهكذا حصلت بريطانيا على إمكانية تسديد نفقاتها العسكرية في مصر بأوراق نقدية إلزامية من غير أن تنفق ذهبا، مما أدى إلى حصول تضخم نقدي وبالتالي الى ارتفاع أسعار المواد الأساسية.

وزدات الدعوات إلى التحلي بالوطنية المصرية في كافة التعاملات ، "لا تتكلم قط الإ بالعربية، ولا تُجِبْ مَنْ يُكَلِمُكَ بلسان آخر كائنا من يكون، لا تدخل قط مخزنا لم يكتب اسمه بالعربية، ولا تشتري إلا من مصري، ولا تلبس إلا ما هو مصنوع في مصر، ولا تأكل إلا طعاما مصريا... وازدر ما هو غريب من صميم القلب، أما في وطنيتك فكن غيورا حتى الجنون..."[3].

ورغبة في نشر الفكر القُطري المصري من الناحية الاقتصادية فقد أسس سلامة موسى سنة 1930م "جمعية المصري للمصري" ، وهي تهدف إلى "إيقاظ ضمير الأمة الاقتصادي" [4]، واستخدم الممولين والصناعيين نوعا من الوطنية الاقتصادية للمحافظة على هيمنة عقيدة الفكر القُطري ، حيث استخدمت بفعالية في سياق مصري حتى استطاعوا توظيف الحجة المؤيدة للرأسمال الوطني وذلك

---

[1] البنك الأهلي المصري: بنك بريطاني أسس عام 1898م كان يقوم بإصدار أوراق النقد شرط أن تحتفظ خزائنه بذهب يساوي نصف قيمتها وبسندات على الخزانة المصرية تساوي النصف الآخر ، كذلك يقوم بإصدار قروض للحكومة المصرية والبلديات والمنشآت والمؤسسات العامة والإشتراك في جميع الأعمال التجارية أو المالية أو الصناعية في مصر، وكانت الحكومة تودع فيه أموالها وكذلك كبار تجار القطن. ينظر: عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مصر، مرجع سابق، ص40.

[2] عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مصر، مرجع سابق، ص40.

[3] مروان بحيري وآخرون، مرجع سابق، ص21.

[4] سلامة موسى، اليوم والغد، مصدر سابق، ص46.

لتوسيع مجال نفوذهم[1]، كما هدفت إلى مقاطعة الإنجليز ووضحت أن غرض الجمعية ليس عزل مصر ولا مقاطعة الأجانب لأنه كما نشتري منهم نبيعهم القطن، لكن الغرض تفضيل المصري على الأجنبي والبضاعة المصرية على الأجنبية[2].

[1] مروان بحيري وآخرون، مرجع سابق، ص23.

[2] سامية مُحَمَّد عبد الرحمن الشرقاوي، **الجمعيات السياسية والاجتماعية والدينية ودورها في المجتمع المصري (1882–1936م)**، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010، ص115.

خلاصة الفصل:

ما يمكن أن نخلص إليه من خلال عرضنا لعناصر الفصل الثاني، أن القُطرية فكرة آمن بها بعض أقطاب النخبة المصرية والتي كان لها من المميزات ما لم يتوفر لسابقيهم من النخب، اختلفت وتعددت مشاربهم الفكرية، وتجلى الاختلاف في نظرة كل منهم للقُطرية المصرية والهُوية المصرية، فكان أحمد لطفي السيد منظراً فريداً في رؤيته، كما شغلت مسألة الأمة حيز الاهتمام والتفكير وتضافر الجهود لإثبات وجودها بعيدا عن الانقسامات الطائفية. وكان للأحزاب الوطنية ذات التوجه القُطري أيضا رؤية للمساهمة في توجيه الرأي العام المصري من الاهتمام بمصر دون سواها، وعبّرت ثورة سنة 1919م عن توجه مصري وطني قُطري بحت من خلال الأفكار التي دعت إليها النخبة، كما كان الجانب الاقتصادي ميداناً خصبا لظهور الفكر القُطري من خلال الممارسات الاقتصادية الوطنية.

الفصل الثالث

موقف تيار القُطرية المصرية من قضايا عصره

تمهيد:

لم يكن تيار القُطرية المصرية تيارا سياسيا له مؤسساته التي تمكننا من خلال تتبع مراحل التشكل والتكون وتفاعله مع مختلف القضايا الرسمية وغيرها بناءً على وثائقه الرسمية وبياناته ومراسلاته، بل كان تيارا فكريا أخذ بعض تجلياته في الصحف والمجلات وبقي بعض منها في المؤلفات والمذكرات الشخصية، وعليه فإننا نعتمد في قراءة مواقف أنصار تيار القُطرية المصرية على مستويين إما المستوى الشخصي من خلال ما ترك من أثر في المذكرات الشخصية أو المقالات المنشورة أو على مستوى الحزب الذي ينتمى إليه خاصة ما توافق بين مبادئ الحزب القُطرية الفكر، وسنعرض موقف بعض أنصار تيار القُطرية المصرية من بعض القضايا المعاصرة لهم .

المبحث الأول: موقف تيار القُطرية المصرية من القضايا التاريخية والفكرية:

1. موقفه من الاحتلال البريطاني بمصر(1882–1936م):

نعرض خلال هذا العنصر آراء مجموعة من أنصار تيار القُطرية المصرية تجاه الاحتلال البريطاني لمصر ومنها:

أ. مُحَمَّد عبده:

مثّل برأيه كأحد المعتقدين بالقومية المصرية ذات البُعد القُطري جواز التعاون مع الأنجليز شرط مساعدتهم من أجل التربية الوطنية وكذا شرط البقاء مؤقتا ، وقد كان على صلة طيبة باللورد كرومر (Cromer) الحاكم العام البريطاني بمصر، مع أنه لم يكن يحب الرسميين البريطانيين ولم يكن راضيا كل الرضى عن السياسة البريطانية المنتهجة في مصر[1].

أما عن حقيقة موقف الشيخ مُحَمَّد عبده من الاحتلال الإنجليزي لمصر، فإنّه كان ساعيا –وإن يكن بطريقته الخاصة– لتقريب اليوم الذي يزول فيه هذا الاحتلال، ومن تعليقات له ومحاورات وآراء متناثرة نلمس هذا الموقف[2]، وهو الأمر الثابت حول موقف مُحَمَّد عبده وعداؤه لاحتلال الإنجليز لمصر،

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص166.

[2] مُحَمَّد عمارة، مرجع سابق، ص92.

وكراهيته لهذا الاحتلال، وثقته بزواله، وعمله من أجل حرية البلاد[1]، حيث أنّه خلال فترة نفيه زار لندن ودافع فيها عن حق مصر في جلاء الإنجليز عنها، وقال في هذا "إن العمل على إخراج الإنجليز من مصر عمل كبير جدا، ولابد من الوصول إلى الغاية منه بالسير في الجهاد على منهاج الحكمة، والدأب على العمل الطويل ولو لعدة قرون"[2]، أما الأمر الذي خالف فيه أنصار تيار القُطرية المصرية فهو الأسلوب والآلية التي ينبغي إتباعها لبلوغ الغاية وتحرير البلاد من هذا الاحتلال، فالشيخ مُحَمَّد عبده وقف ضد الاحتلال أيام الثورة العُرابية سنة 1881م، واتبع منهج أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني في سلوك الطريق الثوري لمناهضة هذا الاحتلال، حتى وهو في المنفى شارك في تنظيم العروة الوثقى، ولكّنه بعد العودة من المنفى سلك طريق التربية والتعليم، وتكوين القيادات الفكرية المتحررة والمستنيرة، ظنّا منه أن هذا الطريق التدريجي سوف يثمر ولو بعد أزمنة طويلة لتحقيق حرية البلاد عندما تنمو شخصيتها فتصبح أعظم وأقوى من قدرات هذا الاحتلال[3].وهو ما تم تحقيقه فعلا بعد نضال رجالات الحركة الوطنية المصرية إلى غاية سنة 1936.

ومن صور الرفض لدى الشيخ أنه حرض المسلمين في العروة الوثقى على عدم التعاون مع المحتلين، مذكرا بأن دين المسلمين يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم، وبالتالي فمحمد عبده دعا إلى الإتحاد العام الأعظم لدينهم ورفض الاحتلال الأجنبي، ونسيان الصراعات، والنزاعات وتجاوز الخلافات الداخلية أثناء الخطر.

إن مُحَمَّد عبده وإن هادن الاحتلال وآثر مسالمتهم ظناً منه أن المحتل أمرٌ واقع وقوي، وأنه من غير المعقول منح الرعية ما ليست مهيأة لها، إلا أنه لم يُفرط إطلاقا بوطنيته وقد رد على وزير حربية إنجلترا الذي إدعى أن المصريين يكفيهم إدخال تحسينات إدارية واجتماعية وسياسية لينسوا رابطتهم الوطنية، فقال: "إن المصريين يحبون أوطانهم كحُب الشعب الإنجليزي لبلاده"[4].

---

[1] سامي صالح مُحَمَّد الصياد، "**الصراع البريطاني–الفرنسي على مشروع قناة السويس (1854–1869م)**"، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، جوان 2006، ص236.

[2] مُحَمَّد عمارة، مرجع سابق، ص92.

[3] سامي صالح مُحَمَّد الصياد، مرجع سابق، ص237.

[4] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص93.

وإذا كانت مناهضة الشيخ مُحَمَّد عبده للنفوذ والاحتلال الإنجليزي إبان الثورة العُرابية قضية ليس عليها خلاف، فإن الوهم الذي يسيطر على البعض فيجعلهم يقولون إن الرجل قد غير موقفه هذا بعد فشلها، إنه بحاجة إلى التبديد من خلال إبراز موقفه الوطني بعد فشل العُرابيين[1]، حيث أكد الباحثون أنّه كان ضد التدخل الأجنبي، وهذا حدث ومصر لم تزل مستقلّة وغير محتّلة رسميا[2].وواصل نفس النهج حتى وهو بالمنفى وبعد عودته إلى مصر ولكن اختلفت الطريقة فقط.

ب. أحمد لطفي السيد:

ناهض البريطانيين والحكم الملكي الخديوي لأنهما صورتان من صورالاستبداد يحرمان الشعب المصري حق أن تحكمه حكومة شرعية، بيد أنه أقر بمزايا الإدارة السليمة والتنظيم المالي التي جاء بها الحكم البريطاني، واعتقد أنه في ظل تلك الظروف لم يكن التطلع إلى الاستقلال عن بريطانيا واقعياً؛ فالبريطانيون لهم حقوق مكتسبة في مصر، ويملكون القوة العسكرية اللازمة للدفاع عنها.

وطرح بدلًا عن الاستقلال أن يستغل الشعب المصري البريطانيين لتغيير الحكومة المصرية عن طريق فرض دستور على الخديوي، ولبناء مؤسسات الحكم المحلي التي تضم المجلس التشريعي ومجالس المحافظات، والمطالبة بالدستور يتيح لهم الاشتراك في الحكم مع السلطتين الشرعية التي يمثلها الخديو ي والفعلية التي يمثلها البريطانيون بصورة فعالة، وهو أمر يرى أعضاء ح زب الأمة أنه من حصتهم، فتتألف طبقتهم من (أولي الرأي في الأمة) ومن (أصحاب المصالح الرئيسية) الذين هم (رؤساء العائلات) التي تتكون منها الأمة في نظرهم[3].

ويرى الحزب أن أعداءهم ليسوا البريطانيين فقط وإنما الخديو ي بسلطته لا يقل خطراً على مصالح الأمة عن البريطانيين بسلطتهم المطلقة ولهذا نجد أن حزب الأمة يستهدف الخديوي والبريطانيين معاً.

---

[1] مُحَمَّد عمارة، مرجع سابق، ص88.

[2] مفيدة مُحَمَّد إبراهيم، **عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص205.

[3] عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر (1918–1936م)، مرجع سابق، ص42.

انتقد أحمد لطفي السيد الاحتلال أيضا ليس لكونه حكما أجنبيا بل لكونه مطلقا، حيث لا يملك أجندة زمنية مستقبلية لمنح مصر الاستقلال، مع أنه يعترف بوجود منافع للاحتلال البريطاني لمصر وفي الآن ذاته فهو لا ينبذ سياسة التعاون معه بل يدعو إليها بقوله: "مصلحة مصر تقتضي التعاون معها"[1]، كما كانت قوة إنجلترا ترهبه فهو يقارن بين القوتين ، ويستنتج عدم قدرة مصر على مجابهة قوة إنجلترا، وقد أعاب في هذا السياق على مُحَمَّد عرابي باشا قيامه بالثورة مفسرا ذلك بجهل مُحَمَّد عرابي بمبدأ تكافؤ القوى[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن أحمد لطفي السيد قدم مشروعا أيام الحرب العالمية الأولى مفاده قيام المفاوضات بين مصر والإنجليز بغرض إعلان الاستقلال عن الدولة العثمانية [3]، وقد رفض بشكل لا لبس فيه استمرار ارتباط مصر السياسي بالإمبراطورية العثمانية ، ويعود ذلك حسب الكاتبان أ.جرشوني وج.جانكوفسكي إلى "قناعته بأن التضامن القائم على أساس ديني يتعارض مع القومية العلمانية ذات الجذور الإقليمية التي كان يتبناها ، فحسب لطفي السيد الولاء الدّيني يناقض الصبغة المصرية المقدسة فمصر للمصريين"[4].

ولقد لخص الباحث "مُحَمَّد مُحَمَّد حسين" جملة من المواقف تجاه الاحتلال البريطاني وهي لصحيفة "الجريدة" باعتبارها لسان حال حزب الأمة ورئيسها "أحمد لطفي السيد" بالقول: "الجريدة تهادن الاستعمار وتقتصر على المطالبة بالتدرج في الإصلاح ومحاربة فكرة الجامعة الإسلامية والدعوة إلى الانفصال التام عن تركيا، والعمل على إنشاء دولة مصرية موالية للإنجليز" [5]، وقد وصف "أنور الجندي" موقف "أحمد لطفي السيد" من الاحتلال فقال: "كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مطامع جوهرية في مصر، وأنها هي نفسها قد أعلنت على بقائها في مصر، وأن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح، وإذا لا يمكن إخراجها بالقوة... وقد أعلنت بريطانيا تحديدا احتلالها وخلفت الشعور بأنها

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص188.

[2] المرجع نفسه، ص187.

[3] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص30.

[4] المرجع نفسه، ص29.

[5] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص105.

باقية إلى الأبد، وأن مصلحة مصر تقضي بالتعاون معها في أي تدبير تتخذه في سبيل إنماء قوة البلاد"[1].

إن حزب الأمة الذي أنشأه أحمد لطفي السيد كان بإجماع الآراء صناعة بريطانية أراد اللورد كرومر (Cromer) أن يواجه الحركة الوطنية بمجموع الاقطاعيين والثُرات والأعيان، وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة (تقنين الاستعمار) وتحويل الاحتلال إلى وجود شرعي يتقبل المثقفين وشباب الأمة له مع الدعوة إلى المهادنة مع الغاصب وتقبل كل ما يسمح به دون مطالبته بشيء ووصف الدعوة الوطنية المطالبة بالجلاء والحرية بأنها دعوة عاطفية، ووصف ارتباطها بالإسلام وبالوحدة الإسلامية بأنها رجعية[2].

ج. مصطفى كامل:

يعتبر مصطفى كامل الإنجليز عدوهم الوحيد [3]، فقد دع ا إلى وضع حد للاحتلال البريطاني وذلك ممكن بمساعدة دولة ثالثة إما: فرنسا الخصم التقليدي لإنجلترا في الشرق أو السلطان العثماني[4]. وقد أيده السلطان الخديوي عباس حلمي المتأثر وإن بمقدار ضئيل بفكرة الوطنية المصرية ، كما استخدم سلطة القصر وتأييد الجماهير ونفوذ إسطنبول وباريس لمنع وقوع مصر كلية ودائما تحت النفوذ البريطاني. غير أن موقفه تغير بسبب جملة من العوامل أهمها هي فشل فرنسا في موقعة فاشودا 1898م[5]، وبعد ذلك توقيع الاتفاق الانجليزي الفرنسي سنة 1904م[6].

---

[1] أنور الجندي، أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، لطفي السيد وطه حسين، مرجع سابق، ص36.

[2] المرجه نفسه، ص33.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص205.

[4] المرجع نفسه، ص206.

[5] موقعة فاشودا 1898م: مثلت ذروة النزاع الإقليمي الأمبريالي بين بريطانيا وفرنسا في مصر، كادت الحادثة أن تؤدي إلى نشوب حرب بين الدولتين، غير أنها سُويت بفضل الجهود الدبلوماسية (معاهدة السودان 1899م). ينظر: جلال يحي، مرجع سابق، ص83.

[6] الاتفاق الإنجليزي الفرنسي 1904م: مجموعة من الاتفاقيات التي وقعتها كل من بريطانيا وفرنسا في 08 أفريل 1904م بعد تسوية عدد من النزاعات الاستعمارية التي كانت ناشبة بينهما، ما ميّز هذا الاتفاق هو منح بريطانيا حرية التصرف في مصر ومنح فرنسا حرية التصرف في المغرب.ينظر: عبد العزيز مُحَمَّد الشيناوي وجلال يحي، **وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر** ، دار المعارف، مصر، 1969، ص67.

وبذلك فقد تحول موقفه في البحث عن حليف كفرنسا العدو التقليدي لبريطانيا في الشرق بعد أن أدرك التقارب الفرنسي البريطاني والضعف الفرنسي على السواء ، لكما أنه غيَر من وسائل نشاطه لاهتمام الخديوي بمصلحته الضيقة على حساب استقلال مصر. وبعد سنة 1904م تقرب الخديوي من البريطانيين بعد اعتزال اللورد كرومر ومجي ء الدون غورست [1]، حيث ظهرت وسيلة جديدة لنشاطه وهي فئة الطلبة وساعده في ذلك حادثة دنشواي سنة 1906م[2].

يعتبر مصطفى كامل الإنجليز أعداء الشعب المصري ، ويعتقد أن هذه العداوة لن تزول إلا بزوال الاحتلال، فوجودهم في نظره لم يكن ضروريا للإصلاح فهو يتم بدونهم[3]، لا بل يتم على أكمل وجه، وكان شعار حزبه (الحزب الوطني)، حتى بعد موته هو الجلاء الفوري بلا قيد ولا شرط[4].

وكان الإنجليز في نظره أعداء الامبراطورية العثمانية[5]، ويعرف بأنه معبرا "مشبوب العاطفة عن الوطنية المصرية، ومعارضا عنيدا للاحتلال البريطاني" [6]. وقد وصف مصطفى كامل بأنه آذان الفجر الصادق للوطنية الصحيحة والدعوة الصريحة، والقضية المصرية التي هزت كيان الدخيل وزلزلت بُنيانه وجعلته يحسب الحساب لهذه الأمة[7].

عمل مصطفى كامل على تحريك العالم ضد بريطانيا وخطتها ، فيصف الوضع بقوله "مصر وهي جنة الدنيا لا تستحق أن يداس شرفها بالأقدام ونصبح فيها نحن أبناءها الأعزاء ممقوتين

---

[1] الدون غورست (ELDON GORST) (1861-1911م): قنصل عام بريطاني بمصرمن 1907م وحتى وفاته، خلف اللورد كرومر، عمل على إضعاف الوطنيين بمصر خلال فترته . ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الاطلاع: 2020/12/30، الساعة:10:11.

[2] حادثة دنشواي 1906م: واقعة حدثت بقرية دنشواي المصرية التابعة لمحافظة المنوفية غرب الدلتا، حيث تطور الأمر بين خمسة ضباط إنجليز وفلاحين مصريين إلى مقتل عدد من المصريين بالنار بينهم امرأة، ووفاة ضابطٍ بضربة شمس. الأهم في القضية –وهو ما خلدها تاريخياً– رد الفعل الغاشم للسلطة الإنجليزية التي كان مضى ربع قرنٍ على احتلالها مصر وعلى رأسها اللورد كرومر والطريقة المتعجرفة الشنيعة في تنفيذ الأحكام. أدت التفاعلات إلى عزل كرومر وتأجيج الغضب الشعبي ضد المحتل وكل من يتعاون معه.ينظر: www.marefa.org تاريخ الاطلاع: 2020/11/30، الساعة: 11:27.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص207.

[4] مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مرجع سابق، ص237.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص209.

[6] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، ص27.

[7] مرذر معاليقي، مرجع سابق، ص136.

غرباء"[1]، ويوضح مصطفى كامل موقفه تجاه البريطانيين من أن انسحابهم لا يعني عودة سلطة الدولة العثمانية[2]، حيث قال: "إنه من غير المعقول أن يريد المصريون بعد مئات السنين من المدنية أن يصبحوا عبيدا من جديد... رمانا الطاعنون بأننا نريد أن نخرج الإنجليز من مصر لنعطيها لتركيا كولاية عادية، أي أننا نريد تغيير الحاكمين لا طلب الاستقلال والحكم الذاتي." [3]

وينفي مطفى كامل هذا الرأي و يعتبره "تهمة" وهو تصريح يفيد بأن علوم الغرب وآدابه التي نقلت إلى مصر من مدة قرن من الزمان ما زادتنا إلا تمسكا بالعبودية والمذلة، وأن معرفتنا لحقوق الأمم وواجباتها لم ترشحنا إلا أن نكون عبيدا أرقاء، فهذه التهمة هي مسيئة للمدنية والمتمدنين وقضاء على الأمة المصرية بأنها لا ترقى أبدا ولا تبلغ مبلغ غيرها من الشعوب"[4].

وقد عبّرت جريدة "اللواء" عن صوت مصطفى كامل والحزب الوطني تجاه الاحتلال، حيث "ناصبته العداء وأصلتْ حُلفاؤه ناراً مُحرقة، وقد تمكنت من تأجيج الروح الوطنية عند فئات الشعب ونجحت في تخريج كوادر وزعامات سياسية استطاعت فيما بعد قيادة الحركات السياسية في سبيل السيادة والاستقلال"[5].

إن هذا الموقف لجريدة "اللواء" المعادي للتواجد الإنجليزي بمصر تم رصده من خلال جريدة "الاتحاد العثماني" التي كتبت عن الموقف المعادي للاحتلال من طرف جريدة "اللواء" خاصة بعد وفاة مصطفى كامل، وذلك خلال مناسبة انعقاد مؤتمر الشبان المصريين سنة 1909م: "... فخلال المؤتمر تباحثوا شدة اللهجة التي تستعملها جريدة اللواء التي هي لسان حال الحزب الوطني بعد وفاة رئيسه مصطفى كامل باشا، مؤداه لا يسعنا إلا أن نأسف لما قام به المصريون من التطرف والإخلال بروابط الصداقة القديمة بين مصر وفرنسا التي أظهرت منذ القديم عناية خاصة بمصر" [6]، وفي السياق ذاته

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الوطنية المصرية، مرجع سابق، ص491.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص210.

[3] عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الوطنية المصرية، مرجع سابق، ص491.

[4] المرجع نفسه، ص 492.

[5] مرذر معاليقي، مرجع سابق، ص138.

[6] **مؤتمر الشبان المصريين وأضراره**، جريدة الاتحاد العثماني، ع315، السنة 02، بيروت، 30 سبتمبر 1909، ص01.

دعت الجريدة إلى إعمال العقل والابتعاد عن استعمال العنف لتحقيق المطالب، قائلة"إن بلوغ المصريين لأمانيهم لا يُنال بأمثال هذه الحركات الإفراطية، وكل من يحب مصر محبة حقيقية لا يوصي المصريين إلا بالمنهج في مطالبهم، منهج السكون والاعتدال... إن مطالب المصريين بإدارة مملتكتهم بأنفسهم أكثر من الحالة الحاضرة هم محقون فيها، لكنهم وإن كانوا محقين فإن الخطة التي سار عليها المؤتمر بلا شك تنتج عكس المقصود وتسلب أمنية إنجلترا من الشباب المصريين"[1].

د. سعد زغلول:

لقد أبدى حزب الوفد المصري بزعامة رئيسه سعد زغلول موقفه من الاحتلال[2]، حيث أبدى اهتماما بالإصلاح لا بالاستقلال، والمتتبع لتاريخ حزب الوفد وموقفه من التواجد البريطاني يجده قبل سنة 1914م لا يعترف أصلا بالاستقلال، ويعتبر الاستقلال المحدود مستحيلا، حيث أنه وحسبه كل مصلح عملي ليس له سوى خيار القبول بالوجود البريطاني ومحاولة الانتفاع به ، وقد أورد في خطبه "أما فيما يتعلق بالاستقلال فنحن أمة لا حزب ، ومن يقول لنا إننا حزب يطلب الاستقلال يكون مجرما لأن هذا يدل على أن في الأمة حزبا أو أحزابا أخرى لا تريد الاستقلال ، إن الأمة بتمامها تريد الاستقلال التام"[3]. وقد مثل الزعيم سعد زغلول في مواقفه من بعض القضايا حزب الوفدالرسمي ، ومع ظهور نية الحكومة البريطانية في الإبقاء على الحماية[4]، عمت المظاهرات الاحتجاجية على الإعلان في في معظم المدن المصرية[5]. كما رد حزب الوفد على إعلان دار الحماية عن طريق لجنته المركزية التي أكدت أن هذه العملية ستزيد من تمسك المصريين بحقوقهم وتوثق روابط الاتحاد والتضامن بينهم ومضاعفة جهادهم من أجل مصر[6].

---

[1] جريدة الاتحاد العثماني، مصدر سابق، ص01.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص.ص217-218.

[3] يوسف توما البستاني، **مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة**، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1926، ص27.

[4] عبد الكريم محمود غرابيه، **تأريخ العرب الحديث**، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1984، ص34.

[5] عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة 1919م، ج2، ص.ص79-80.

[6] محمود أبو الفتح، **المسألة المصرية والوفد**، مكتبة العرب، مصر، 1921، ص222.

كان لأنصار القُطرية المصرية موقفٌ مهادن للاحتلال، حيث رأوا أن "المحتلين لم يجشموا أنفسهم مشقة الإقامة في مصر إلا لرفع الظلم وإحياء العدل، وأكدوا أن نهجهم هو الاتجاه الوطني الصحيح"[1]، وقد كتب أحدهم مقالة بعنوان "سلامة المصريين من سلامة المحتلين"، بيّن فيها ضرورة مسايرة المحتلين، غير أن الواقع أن هؤلاء لا يرون في الوطنية إلا العمل على ملء البطون وتوفير المال، ولا يقيمون للقيم الخُلقية والوطنية وزن[2].

2. موقفهم من الخلافة العثمانية[3]:

نتتبع مواقف القُطريين تجاه الخلافة العثمانية من خلال عرض مواقف لنماذج منهم:

أ. مُحَمَّد عبده:

لخص الشيخ –باعتباره أحد أنصار التيار القُطري المصري – رأيه الذي أرسل به إلى المستشرق المقيم بمصر سكاون بلنت حول سلطة العثمانيين على مصر إذ يقول: "إن كل مصري يكره الأتراك ويبغض ذكراهم اللعينة"[4]، مع أنه منحهم الحق في أن تستمر سلطتهم على العرب باسم جامعة الدّين والملّة ولكن مع إصلاحها، وهو موقف يكشف لنا عن صفحة أخرى في فكره القومي القُطري، وعن ملامح لفكر قومي يستحق الاستخلاص والتأمل والدراسة على ضوء عصره وما صاحبه من ظروف وملابسات[5].

وطوال فترة الثورة العُرابية ظلّ الشيخ مُحَمَّد عبده على وفائه لموقفه هذا ضد محاولات العثمانيين الانتقاص من استقلال مصر، وكان على استعداد رفقة قادة الثورة لانتهاز فرصة تدخل الدولة العثمانية ضد بريطانيا في إطار إدعاء سلطتها على مصر وذلك لقطع ما تبّقى من سلطة شكلية بين مصر والآستانة، ويكتب بلنت عن أحداث 15 جوان سنة 1882م حسب ما تضمنته إحدى

---

[1] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص197.

[2] المرجع نفسه، ص.ص197-198.

[3] نوظف مدلول "الفكرة العثمانية" للدلالة على كل ما له علاقة بالدولة العثمانية، كالقومية العثمانية، والانتماء للجامعة الإسلامية في شقها السياسي العثماني، والسلطة العثمانية على مصر وغيرها مما له علاقة بجوهر الفكرة.

[4] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص165.

[5] مُحَمَّد عمارة، مرجع سابق، ص111.

الرقيات "إن نديم، عرابي وعبده يتحدون الباب العالي علنا، فالحوادث الأخيرة فيها ما يبعث بين الوطنيين على كراهة الأتراك والشراكسة والسلطان نفسه، وقد سمعت سامي وعبده ونديما يلعنون السلاطين والأمم التركية من عهد جنكيز خان وهولاكو إلى عبد الحميد، وقد تألّف حزب كبير يستعد لإعلان الإستقلال عن تركيا إذا تدخل الأتراك في مصر تدخلا حربيا وقد قال نديم ونحن راجعون من شبرا: إنّه سيهدم عرش السلطان قبل أن يموت"[1].

وقد رأى مُحَمَّد عبده أن العثمانيين غير قادرين على قيادة الأمة الإسلامية للرقي والرفعة بهكذا سياسة، ويتمّنى أن يتوّلى العرب خلافتهم بأنفسهم، ولكّنه كان يخشى أن الدعوة للتخلص من حكم العثمانيين قد يؤدي إلى نشوب صراع بين العرب والعثمانيين يضعفهم ويجعلهم لقمة سائغة للأوروبيين الذين يتحينون الفرصة للانقضاض على أملاك الدولة العثمانية، وهو ما حدث بالفعل بعد الحرب العالمية الأولى[2].

وفي موقف آخر نجد أن مُحَمَّد عبده لم يكن من أنصار زوال الخلافة العثمانية، ولكنّه كان من أنصار إصلاحها وتجديد شبابها، على أن تقف عند حدود السلطة الروحية التي تلعب دورا في التضامن الإسلامي، ومُحَمَّد عبده –والحق يقال– كان قليل الثقة إلى أبعد الحدود في تمكن العثمانيين من القيام بهذا الدور بالنسبة للإسلام والمسلمين، فقد كتب إلى صديقه المستشرق سكاون بلنت عن رأيه فيما يخص الخلافة قائلا: "يشاطر كل المسلمين المستنيرين رأيهم في وجوب إصلاحها وتجديدها على قواعد روحية، وقد شرح لي كيف يؤدي حسن استخدام سلطتها على وجه شرعي إلى مساعدة حركة الترقي الأدبي، وكيف أن أصحاب هذه الخلافة أهملوا، بحيث صاروا غير أهل لإمارة المؤمنين، والواقع أن الأسرة العثمانية لم تحفل بالخلافة مثقال ذرة خلال القرنين الماضيين، ولم يبق لها حق ولا سلطان، حق السيف ولا سلطانه، على أنّهم ما زالوا أقوى أمراء المسلمين، ومن ثم يستطيعون القيام

[1] سكاون بلنت، **مستقبل الإسلام**، تر: مُحَمَّد صبري، دار الجمهورية، مصر، 2010، ص117.

[2] أحمد لطفي السيد، المنتخبات، مصدر سابق، ص136.

بالشطر الأكبر من العمل لخير الجميع، أما إذا لم يمكن حملهم على القيام بواجبهم فلا مناص من البحث عن أمير آخر للمؤمنين"[1].

ونحن نعتقد أن موقف مُحَمَّد عبده هذا المناهض للعثمانيين، والمعارض لسلطانهم على العرب ومصر بالذات ظلّ هو موقفه القومي الوطني، وذلك بالرغم من الكلمات التي اضطرته الظروف إلى أن يمدح بها السلطان العثماني وخلافته ودولته، خصوصا فترة المنفى حيث عاش في نطاق السلطة العثمانية المباشرة ببيروت[2].

وعندما يتحدث الشيخ مُحَمَّد عبده عن اللغات التي يتّم بها التعليم، وكانت التركية تزحف على مكان العربية بالمشرق العربي العثماني، وكان التعريب مطلبا وطنيا وقوميا هناك، يحدد أن اللغة التركية لابد من تعلم العرب لها حتى يتيسر لهم العلم، ويذكر في الثناء عليها إنّه لا يتيسر لنا العلم إلا بتعلم لغتين: "أضعاف ما ذكر في الثناء على اللغة العربية فقال اللغة التركية لأنّها لغة دولة قامت بشأن الممالك الإسلامية ما يقرب من سبعة قرون، وقد تكلّم فيها من الأفاضل والعلماء جم غفير، نحن في حاجة إلى الإستفادة من معارفه م، ثم هي اللغة الرسمية في الممالك العثمانية، فيها حياتنا السياسية، وبها نقف على هدى مولانا الخليفة الأعظم أيده الله بنصره، واللغة العربية وهي لغة القرآن الشريف، وكتب الشرع وهو بعد ذلك يخرج اللغات الأوروبية مثل الفرنسية وغيرها من اللغات من إطار المنفعة لغات العلوم في الوقت الذي أدخل التركية في هذا النطاق، وتحدث عنها هذا الحديث[3].

ب. أحمد لطفي السيد:

استدعت فكرة الخ لافة العثمانية اهتمام كبير لدى المفكر باعتباره أحد أقطاب تيار القُطرية المصرية خاصة بعد ثورة 1908م[4]، حيث رأى أولا بأن سلطة السلطان عبد الحميد الثاني قد زال ت،

---

[1] سكاون بلنت، مصدر سابق، ص109.

[2] مُحَمَّد عمارة، مرجع سابق، ص114.

[3] المرجع نفسه، ص116.

[4] انتهت مساعي الاتحاديين وثوراتهم على السلطان عبد الحميد بالظفر بالدستور سنة 1908م، استتبع ذلك مطالبة المصريين بالدستور، وحين استبدلت تركيا الحروف اللاتينية بالحروف العربية أخذ كثير من الكُتاب والصحافيين في مصر يناقشون ما سموه=

مبررا بذلك رفض فكرة الخلافة العثمانية[1]، ودافع عن معاهدة لندن 1840م التي تعترف باستقلال مصر[2].

وثانيا: الاستقلال عن الدولة العثمانية وبريطانيا، وذلك لأنه لا يريد أن تعود البلاد لحكم العثمانيين، ويعود الاستبداد القديم الذي كان يمثله الخديوي وأنصاره من العثمانيين والشراكسة وغيرهم من الجنسيات الغريبة، وكان أحمد لطفي السيد و جماعته من حزب الأمة يكرهون عمل الحزب الوطني على توثيق العلاقة مع الدولة العثمانية ودعوته إلى الجامعة الإسلامية، لأن تلك الدعوة غير متفقة مع النمو الذاتي المستقل للشعب المصري[3].

وحسب مقال "أحمد لطفي السيد" بافتتاحية جريدة "المقطم" ليوم 29 أفريل 1907م، فإن "الجامعة القومية تُنكر الجامعة الإسلامية، والرابطة العثمانية وتهاجمهما في عنف، وتقيم فكرتها على أساس من المصلحة المشتركة وحدها، وهؤلاء يعنون بالمصريين القاطنين في أرض مصر"[4].

كما هاجم أحمد لطفي السيد فكرة الجامعة الدّينية ضمن صفحات "الجريدة" ووصل به الحد إلى تسفيه الداعين إلى هذا الوهم الذي لا يقوم على أساس من الواقع حسب زعمه، ومما جاء في قوله: "إن فكرة الجامعة الإسلامية قد تجول أحيانا بخواطر بعض الناس الذين لا يزالون بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر في الأمور العامة بشيء من التدقيق، ولكن تلك الفكرة لم تخرج عن حيز الخواطر، تظهر وتختفي تبعا للحوادث، فكلما رأى المصريون اتفاق رجال السياسة الأوروبية على شيء

=مشكلة (الكتابة والخط والعربي)، وهكذا نجد تأثر الرأي العام والمفكرين المصريين بأحداث إلغاء الخلافة التي كانت مظهرا من مظاهر التجاوب العام بين تركيا والعالم الإسلامي عامة ومصر خاصة. ينظر: مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص.ص96-98.

[1] عندما تولى عباس حلمي الثاني خديوي مصر عام 1892م أرادت الدولة العثمانية إخراج سيناء من فرمان التولية لكن بريطانيا عارضت ذلك وفي نوفمبر عام 1906م إحتل العثمانيون طابا فتدخلت بريطانيا لوقف هذه المحاولة واحتفظت بسيناء وبقيت طابا ملكاً لمصر وإنقسم الشعب المصري بين مؤيد للدولة العثمانية ومعارض لها على إعتبار أنه يتوجب عدم التنازل عن أية أراضي لا للدولة العثمانية ولا لغيرها وإن مصر سوف تستقل عن بريطانيا والدولة العثمانية. يرظر: يونان لبيب رزق، **"أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابا 1906م"**، الجمعية التاريخية المصرية، مج13، القاهرة، 1967، ص.ص248-304.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص186.

[3] فاروق أبو زيدون، **أزمة الفكر العربي القومي في الصحافة المصرية** دار الفكر والقلم، القاهرة، 1976، ص150.

[4] **أحمد لطفي السيد**، المقطم، ع04، مصر، 29 أفريل 1907م.

يضر بمصلحة مصر أو يُبعد ميعاد استقلالها أو يُفيد استمرار الاحتلال إلى الأبد، قارنوا بين مصر وغيرها من ولايات البلقان التي استقلت، واستنتجوا من ذلك أن ذنب مصر أنها أمة إسلامية"[1].

وينفي"أحمد لطفي السيد" الوجود الحقيقي للجامعة الإسلامية ويعتبرها ضربا من الأوهام فيقول: "وأما كون الجامعة الإسلامية موجودة وجودا حقيقيا، أو أنها مقصد من المقاصد التي يسعى المسلمون لتحقيقها فهذا لا دليل عليه مطلقا"[2]. ويضيف في موضع آخر: "إن السعي لتأليف تحالف من هذا النوع وهمٌ من الأوهام، ويرى أن الداعين له يضيعون الوقت في خيال عقيم وأحلام بعيدة التحقيق"[3].

وكون الأمة في تفكير أحمد لطفي السيد تعني الوطن القومي (القُطر)، فقد وقعت الدولة الإسلامية خارج تفكيره وقد تجاهلها معترضا بأن لا علاقة لها بقضايا العالم الحديث [4]، ويعد تفكيره بأن الأمة المصرية كيان ذو وجود سياسي منفصل ينكر وجود الأمة الإسلامية سياسيا، فقد دعا إلى قيام مجتمع فاضل على غير الأساس المشترك الذي وضعه الدّين[5].

يبدو أن حزب الأمة رفع لواء القومية القُطرية المصرية من خلال دعوته إلى الاستقلال التام ، فالاحتلال البريطاني يذهب ويترك مصر لأهلها ، وأن الحصول على الحرية لا تأتي بالكلام بل بقوى متعددة ترفع إليه وهي الكفاءات الأخلاقية والعلمية والصناعية والإدارية والقضائية واشتراك الحزب مع الحكومة في الأعمال العامة والاهتمام بالتعليم ، وقد رفع الحزب منذ البداية شعار الاعتدال والتدرج على اعتبار أن الظروف التي تمر بها البلاد والعلاقة بين الحكومة والأمة تجعل من عمله أحوج إلى زمن طويل، وكانت وسائل الحزب لبلوغ غايته هي: "كافة الوسائل الشريفة من كتابة ومشافهة وإيفاد وفود وتفهم وتفاهم وإقناع"[6].

---

[1] **أحمد لطفي السيد**، الجريدة، 07 ماي 1907م. نقلا عن: أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص113.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص103.

[3] فاروق عبد القادر، **أحمد لطفي السيد داعية في السياسة والمجتمع**، آفاق عربية، ع12، السنة 02، بغداد، 1977، ص14.

[4] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص190.

[5] المرجع نفسه، ص199.

[6] أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، ص132؛ وينظر: فؤاد المرسي خاطر، **"موقف مؤتمر فرساي عام 1919م من بلاد المشرق العربي"**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث، القاهرة، 1970، ص55.

يتضح من برنامج الحزب ووسائله أنه يتبنى طرق سلمية مدنية و إن كان الحزب قد تبنى بعض الأساليب في مهاجمة الحكومة ونقدها.

ولد حزب الأمة وعاش حياته كلها على صحيفة "الجريدة" التي رأسها المفكر أحمد لطفي السيد، فكانت لوحة إعلان الحزب التي يعلن فيها برامجه ، وفتحت الصح فيها المجال للشباب الوطني وكون منهم رئيس الجريدة جمعية من المؤلفين والصحفيين لينظموا دراسات وتحقيقات للمطالبة بالتوسع في التعليم وبعض التنظيمات الأخرى[1].

ج. مصطفى كامل:

عبّر عن آرائه تجاه السلطة العثمانية ضمن صفحات جريدته "اللواء"، فهي من أولى الجرائد التي فندت مزاعم الاحتلال ودعت إلى الوحدة الوطنية، وحددت آفاق مرحلة النضال الوطني التي يخوضها الشعب المصري في سبيل التحرير والسيادة، ولهذا أبدى مصطفى كامل حرصه على دعم الدولة العثمانية للمسألة المصرية، وبعد أن أثبت لهم أنها الوحيدة التي انفردت من بين جميع الدول مطالبة للإنجليز باحترام عهود المسألة المصرية. ومن هنا وجب فهم مدح مصطفى كامل للدولة العثمانية حين قال أن لها سيادة على مصر بموجب معاهدة 1840م وباعتراف جميع دول المنطقة.

إن سياسة التقرب هي إحدى أحكم السياسات وأرشدها —حسبه- لا تعني بتاتاً انتقال مصر من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال العثماني، بل هو "أسلوب ذكي حتى لا يستفز عدوين ضده"[2].

3. الشيخ علي عبد الرازق (1888–1966م) ومسألة إلغاء الخلافة:

ندرج هنا موقف تيار القُطرية المصرية من قضية الشيخ علي عبد الرازق كونها مثلت الشغل الشاغل خلال تلك الفترة ولما لها من أهمية —في اعتقادنا- على تطور التيار القُطري المصري آنذاك من خلال ما دعا إليه من تجديد ديني وتنظيمي حداثي، ومفادها أن الشيخ علي عبد الرازق عبّر في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" عن بداية مرحلة جديدة في الفكر الدّيني المصري ، والذي يُعد نقلة

[1] جاكوب لاندو، مصدر سابق، ص141.

[2] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص138.

نوعية في التفكير الإصلاحي، لقد تناول الخلافة في الفكر والتاريخ الإسلامي وخلص إلى نتيجة مفادها أن هذا النظام غريب عن الإسلام ولا أساس له في المصادر، وتكمن أهمية هذا الجهد الفكري أنه استند إلى تاريخ الفكر الإسلامي وإلى حجج ومبررات مستمدة من النصوص الدّينية لتبرير العلمانية، فهو يرى أن كل ما جاء به الإسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فإنه شرع ديني خالص لله تعالى والمصلحة البشرية الدّينية لا غير[1]، لهذا كله فإن الدّين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، والخلافة ليست من شيء من الخطط الدّينية لا لها ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنما كلها خطط سياسية لا شأن للدّين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمرَ ولا نهى عنها وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى إحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة[2].

لقد أثار ذلك الكتاب الذي صدر مباشرة بعد سقوط الخلافة وتأسيس الدولة القومية في تركيا على يد كمال أتاتورك[3]، لهذا أثار ردود فعل قوية، لأنه لم يكن جهدا نظريا مجردا، بل جهدا سياسيا في معركة سياسية، لذلك ليس من المستغرب أن يحاكم علي عبد الرازق ويفصل من الأزهر، كما عزل من قبل مصطفى فهمي بسبب تطرقه لقضايا دينية بحرية كبيرة، فقد كتب عام 1913م بحث أكاديمي بعنوان "حالة المرأة في التقاليد الإسلامية"، وأدرج فيه منهجا عقلانيا تاريخيا في التطرق لقضايا المرأة، لقد استمرت هذه النزعة العقلانية والتنويرية مع الكثير من المثقفين بخاصة في مسألة التعامل مع التراث، كما أصدر طه حسين عام 1926م كتابه المشهور في الشعر الجاهلي مستخدما المناهج الحديثة في تعامله مع المقدس فأخضعها للفكر التاريخي والفكر العلمي[4].

---

[1] علي عبد الرازق، **الإسلام وأصول الحكم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، مصر، 2000، ص170.

[2] المصدر نفسه، ص182.

[3] سيار الجميل، **العثمنة الجديدة القطيعة في التاريخ الموازي بين العرب والأتراك**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2015، ص159.

[4] محمد عابد الأنصاري، **تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي**، سلسلة عالم المعرفة، ع35، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، نوفمبر 1980، ص182.

أثار كتاب علي عبد الرازق عاصفة كبرى كانت نتائجها وخيمة عليه، فقد هاجمه وشهّر به مفكرون مخالفون له، وأدانه رسميا مجلس من كبار علماء الأزهر، وفي إدانتهم إياه استندوا إلى نصوص من القرآن والحديث، وعرضوا منها سبع قضايا تضمنها الكتاب أو ادعوا أنه تضمنها، وحكموا بأن مؤلفه ليس أهلا لأي منصب عام[1].

كما تصدى "إسماعيل مُظهر" للقرار وموقف المجلس من علي عبد الرازق وقضيته، فكتب قائلا: "إنني أتوقع وعسى أن يكون ذلك قريبا، أن الخطوة التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الأسلوب الغيبي إلى وضع الأسلوب اليقيني، سوف تقودنا سعيا إلى ميدان يتصادم فيه الأسلوبان يثير في جو الفكر عجاجا ينكش الغبار عنه، الأسلوب العيني وقد تحطمت جوانبه وتترك الأسلوب اليقيني قائما لقد كان الهدف من هذه النصوص التأكيد على أن الإصلاح الدّيني قد مهد السبيل بطروحاته التجديدية إلى بروز نزعات وأفكار متقدمة فسحت لبروز حركات أكثر راديكالية"[2].

في الوقت الذي انتظر فيه مشايخ الأزهر إمضاء وثيقة العزل للشيخ علي عبد الرازق من وظيفته كقاضي بالمحكمة الشرعية، رفض عبد العزيز فهمى [3] التوقيع متخذاً موقفاً ليس فقط فى مواجهة الأزهر وشيخه وهيئة كبار علمائه ، وإنما أيضاً فى مواجهة الملك الذى يصطف خلف حزب الأحرار الدستوريين والذى يقف بدوره بالدفاع عنه والولاء له، ضد حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول.

وقد كتب عبد العزيز فهمي "ا ستحضرت هذا الكتاب وقرأته مرة وأخرى فلم أجد فيه أدنى فكرة يؤاخذ عليها مؤلفه، بل على العكس وجدته يشيد بالإسلام ونبى الإسلام ويقدس النبى تقديساً تاماً ويشير إلى أن النبوة هي وحي من عند الله والوحي لا خلافة فيها، ومن ثم ثقل على ذمتي أن أنفذ هذا الحكم الذى هو ذاته باطل لصدوره من هيئة غير مختصة بالقضاء، وفى جريمة الاتهام بالخطأ فى

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص196.

[2] مُحَمَّد نور الدّين، مرجع سابق، ص.ص40-41.

[3] عبد العزيز فهمي حجازي عمر (1870-1951م)، المعروف باسم عبد العزيز فهمي أو عبد العزيز باشا فهمي هو قاضٍ ومحامٍ وسياسي وشاعر مصري من أعلام الحركة الوطنية المصرية في الثلث الأول من القرن العشرين .ينظر: http://www.maktabatalfeker.com/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/22، الساعة: 17.00

الرأي من عالم مسلم يشيد بالإسلام ، وكل ما في الأمر أن هؤلاء الذين يتهمونه يتأولون فى تفسير أقواله كلها"[1].

انتهت هذه المسألة باستقالة عبد العزيز فهمى ومعه ثلاثة وزراء هم "مُحَمَّد على علوبة باشا" و"توفيق بك دوس" و"إسماعيل بك صدقى"، واشتعلت الأزمة وتفجرت معها مفارقة مثيرة للدهشة.. حلفاء الملك من كبار الملاك يدافعون عن الليبرالية ويدافعون عن الشيخ وكتابه ، من جهة أخرى كان من المتوقع أن يُبدي سعد زغلول بعض العطف على رجل لم يكن من أتباع مُحَمَّد عبده فحسب، بل ممن توسعوا في تطبيق مبادئه في التفسير حتى ولو اعتبر هذا التوسع انحرافا، فكان شهيدا للحرية الفكرية، لكن سعدزغلول لم يُظهر أي عطف نحو الشيخ علي عبد الرازق، بل سرّه أن تحل به هذه الأزمة، كونه متصل بالحزب الدستوري الحر الذي أسسه المنشقون الأوائل عن الوفد، ولأن مثل هذه المحنة فضيحة كان من شأنها إضعاف الحزب المنافس[2].

ولعل أن كتاب الشيخ علي عبد الرازق ونظرته للحكم هي جزء لا يتجزأ من نظرة حزب الأحرار الدستوريين لاعتبارات إيديولوجية مشتركة، لذلك نجد أن صحافة حزب الأحرار الدستوريين (صحيفة السياسة) سنة 1925م تدافع عن الشيخ وتعتبر الحكم الصادر في حقه تعدياً على دستور 1923م الذي يضمن حرية التعبير لكل مصري[3].

وفي اعتقادنا أن قضية الشيخ علي عبد الرازق ومن خلال كتابه قد منحت فرصة لتيار القُطرية المصرية أن يعبر عن قناعاته المرتبطة بتكون الدولة بناء على القُطر الجغرافي دونما الحاجة إلى رابط ديني يجمع المقيمين بهذا القُطر. وقد عمل أنصار تيار القُطرية المصرية في ذات السياق على التأكيد على المفاهيم السياسية التي أقر بها الشيخ علي عبد الرازق فيما يخص الفصل بين الدين والنظم السياسية للدولة.

---

[1] مُحَمَّد رجب البيومي، **الأزهر بين السياسة وحرية الفكر**، دار الهلال، مصر، 1983، ص115.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص222.

[3] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص98.

4. موقف تيار القُطرية المصرية من القومية العربية:

تُعبّر بعض مواقف أنصار القُطرية المصرية من القومية العربية عن حالة أقل ما توصف به هو "الاغتراب العربي" خلال النصف الأول من القرن العشرين بمصر (1900-1950)، حيث اعتبروا كل ما هو غير مصري "أجنبي" إيمانا منهم بمبادئ تيار القُطري ة المصرية، ويمكن أن تُفسر هذه الحالة في إطار السعي الحثيث لإعادة تشكيل مصر المصرية "الجديدة"، ومحاولة هدم التصورات النمطية التقليدية من الاعتقاد بالانتماء العربي لمصر، كونها عملت على إخفاء شخصية مصر، فاعتُبرت العروبة -حسبهم- "هي التي منعت المصرية من الإعلان عن نفسها وإطلاق كوامنها" [1]، ولم يتوقف اعتقادهم إلى هذا الحد بل زادوا واعتبروا أن محو الآثار العربية الموجودة في الحياة المصرية عموما وإزالتها شرط ضروري لتحقيق مصرية مصر[2]، وتم ذلك عن طريق ما يلي:

أ. دعم القطيعة للانتماء العربي:

إن ما يلاحظ خلال هذه الفترة أن الليبراليين المصريين المتعلمين في أوروبا وهم في الغالب أنصار تيار القُطرية المصرية عملوا كلهم على عزل مصر عن العرب متذكرين عصور الفراعنة، وقد شاطرتهم هذه الأفكار مجموعة الكُتاب والأدباء والشخصيات السياسية التي تربت في مصر مع بدايات القرن العشرين ميلادي[3].

لقد عملت النخبة المصرية ذات التوجه القُطري على اعتبار القومية العربية بمصر دخيلة وغير أصيلة، وينسب لها الضرر في عدم انتشار الفكر القُطري المصري ، واعتبر الكاتبان أ.جرشوني وج.جانكوفسكي التيار العربي بمصر "الأضعف إلى حد بعيد" [4]، إذ لم تكن هناك بؤرة عربية تذكر، كما كان لموقف رئيس المؤتمر العربي بباريس 1913م دور في زيادة الهُوة بين المصريين والعرب بإعلانه أن المؤتمر يخص عرب شرق مصر، كما لم تكن هناك رغبة للثورة العربية في أي استقطاب مصري ، مما

---

[1] أ.جارشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص139.

[2] المرجع نفسه، ص.ص139-140.

[3] ألكسي فاسيليف، مرجع سابق، ص262.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص38.

عزز الانتماء لدى نخبة القُطرية بمصريتهم[1]، ويضيف الكاتبان أن "الموقف الغالب من البدو العرب الأكثر تقليدية هو الانعزال والاحساس بالتفوق والازدراء الكامل، فالكراهية التي يضمرها سكان وادي النيل لسكان الصحراء متفق عليها، والحب كان مفتقدا بين البدوي والفلاح [2]. وهذا الرأي فيه من المغالطة الكثير فليس لهذا الحد تصل العداوة بين العروبة والمصرية.

ورغم ذلك نلمس دعم القطيعة بين الانتماء العربي ومصر تحت شعار بتر كل ما هو مصري عن كل ما هو عربي ، وقد عبر الأديب "توفيق الحكيم" عن دعوته الملحة للأديب "طه حسين" في رسالة وجهها له يحمله فيها مسؤولية قيادة الجيل إلى التفكير في مصر بعيدا عن العروبة قائلا: "إن اختلاطنا بالروح العربية هذا الاختلاط العجيب كاد ينسينا أن لنا روحا خاصة"[3].

كما يُعرب أحمد لطفي السيد (1872-1963م) وهو أحد أعمدة التيار القُطري المصري عن رغبته الملحة في فصل كل ما هو مصري عن كل ما هو عربي فيقول: "لدينا وسائل العمل لمصلحتنا فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم إذا كانت تجبن عن الأخذ بمنعتها وتتواكل في ذلك على أوهام يسميها البعض "الاتحاد العربي" ويسميها الآخرون "الجامعة الاسلامية" [4]، ومما يلاحظ في هذا المقام أن أحمد لطفي السيد يسوي بين الوحدة الدّينية والوحدة القومية العربية ورفضه لهما إنما هو وليد فكرة المجتمع المصري المميز لديه حيث لا يُعد مصر جزء من الأمة العربية، ويضيف لومه على المصريين الذين أقاموا ولاءهم على اعتبارات غير مصرية إذ اعتبروا أنفسهم عربا[5].

وما يؤكد ذلك هو موقف أحمد لطفي السيد، إذ لا يعتبر المصريين جزء من الأمة العربية، وهي الفكرة الشائعه آنذاك، حيث لم يكن هناك من يخالف هذا الرأي إلا قلة[6]، وكان لمصطفى كامل

---

[1] علي المحافظة، مرجع سابق، ص98.

[2] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص39.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص142.

[4] المرجع نفسه، ص54.

[5] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص10.

[6] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص186.

كامل الرأي نفسه، حيث يرفض فكرة إقامة خلافة عربية ففي عام 1898م، هاجم الفكرة في كتابه المسألة الشرقية باعتبارها مكيدة بريطانية تهدف إلى بذر الشقاق في الإمبراطورية العثمانية ، كما تزايدت كراهيته للاتجاهات الانفصالية العربية، فلم تكن مصر تهتم للقضايا العربية إلى حدود قيام ثورة 1919م واعتبر فكرة الوحدة العربية وهم استعماري، لإلهاء الشعوب العربية من ناحية وديمومة التواجد الاستعماري من ناحية أخرى[1].

كما أن القضية العربية بالنسبة لأحمد لطفي السيد كأحد أقوى المعبّرين عن أفكار التيار القُطري المصري، يعتبرها "مسألة داخلية يمكن حلها سلميا" [2]، وأن "العرب أكثرية في بلاد الدولة العثمانية لذلك لا نستطيع أن نفهم وجود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها، وليس هناك مسألة عربية ولكن هناك قلق في نفوس كثير من العرب، لذلك نقول إذا كان هناك للمسألة العربية حل من الوجود فإن وجودها الآن سابق للأوان جدا، ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود فحلها بيد العثمانيين من غير مضارة أحد"[3].

طالب أحمد لطفي السيد مصر بالحياد خلال الحرب الايطالية العثمانية على ليبيا سنة 1914م[4] وهذا الحياد في الأصل بحثت عنه إيطاليا[5] لحصر الحرب في طرابلس الغرب وعدم فتح الباب الباب لتجديد طرح قضية المسألة الشرقية ، "فجعلت مصري [هكذا] بنت الدولة والدولة (أم...) سياستها الخارجية كالدول الأجنبية متحايدة وتركت قناصل إيطاليا وممثلي حكومتها في أعمال مصر ويفعلون ما يشاؤون ولم تكن (...) كذلك معها في حرب اليونان بالأمس وكان ذلك من سياسة

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص41.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص46.

[4] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص30.

[5] عملت إيطاليا على تحقيق حياد وعزلة القطر المصري خلال مختلف نزاعاتها بالقارة الإفريقية مثل أزمة ليبيا، وأزمة الحبشة، فقد ورد بجريدة "الجزيرة": "إن مصر هذا القطر العربي الحريص على استقلاله سيحافظ على الحياد في النزاع الإيطالي الحبشي الأخير... إن ايتاليا [هكذا] تُذكر مصر التي تتمتع بشبه استقلال محدود ومعلق بين أيدي دولة أوروبية". ينظر: **إيطاليا لا تزال تومل بوقوف مصر على الحياد**، جريدة الجزيرة، ع363، السنة 03، سوريا، 30 سبتمبر 1935، ص01.

الإنجليز أصدقاء إخواننا الائتلافيين لئلا يتسع الخرق وتكون سواحل مصر معرضة لاحتلال الطليان"[1].

من خلال هذا يتضح هدف كل من إيطاليا التي عملت على تحييد مصر لعزل طرابلس الغرب وحصر الحرب فيها، في مقابل ذلك خوف مصر من تقديم مساعدة لطرابلس تنجر عنها اتساع الحملة لسواحل مصر ، وكان موقف القُطريين المصريين هو الموقف الرسمي نفسه بحجة عدم التدخل في الشؤون الخارجية والاكتفاء باهتمامهم بقضاياهم الوطنية الداخلية فقط.

وجه أحمد لطفي السيد انتقادا للمصريين أنفسهم ممن أقاموا ولاءهم القومي على اعتبارات غير مصرية، فاعتبروا أنفسهم عثمانيين أو عربا أو أتراكا أو مسلمين، فقد ذهب إلى "أن القومية الإسلامية ليست قومية حقيقية"[2]، وأن الفكرة القائلة بأن أرض الإسلام هي وطن كل مسلم إنما هي فكرة استعمارية تنتفع بها كل أمة استعمارية حريصة على توسيع رقعة أراضيها ونشر نفوذها، كما لم يعتبر حتى فكرة الوحدة الإسلامية قوة سياسية بل رأى فيها سبب خلقه البريطانيون لاستثارة الشعور الأوروبي ضد الحركة القومية في مصر وحتى لو كانت حقيقية ستبوء بالفشل"[3].

كانت هذه الفكرة لأحمد لطفي السيد شائعة قبل أن تتلون القومية المصرية بالعروبة، حيث لا يعتبر مصر جزءً من الأمة العربية ولم يشدد على رأيه، والسبب في هذا التساهل يعود لكون المعاصرين له من المثقفين والمفكرين لم يخالفوه الرأي.

وقد صور لنا سلامة موسى اختلاف وجهتي النظر بين مصر والعرب فقال: "والغريب أن بعض أقطار الشرق العربي تنظر إلينا كما كانت مصر تنظر إلى تركيا عقب ثورة عرابي، وسكان هذه الأقطار يغضبون منا عندما صرحنا لهم بأننا نحب أن نقصر جهودنا على مصر، ومع ذلك يجب أن يعرفوا أن الحزب الوطني الآن يقر بخطئه في اعتماده على تركيا مدة طويلة"[4].

---

[1] بهاء الدّين العاملي، **الحرب في طرابلس الغرب** ، جريدة جبل عامل، ع07، السنة 01، مطبعة العرفان، سوريا، 11 مارس 1912، ص03.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص10.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص186.

[4] سلامة موسى، تاريخ الوطنية المصرية، مصدر سابق، ص267.

ومن ناحية أخرى فإن عرب الشام والحجاز من جهتهم أيضا عبرّوا عن استياءهم من موقف المصريين من قضيتهم، حيث ورد في مقال اندرج تحت عنوان أنباء البلاد العربية بعنوان فرعي "القاهرة" مايلي: "تهجم الجرائد المصرية على جلالة الملك حسين أمر غريب نحقره ونستغربه ونحتج عليه وفتنة يحل عنها شيوخ مصر وعقلاؤها، ومن الواجب على أمة غايتها الحياة القومية أن يردع ذوو أحلامها أقلامها وأن نسير في نهضتنا العربية متعاضدين نابذين الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق فأصلحوا القلب يصلح الجسد"[1].

إن تدقيقنا بما ورد بالمقال أعلاه يُمكننا أن نستنتج أن عرب الشام وعلى لسان صاحب المقال يعيبون ردة فعل أنصار تيار القُطرية المصرية تجاه قضيتهم من خلال تهجمهم ملكهم الحسين بن علي، والتي يؤكدون على أنها نابعة أساسا من إيمانهم بقوميتهم المصرية ذات البُعد القُطري.

ب. مبررات القطيعة العربية:

ك تبت الباحثة عواطف عبد الرحمان في إطار سعيها لإيجاد مبرر للموقف السلبي لأنصار تيار القُطرية المصرية من القومية العربية بمصر تقول: "رغم انتشار الإسلام على أيدي العرب في مصر فإن السيادة العربية لم تستمر بل انتقلت إلى عناصر إسلامية أخرى مثل المماليك والعثمانيين، وكان الإحساس السائد في مصر هو الإحساس الإسلامي وليس الإحساس القومي العربي، علاوة على ذلك المعنى الذي أحاط بكلمة عرب بين الناس لاسيما في مصر والذي كان من أهم العوامل التي أدت إلى تباعدهم عن الفكرة العربية لأن الناس صاروا يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على البدوي غير المتحضر فأخذوا يعتبرونها مقترنة بالتأخر والهمجية مما استوجب تنصل المتحضرين من العروبة وابتعادهم عنها"[2].

ويورد لنا توفيق الحكيم ما دلالته احتقار العرب والتُرك للمصري، فكتب "لا يخضع البدو في مصر لنظام الجُندية أو دفع البدلية، وهذا الامتياز جعلهم يضعون أنفسهم في مستوى أعلى من

[1] **القاهرة**، جريدة ألف باء، ع889، سوريا، الأربعاء 15 أوت 1923م، ص03.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص47.

مستوى الفلاح المصري، ولذلك كان البدوي يرفض رفضا باتاً تزويج ابنته بفلاح، ويقول المثل السائر عنده ارمي بنتي للتمساح ولا أزوجها للفلاح، إذن الفلاح لم يكن له وجود إلا في صورة محتقرة"[1].

إ نه من الأهمية أن نشير إلى أن التناقض بين القومية القُطرية المصرية والقومية العربية ظل قائما، ذلك أن الصراع بين التواجد العثماني والاستعمار الأوروبي ألقى بظلاله على ذلك الصراع بينهما ، حيث أن اكتمال القومية العربية يحُدُ من التواجد العثماني واكتمال القومية المصرية مرهون بتحقيق التحرر من التواجد البريطاني، وتبرر الباحثة عواطف عبد الرحمان هذا ال تناقض بظروف موضوعية لقضية القومية المصرية، حيث أن مصر لم تدرك وحدة المعسكر العثماني-الأوروبي رغم تناقضاته، كما لم تدرك أن الحلفاء الطبيعيين لمواجهتها للاستعمار هم الشعوب العربية فاستعانة مصر بالخلافة لإنهاء الاحتلال حال دون وجود تفاهم بين المصريين وعرب المشرق العربي (أنصار الثورة العربية) الذين يرون في التواجد العثماني ببلادهم تواجدا استعماريا[2].

ويُصنف الرفض المصري للقومية العربية بأنها "إحدى طرق تأكيد الذات القومية ، إذ لا تعد مصر جزءا من العالم العربي، وأنها تشغل مكانا خاصا في الحضارة العربية الإسلامية وكما لو كانت تشغل مرتبة أعلى من الآخرين، ومنذ نهاية القرن الماضي دأب الليبراليون المصريون المتعلمون في أوروبا على عزل مصر عن العرب متذكرين عصور الفراعنة[3]، وقد شاطرتهم هذه الأفكار مجموعه من الكتاب والأدباء والشخصيات السياسية التي تربت في مصر في بداية العقود الأولى من القرن العشرين"[4].

كما يمكننا أن نفسر رفض الفكرة العربية من طرف النخبة المصرية ذات التوجه القطري بجملة من الأسباب منها:

---

[1] توفيق الحكيم، مرجع سابق، ص13.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص45.

[3] كان لأنصار النزعة الفرعونية رأي حول الفكرة العربية بمصر حيث تبرؤا منها واعتبروا مصر كيان إنساني وحضاري وثقافي خاص، وهي لا تمت للعروبة بصلة عدا صلة واهية هي "الدّين"، أما اللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة. ينظر: كمال إسحاق فريد، **محنة الهوية المصرية**، رياض للطباعة، القاهرة، 2001، ص38.

[4] ألكسي فاسيليف، مرجع سابق، ص262.

– النمو التاريخي المتميز للمجتمع المصري ، فالاستقلال الذي حصلت عليه مصر طبقا لمعاهدة لندن 1840م[1] قد أعطاها حرية في تمثيل ذاتها واتخاذ قرارات بمفردها، عكس ما هو معمول به مع سائر البلدان العربية الأخرى الخاضعة للحكم العثماني المباشر.

– نمو القومية المصرية بشعاراتها ورموزها التاريخية وخاصة الاتجاه الفرعوني كل ذلك أدى إى إعاقة التيار العربي في مصر[2].

– عدم وضوح الفكرة العربية لتداخلها مع التيار الإسلامي منذ ق 18م وحتى بعد المواجهة العسكرية الثانية(1945).

– الدور الذي لعبه الاحتلال البريطاني في عزل مصر عن العالم العربي منذ منتصف ق 19م وحتى النصف الأول من القرن العشرين من خلال دعم التوجه القُطري المصري بمختلف توجهاته[3].

– تحميل عرب المشرق المسؤولية في عدم إشراك مصر في قضاياهم القومية[4]، وهنا الكثير من المصريين ذوو التوجه القُطري يلقون باللوم على جيرانهم بالمشرق عدم إعلامهم والتنسيق معهم فيما يخص إعلان الثورة العربية سنة 1916.

– الدور السلبي لبعض العرب المشارقة خلال مرحلة الاحتلال البريطاني لمصر خلف أثرا سلبيا في الأوساط المصرية[5]، ويظهر ذلك من خلال موقف أنصار تيار القُطرية المصرية منهم كأجانب، وهو

---

[1] معاهدة لندن سنة 1840م اعترف فيها لمصر بالشخصية الدولية، وجعلت الحكم في أسرة مُحَمَّد علي باشا بالوارثة ، حيث ساعدت على عزلة مصر عن العالم العربي سياسيا، في الوقت الذي كرس فيه مُحَمَّد علي باشا نظاما يستبعد فيه العنصر الوطني، ويعادي الثقافة العربية. للمزيد ينظر: سامي صالح مُحَمَّد الصياد، مرجع سابق، ص226.

[2] كمال إسحاق فريد، مرجع سابق، ص38.

[3] مُحَمَّد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، مرجع سابق، ص10.

[4] نشير هنا إلى ما أورده نجيب عازوري في كتابه "يقظة الأمة العربية" سنة 1905م، بأن حدود الأمة العربية تشمل جميع البلدان الناطقة بالضاد في آسيا دون مصر وشمالي إفريقيا، والتي كانت مصر واقعة خارج نطاق اهتمامه كقومي عربي، فمصر لم تكن في نظره عربية بكل معنى الكلمة، كما قال بعد أهلية المصريين بحكم انفسهم ولذلك عليهم أن يشكروا على تمتعهم بإدارة بريطانية صالحة. ينظر:

- Azoury Nadjib, **le réveil du nation arabe**, Universel, paris, 1985, p38.

[5] أدرج سلامة موسى مقالا بالمجلة الجديدة سلخ فيها التواجد السوري بمصر وأسهب فيه الحديث عن الشر الذي يضمرونه للمصريين وبعض المقالب التي استفاد منها السوريون بمصر جراء التخطيط بالسوء لمصر والمصريين و أعطى نماذج لذلك. ينظر: سلامة موسى، **أوكار الرجعية بمصر**، المجلة الجديدة، ع02، مصر، 01 فيفري 1930، ص433 وما بعدها.

موقف معادي في مضمونه، نظرا لمساهمتهم في تثبيت الاحتلال البريطاني بمصر من خلال العمل بالوظائف والادارات الاستعمارية بمصر.

وإجمالا فإن انشغال عرب المشرق بقضاياهم الوطنية وعدم إدراكهم لقضايا عصرهم، فبعضهم لم تتضح لهم حقيقة الاستعمار وضرورة التوحد خلال مرحلة الجمعيات السرية وبذلك لم يشاركوا مصر في قضاياهم، وبذلك استمر ابتعاد مصر عن الحركة العربية حتى بعد سقوط عبد الحميد الثاني سنة 1909م. كما لم يشارك المصريون في مؤتمر باريس 1913م وه و أول مؤتمر قومي عربي مع استبعاد قضية مصر من برنامجه ، حيث حضر مصري واحد فقط وهو عزيز المصري، كما أن الحركة القومية العربية لم تنتبه لمصر حيث كانت "مستبعدة من حدود الدولة العربية المستقلة كما رسمها الشريف حسين في مفاوضاتها"[1]، لذلك فلا غرابة أن نجد المصريين وقفوا موقفا عدائيا للثورة العربية 1916م[2].

وفي رأيينا أن هذه العوامل لم تمثل المحرك الأساسي لانعزال مصر عن العالم العربي، بل الاحتلال البريطاني الذي اشتغل بنسبة كبيرة على تغذية التيار القُطري المصري الذي عمل على عزل مصر عن العالم العربي.

5. موقف تيار القُطرية المصرية من القضية الفلسطينية:

نحاول تتبع موقف تيار القُطرية المصرية من خلال نماذج للصحف الحزبية ذات التوجه القومي القُطري حيث شكلت الصحافة المصرية بمختلف مشاربها وتوجهاتها وإيديولوجياتها مرآة عاكسة لمواقفهم تُجاه القضية الفلسطينية انطلاقا من معتقداتهم الفكرية السياسية، "فكان المحررون في الصحافة الأكثر علمانية يركزون اهتمامهم على الجانب الوطني للصراع أكثر من الجانب الدّيني معتبرين الخلاف الدّيني مجرد جزء من صدام وطني أوسع بين العرب والصهاينة"[3].

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص53.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص61.

[3] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص326.

أ. صحف غير حزبية:

تبعا للاختلاف المشار إليه سلفا اكتفت بعض الحف بنشر برقيات لوكالات أجنبية موالية للصهيونية أو بلاغات رسمية بريطانية عن الثورة مثلما أوردته صحيفة المقطم التي امتنعت آنذاك عن نشر بيانات اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة.

أما صحيفة الأهرام فقد تظاهرت بالحياد، إذ حاولت إضفاء الطابع الإنساني على طرحها للقضية الفلسطينية ، ومرد ذلك حرصها على عدم إثارة غضب بريطانيا التي تعتبر طرفا رئيسيا في الصراع الدائر في فلسطين ، إضافة إلى ارتباط بعض هذه الصحف بشركة الإعلانات الشرقية التي يديرها كبار الرأسماليين اليهود في مصر فسلطوا مقص الرقيب على كل ما ينشر في إطار الصراع العربي الصهيوني في فلسطين، وقد عبّر بعض المفكرين والكُتاب المصريين من أنصار التوجه القُطري عن استنكارهم لموقف هذه الصحف المتجاهل عمدا لأحداث الثورة كالدكتور حسين هيكل والكاتب حسين آلماني الذي لام بشدة تلك الصحف ومواقفها السلبية المتخاذلة غير المشرفة تجاه القضية في مقالاته المختلفة حول الشأن الفلسطيني ، ومن جهة أخرى "راهن الزعماء الصهيونيين على دعم النُخبة المصرية الغربية التوجه والمعادية للعرب لجهودهم"[1].

ب.صحف حزبية: عبرت الصحف الحزبية عن المواقف الرسمية لأحزابها ونذكر منها:

- **صحيفة السياسة** : وهي لسان حال حزب الأحرار الدستوريين عبّرت عن موقف الحزب من القضية الفلسطينية، حيث أن هذا الحزب تأسس في أكتوبر 1922م على أساس قومي مصري استمراراً لحزب الأمة، وقد ضم عددا من كبار مُلاك الأرض أكثرهم من حزب الأمة أو أبنائهم وذويهم مُنظماً إليهم فريق من المثقفين ذوي الاتجاه اللبيبرالي، ومع اهتمامهم بقضية مصر لم ينتبهو إلى القضايا العربية، ولم يبدُ من مواقفهم أي تعاطف مع حقوق عرب فلسطين، بل كانوا يدعون للتفاهم مع اليهود[2]، وعبرت على إبداء التفهم لتطلعات الصهيونية، "وقد دعت إلى الوئام العربي–اليهودي في

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفكسي، مرجع سابق، ص321.

[2] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص107.

ظل دولة علمانية فلسطينية"[1]. وكانت هذه الصحيفة أكثرهم وضوحا في التأكيد على أن مصر ليس لها صلة مباشرة بالنزاع الدّيني الذي تشهده فلسطين، فقد أدرجت عنوانا بمقال لها "حوادث فلسطين والشؤون المصرية مقارنة لا وجه لها"[2].

وقد عبّرت كتابات "مُحَمَّد حسين هيكل" عن سياسة التهدئة، حيث يدعو إلى التعاون ونبذ العنف بين الفلسطينين واليهود، كما كتبت صحيفة "السياسة" تحرض على العداوة بين السلطة المصرية والفلسطينين المقيمين بمصر مهددة إياهم بالطرد، وقد وُجهت لهم تهمة إثارة الطائفية في مصر بسبب النشاط الدعائي الذي كانوا يقومون به لتزويد الرأي العام المصري بالمعلومات والحقائق عن أحداث البُراق 1929م[3]، للإشارة أنه وخلال هذه الفترة استهوت الصهيونية [4] بوجهها التحديثي ذو التوجه الغربي وقيادتها العملية النزعة نظرائها من التحديثيين المصريين دُعاة القومية المصرية القُطرية[5].

كما تضمنت جريدة السياسة الأسبوعية باعتبارها ملحق لجريدة السياسة الخط الافتتاحي نفسه فقد كتب عبد الله عنان قائلا: "لا يعتقد أن سياسة العنف طريق تصالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه، لأن سياسة العنف أصبحت اليوم طريقا خطيرا لا يأمن سلوكه الأقوياء أنفسهم، فضلا عن الضعفاء"[6]، وهي دعوة في جوهرها تصب في الإلتفاف حول قضية مصر القُطر دون التوجه إلى القضايا الخارجية التي لا تعنيها مهما كانت إنتمائها. كما كتب مرة أخرى "إن في وسع العرب أن يغنموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر، وأن يحولوا في المستقبل دون إراقة الدماء... وعلى اليهودية إذا أرادت سلاما أن تقنع الأمم العربية بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي إلا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة، وأنها لا تنوي التعدي على حقوق العرب وأوطانهم"[7].

---

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص321.

[2] المرجع نفسه، ص327.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص108.

[4] ربما دلّ على ذلك تبادل الزيارات، حيث قام أحمد لطفي السيد أحد أعمدة التيار القُطري بمصر بزيارة لفلسطين بمناسبة افتتاح الجامعة العبرية بالقدس (1927م)، كما زار محمود عزمي وأحمد زكي فلسطين خلال منتصف العشرينينات.

[5] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص323.

[6] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص62.

[7] المرجع نفسه، ص.ص62-63.

- **مصر الفتاة** : أما حزب مصر الفتاة فقد واكب أحداث القضية الفلسطينية عن طريق صحيفته، وذلك بمتابعة أنباء سفر أفواج المتطوعين من كتائب مصطفى الوكيل ، وسير المعارك وإجرام الإرهاب الصهيوني في فلسطين، وأنباء استشهاد المقاومين العرب وتشييع جثامينهم، معززة أخبار المعارك والتطوع بالتحقيقات المصورة مجرية عدة لقاءات وأحاديث صحفية مع كبار الشخصيات العربية والمصرية بشأن الأحداث الجارية في فلسطين ، كما حصل مع مُحَّد علي علوبة والأمير عبد الكريم وغيره.

تجدر الإشارة إلى أن شخصية أحمد حسين قد صبغت خط الصحيفة وبرزت الصبغة الفردية من خلال غزارة كتاباته عن ذكرياته في فلسطين وسوريا بأسلوب بلاغي إنشائي ومضمون متكرر في معظم الأحيان، وقد ناصبت الجريدة العداء الشديد للشيوعيين متهمة إياهم بوجود عناصر يهودية في صفوفهم والإخوان المسلم ين متهمة إياهم بالدجل والشعوذة ، متسائلة عن مصير أفواج الكتائب المزعومة للجهاد في فلسطين، كما دع ا الحزب عن طريق الصحيفة الأغنياء للتبرع بأموالهم لمساندة كفاح الفلسطينيين ضد الصهاينة رغم أنها لم تطرح فهما صحيحا للحركة الصهيونية ، وضرورة مقاومته ا بكل الوسائل لعديد الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وخطورة التبع يق على مصر ذاتها قبل فلسطين[1].

- **جريدة المصري** : واصلت الصحف الحزبية نشر مواقفها التي عكست بأشكال مختلفة مواقف أحزابها من القضية فقد اختلف الأمر معها بشكل واضح، فجريدة المصري لسان حال حزب الوفد لم تواكب أحداث الاضراب العام الذي شرع فيه بتاريخ 20 أفريل 1936م ولا العصيان المدني خلال 15 من شهر ماي من نفس العام ولا معارك المائة يوم ، وإن أتيح لها فرصة مواكبة الفترة الأخيرة من الإضراب الشامل، ومرد ذلك إلى أن صدورها كان بداية شهر أكتوبر 1936م ولكنها غطت نهاية الإضراب عن طريق البرقيات الواردة من القدس وجنيف ولندن والأخبار التي تشير إلى نهاية الإضراب، مع الإشارة أن معظم تغطيتها كانت متعلقة بالمعاهدة البريطانية المصرية الموقعة عام 1936م، واقتصرت معالجات المصري عن الأوضاع الداخلية في مصر والجوانب الإخبارية ، كما غطت مجريات

[1] مراسل الأسبوعية الخاص بالقدس، **رسالة فلسطين**، السياسة الأسبوعية، ع07، السنة 06، مصر، 27 فيفري 1937م.

مؤتمر بلودان المنعقد في سبتمبر 1937م ونشرت صورا عدة للمؤتمرين ، في حين اقتصرت على خبر وجيز خلال تغطيتها لأحداث المرحلة الثانية من الثورة التي بدأت بإضراب شامل في مدينة القدس خلال شهر أكتوبر 1937م كما نحت نفس المنحى فيما تعلق بمتابعتها لسير الإضرابات وحالات التمرد والعصيان المدني مكتفية بسرد مواقف الأطراف المعنية ومركزة على الشخصيات الوطنية الفلسطينية متصدية لمواقف بعض الشخصيات المصرية التي حاولت البروز والظهور مستغلة القضية الفلسطينية لمحاربة الوفد المصري في إشارة إلى مُحَمَّد علي علوبة ومُحَمَّد حسين هيكل مخصصة عمودين من صفحتها الرابعة لتتبع تطور الأحداث في فلسطين[1].

ولعل ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب أيضا أن مؤتمر قادة الثورة الفلسطينية المنعقد في أوت 1938م لم تشر إليه اطلاقا، في حين أبدت اهتماما واضحا بمؤتمر القاهرة المنعقد في جانفي 1939م، ومؤتمر لندن المنعقد خلال شهر مارس من نفس العام بخصوص القضية الفلسطينية ، كما نشرت في جانفي 1939م في صدر صفحتها الأولى خطبة النحاس أمام مجاهدي فلسطين الذين زاروا مصر ، وظلت تتابع أنباء مؤتمر القاهرة في شكل تقارير إخبارية خالية من التعليق، كما احتلت أنباء الكتاب الأبيض المزمع تقديمه من طرف الحكومة البريطانية بخصوص القضية الفلسطينية صفحات الجرائد، حيث هاجمت المصري في 16 ماي 1939م السياسة البريطانية في فلسطين على صدر صفحتها الأولى متهمة إياها بالعمل على البقاء فيها إلى الأبد، واصفة المقترحات بالتي لا تحقق شيئا للعرب ولا تساعدهم على استرداد حقوقهم المقدسة التي ضحوا من أجلها بدمائهم الطاهرة[2].

وإجمالا ما يثير الانتباه فيما يتعلق بموقف أنصار التيار القُطري المصري من القضية الفلسطينية هو ظاهرة التناقض القائمة بين موقف القوى السياسية من القضية وموقف الصحف، فقد اتسم موقف الأحزاب المصرية باللامبالاة وإذ لم ترد في برامجها أية إشارة إلى القضايا العربية أو قضية فلسطين بالذات خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين [3]. تعود الأسباب إلى جملة من

---

[1] سهير إسكندر، **جريدة المصري والقضايا الوطنية (1936–1946م)**، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1986، ص326.

[2] المرجع نفسه، ص.ص326-328.

[3] عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص07.

العوامل عددناها فيما سبق (مبررات القطيعة)، فعدم اهتمام القُطريين بمسألة فلسطين إنما يعكس بدقة التوجه المصري القُطري الذي انتهجوه خلال تلك الفترة1.

كما يمكننا ومن خلال ما سبق أن نُدرك أن القضية الفلسطينية لم تستقطب الموقف المصري عموما إلا في حدود 1929م إثر أحداث البُراق، كما أنها لم تكن في أجندة الأحزاب السياسية خاصة منها ذات التوجه القُطري المصري، حيث وصفت بأنها لم تفعل شيئا في سبيل المسألة المصرية عند اندلاع الاضطرابات لا اجتماعات ولا احتجاجات علنية، ولا المطالبة بتقديم المساعدة أو التدخل[2]. في حين اكتفت بتغذية أفكارها من خلال صحفها الحزبية، إضافة لذلك عبّرت مقالات أنصار المدرسة القُطرية المصرية عن أفكار أصحابها التي تهتم بالشأن الداخلي لمصر والقضية الوطنية دون التدخل في الشؤون الخارجية مهما كانت انتماءاتها وتوجهاتها، واكتفت في غالب الأحوال إلى اقتراح مشاريع تهدئة وحلول ودّية للقضية الفلسطينية.

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص320.

[2] المرجع نفسه، ص324.

المبحث الثاني: موقف تيار القُطرية المصرية من القضايا الثقافية والاجتماعية:

1. موقفه من اللغة العربية وآدابها:

عمد القُطريون بمصر إلى رفض فكرة تعميم اللغة العربية الفصحى من حيث التعامل والكتابة بها والدعوة إلى استعمال اللهجة العامية والكتابة بالحروف اللاتينية، وقد سار وا في هذا المنحى تأييدا للخطوات التي وطن لها المستشرق والمبشر "مولار (moulare)"[1]، و"ويلكوكس" (wilckoks)[2] وفيما يلي نعرض مواقفا لأهم أنصار تيار القُطرية المصرية:

أ. أحمد لطفي السيد:

أكد أحمد لطفي السيد على إبطال استعمال اللغة العربية وتغيير شكل الحروف المستعملة بالحروف اللينة (أي عدم الاكتراث للقواعد النحوية) ، وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العلمية وإدخالها في صلب اللغة الفصحى والنزول باللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب العلمي ، وعبرت وجهة نظره عن الرغبة في تمصير اللغة العربية أي بجعل العربية مصرية حتى أنه كتب جل مقالاته في جريدة "الجريدة" بالعامية المصرية وذلك خلال شهري أفريل وماي 1913م[3]. وقد أشار أحد الكتاب إلى الوضع بقوله: "أخذ كثير من الكتاب والصحافيين في مصر يناقشون ما سموه "مشكلة الكتابة والخط العربي" وهكذا نجد تأثر الرأي العام والمفكرين المصريين بأحداث إلغاء الخلافة التي كانت مظهرا من مظاهر التجاوب العام بين تركيا والعالم الإسلامي عامة ومصر خاصة"[4].

على الرغم من تجذر اللغة العربية في مصر إلا أنها "لا تعتبر نفسها عربية خالصة"[5]، ويبرر الباحث ألبرت حوراني الموقف المصري من عروبتها بسيطرة التيار الفرعوني على الساحة الفكرية

---

[1] أوغست مولار(august muller)(1848-1892):مستشرق ألماني من أبرز اعماله نشر "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" و معلقة امرئ القيس مع شروحات ألمانية.ينظر: http://www.maktabatalfeker.com/، تاريخ الإطلاع: 2020/11/22، الساعة: 17.20مساء.

[2] أنور الجندي، أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، لطفي السيد وطه حسين، مرجع سابق، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص.ص29-30.

[4] محمد محمد حسين، مرجع سابق، ص96.

[5] ألبرت حوارني، مرجع سابق، ص301.

المصرية، غير أنها لم تنتشر كما أُريد لها، حيث لم تجد من يتبناها باستمرارية ويدافع عنها [1]. ولعل أن اهتمام المصريين بقضية استقلالهم لم تُتح لهم الفرصة للبحث في الهُوية العربية لمصر بأكثر عمق، حتى أن "رفاعة الطهطاوي" رغم أنه يعترف بوجود هُوية عربية لمصر إلا أنها تضمحل أمام الولاء للوطن المصري الذي يقول به ولا يقول بالوطن العربي ولا بالشعور المشترك بين الناطقين بالضاد[2].

وعلى مستوى آخر يخص اللغة العربية كأحد مقومات الهُوية العربية، فقد عمد القوميون المصريون المتطرفون إلى رفض فكرة اللغة العربية الفصحى من حيث التعامل والكتابة بها، والدعوة إلى استعمال اللهجة العامية والكتابة بالحروف اللاتينية، "ولكن هذه الآراء لم تجد من يتبناها ويدافع عنها"[3].

ب. طه حسين:

عبّر الكاتب طه حسين كأحد أعمدة الفكر لتيار القُطرية المصرية عن موقفه من الأدب العربي في كتابه "من الشاطئ الآخر" قائلا: "لابد أن الآلهة القديمة لبلاد العرب لم يكن لها أي حظ من الخيال، وأن حياتها كانت كئيبة بالفعل فهي لم تُلهم المؤمنين بها أياً من المظاهر الفنية التي أغدق بها على غيرهم من الشعوب"[4].

كما أن موقفه من اللغة العربية لم يختلف عن موقفه من آدابها، حيث دعم المصرية قائلا: "العربُ ازدروا اللغة الوطنية شيئا ما، وكان طبيعيا أن يشفق الناس من أن تصبح الفرنسية والإنجليزية مع مرور الزمن وسيلة الشباب إلى التعبير، ولكن الانقلاب الناجم عن الحرب الكبرى قد اقترن برد فعل مضاد، فقد أراد البعض (تمصير المسرح)، وأخذ عدد من الكُتاب يؤلفون مسرحيات بعضها جاد وبعضها هزلي، كان له حظ أكبر من النجاح لأنه كُتب بـ(اللغة العامية)"[5].

---

[1] ألكسي فاسيليف، مرجع سابق، ص254.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص89.

[3] ألكسي فاسيليف، مرجع سابق، ص254.

[4] طه حسين، من الشاطئ الآخر، مصدر سابق، ص45.

[5] المصدر نفسه، ص.ص45-46.

لقد كان للأدب العربي بمصر وفق نظرة القُطريين "صورة سلبية كالنظرة الشائعة لديهم عن العرب ككل" [1]. حتى أن تعريفهم للأدب العربي كان سلبيا، فالأدب العربي "أدب آسيوي نتاج للصحراء، فهو مصور فوتوغرافي للحياة البدوية ولوسائل معيشة العرب، ولمراعيهم الجافة الفقيرة، ولأسواقهم وخيامهم وجمالهم، ولأطلال ديارهم المهدمة ومضاربهم وأكوام الروث" [2]، إن هذا الأدب لا يعبّر إلا عن بدوي مرتحل غير متحضر وليس إلا "مجموعة من أهازيج بدوية تافهة حول الفخر والحماسة والهجاء، يحقرون فيه من شأن جارهم"[3]. وعن تمصير الأدب العربي كتب توفيق الحكيم، "لا ريب عندي أن مصر والعرب طرفا نقيض، مصر هي الروح، هي السكون، هي الاستقرار، هي البناء!... والعرب هي المادة، هي السرعة، هي الزخرف، مقابلة عجيبة، مصر والعرب وجها الدرهم وعنصرا الوجود، أي أدب عظيم يخرج من هذا التقليح، إني أومن بما أقول وأتمنى للأدب المصري الحديث هذا المصير"[4].

ويدعو "طه حسين" إلى تطويع اللغة العربية حتى تتماشى مع المصرية، "إن أعمالا بهذه الجودة –يقصد أعمال توفيق الحكيم– تُثير الدهشة في العالم العربي، وتبعث على أكبر الآمال فيما يتصل بمستقبل الأدب المسرحي، فتوفيق الحكيم في بداية الطريق لكنه سيتحسن، وسيُطوع اللغة العربية بما يكفي لتتحمل كل ما يفرضه المسرح من أعباء فادحة شديدة الدقة على السواء، وإني لأرجو مخلصا أن يكون مثاله مثمراً بقدر ما يغدو نجاحه حافزا للآخرين" [5]، ويؤكد في ذات المنحى على قدرة المصريين على تطويع اللغة العربية حتى تصبح مصرية ويرفض بذلك سلطة رجال الدّين على اللغة العربية، يقول: "اللغة العربية وما يُضفي عليها رجال الدّين من قداسة باعتبارها لغة دين، لغة وطنية مُلك لنا نتصرف منها ولا حق لرجال الدّين أن يفرضوا وصايتهم عليها"[6].

---

[1] أ. جارشوني، وج.جانوكوفسكي، مرجع سابق، ص163.

[2] المرجع نفسه، ص164.

[3] نفسه، ص.ص164-165.

[4] توفيق الحكيم، مرجع سابق، ص219.

[5] طه حسين، من الشاطئ الآخر، مصدر سابق، ص48.

[6] أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، مرجع سابق، ص93.

إننا نعيب على "طه حسين" رفضه للغة العربية وآدابها، حيث اعتبرها أجنبية لابد أن تُطوع لما يتماشى والتمصير، في حين أغفل النقد للغات الأجنبية التي دخلت مصر كالفرنسية منذ حملة نابليون بونابرت 1798م واللغة الإنجليزية منذ التواجد البريطاني بمصر 1882م وما تلاهما من حملات تغريبية عن طريق البعثات والمستشرقين، إن ذلك مرده للفكرة التي آمن بها طه حسين وهي أن مصر جزء من أوروبا ودعوته الصريحة لمتوسطية مصر من حيث الهُوية، وعدم إتباع الشرق العربي.

ج. توفيق الحكيم:

إن المتبتع لمقالاته يُدرك أنها لم تضف كثيرا إلى ما قدمه سلامة موسى وحسين هيكل، لكنه ببلاغته في التعبير وموقفه المتطرف في ازدراء كل ما هو عربي ذهب أبعد منهم، فبينما اتخذ غيره من المثقفين أصحاب الاتجاه القُطري المصري من التحليل المتوازن ذريعة للتعرض للعيوب الفنية العربية، اكتفى توفيق الحكيم بمجرد إصدار حكم مزدر "للأدب البدوي للعرب"، إن مهمة القُطريين المصريين هي تحرير الأدب المصري من نير هذا التأثير البدوي، وتخليص مصر من النفوذ العربي الدخيل الذي إلتصق بجسد مصر كالطفيليات، طالما ساد الأدب العربي مصر، ولا إمكانية لخلق ثقافة قومية مصرية مستقلة وأصيلة[1].

كما وصف توفيق الحكيم وضع الأدب العربي قائلا: "حظُ العربي... أمة نشأت في فقر لم تعرفه أمة غيرها... صحراء فقراء... قليل من الماء يُثير الحرب والدماء... أمة لاقت الحرمان وجها لوجه... لذلك كل تفكير العرب، وكل فن العرب في لذة الحسّ والمادة، لذة سريعة منهومة مختطفة، اختطافا لأن كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف"[2].

ونفس الرؤية يحملها أحمد أمين تُجاه الأدب العربي الذي يعتبره لا يتماشى وظروف ومتطلبات المجتمع المصري في القرن العشرين، وقد مثلت المقالات المنشورة بالمجلة "الجديدة" خلال الفترة

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص173.

[2] توفيق الحكيم، مرجع سابق، ص214.

(1929-1931م) عن غُربة الأدب العربي بمصر، حيث فتحت صفحاتها لإطلاق هجمات نقدية عنيفة تُجاهه، ذلك أن خطها الافتتاحي ومبدؤها الصحفي مبني على التوجه المصري الصِرف[1].

د. سلامة موسى:

دعا سلامة موسى إلى استخدام اللهجة المصرية "اللغة العامية" مكان اللغة العربية كونها لغة المستقبل[2]، يقول سلامة موسى: "لنا من العرب ألفاظهم ولا أقول لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهي لغة بدوية لا تكاد تكمل الأداء إذا تعرضت حالة مدنية راقية كتلك التي تعيش ظهرانينا الآن"[3].

ويضيف سلامة موسى قوله: "والغريب أن بعض أقطار الشرق العربي تنظر إلينا كما كانت مصر تنظر إلى تركيا عقب ثورة عرابي ، وسكان هذه الأقطار يغضبون منا غذا ما صرحنا لهم بأننا نحب أن نقصر جهودنا على مصر، ومع ذلك يجب أن يعرفوا أن الحزب الوطني الآن يقر بخطئه في اعتماده على تركيا مدة طويلة"[4].

وفي مقال آخر بعنوان "اللغة الفصحى واللغة العامية" كتب سلامة موسى يدعو إلى تمصير اللغة العربية، "ولكني الآن وبعد اختمار الرأي لا أرى أن نهضتنا لا تقوم إلا بإتباع آراء قاسم أمين ولطفي السيد والسير ولكوكس بإتخاذ اللغة المصرية العامة أو بإيجاد ما يُشبه التسوية بينها وبين الفصحى، بحيث تتمصرُ هذه اللغة فتصطبغ بألوان بلادنا وتتأقلم في حقولنا ومدننا"[5].

نشرت صحيفة السياسة الأسبوعيه بيانا تحت عنوان "دعوة إلى خلق الأدب القومي" يدعون فيه إلى خلق أدب محلي يتميز بالطابع المصري، وعبر عنه "الأدب المصري الذي نعنيه إنما هو أدب

---

[1] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص176.

[2] مُحَمَّد الخير عبد القادر، **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة الإسلامية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما** (1875-1925م)، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1985، ص35.

[3] أنور الجندي، **تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين (1920-1940م)**، دار الاعتصام، 1988، ص176.

[4] سلامة موسى، تاريخ الوطنية المصرية، مصدر سابق، ص267.

[5] سلامة موسى، **اللغة الفصحى واللغة العامية**، الهلال، ع10، مصر، 01 جويلية 1926، ص135 وما بعدها.

محلي يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحدها" [1]، في ذات السياق ودعما للدعوة إلى تمصير الأدب العربي دعت جماعة المثقفين والأدباء الذين يهدفون إلى "إبداع أدب مصري يصور أمانينا وآمالنا، يصور نيلنا وأرضنا المليئة بالسحر والجمال، يصور الروح المصرية في القصة والفكاهة والمسرح، ويكون له طابع متميز عما للآداب الغربية والشرقية الأخرى"[2].

رغم الحملات التغريبية للغة العربية وآدابها بمصر إلا أن هناك عوامل ساهمت في الحفاظ عليها مثل "مدرسة العلوم" التي تأسست سنة 1871م بإيعاز من علي مبارك والتي لعبت دوراً هاما فيما بعد عن طريق ما تخرج منها من أجيال على دفع عملية النهضة واليقظة الوطنية والقومية، حيث أنها صانت اللغة وبعثت ثرائها وجددت فيها وأعطتها روحا جديداً وتمكنت من أن تسلك طريقا وسطا بين الأزهريين وبين المتأوربين من خريجي المعاهد الحديثة[3].

وقد وصفها "مُحَمَّد عبده" أنتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة في نفسي وما أعتقده من منزلتها من اللغة العربية، الناس يذكرون اللغة العربية وإهمال أهلها لتقويمها ويوجهون اللوم إلى الحكومة، إن باحثا مدققاً إن أراد أن يعرف أين تموت اللغة وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان وتحيا في هذا المكان[4].

2. موقفه من ثنائية الدّين بمصر:

في هذا العنصر لن نتتبع قضية ثنائية الدّين (الإسلام والمسيحية) بمصر من الناحية التاريخية لأنها خارج موضوعنا، ولكننا نبحث في موقف أنصار القومية المصرية من القضية خلال الفترة المعنية بالبحث ، وبعبارة أخرى هل يمكن أن نعتبر هذه الثنائية عامل بناء لقُطرية مصرية كما أرادها أصحابها؟ أم كانت عامل عكسي في تحقيق قومية متميزة لمصر؟.

وقد توقفنا عند الإسلام والمسيحية باعتبارهما دين المجتمع المصري عامة وما اعتبارا لما سجل لنشاط الأقباط في تغذية التوجه الفراعوني لتيار القُطرية المصرية، غير أن باقي الديانات –في نظرنا–

---

[1] مُحَمَّد زكي عبد القادر، مرجع سابق، ص05.

[2] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص151.

[3] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص122.

[4] طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، مصدر سابق، ص279.

كاليهودية لم تظهر بحجم يستحق الوقوف عندها كما لم يكن لها أي أثر في تحريك النزاع حول الهوية المصرية خلال فترة البحث.

يعود وجود المسيحية بمصر إلى أول كنيسة قبطية * أنشأها القديس مارك المبشر (توفي سنة 63م)، إلى حين فتح عمرو بن العاص مصر سنة 640م، ومنذ هذا التاريخ يعيش بمصر عنصرين رئيسيين من السكان (المسلمون والأقباط)، وتميزت علاقتهم بالسلطة الحاكمة كأقلية بالتذبذب على مدار وجودهم بمصر، فعلى سبيل المثال "تحفظ الأقباط من حملة نابليون على مصر سنة 1798م... بل واتهموهم بأنهم يودون التخلص منهم"[1]، ولكن بحق لأقباط مصر دور مهم في تنشيط الحياة المصرية بمختلف أوجهها .غير أنهم لم يشعروا بارتياح كبير بعد الحملة البريطانية على مصر وكان السبب هو القرار المخيب للآمال الذي اتخذه اللورد كرومر تجاه الأقباط وقبل ثورة 1919م، ولكنت الفترة 1882م وحتى 1919م فترة حاسمة في العلاقات بين المسلمين والأقباط[2].

ويرجع الباحث القبطي مصطفى الفقي هذا إلى عاملين "الأول وهو الطابع الإسلامي للحركة الوطنية ، أما العامل الثاني فهو التنافس بين المسلمين والأقباط حول المناصب العليا ل لدولة خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين "، تمتعت مصر بنصيب كبير من الأفكار الليبرالية والعلمانية، والتي أعطت للحركة الوطنية شخصية متميزة باحتواءها للمسلمين والأقباط معا وتقديمها حلا عمليا وتجربة تاريخية فيما يتصل بقضية الأقليات عموما"[3].

أما فيما يتعلق بموقف تيار القُطرية المصرية من ثنائية الدّين بمصر، فقد مثله الشيخ مُحَمَّد عبده الذي رد على فرح أنطوان صاحب مجلة "الجامعة" بخصوص ما كتبه حول علاقة الإسلام بالمسيحية، وجاء رده مُبيّناً دعوة الإسلام إلى احترام الأديان الأخرى، وكونه عقيدة للدنيا والدّين معا لا فصل بينهما، ولعلّ أهم ميزة تميزت بها حركته –في رأينا– هي ميزة التسامح مع أصحاب الأديان المخالفة، وحتى مع خصوم الإصلاح أيضا.

---

* نشأ تعبير قبطي من المفردة العربية قبط التي تعود للأصل اليوناني ايجيبتيوس (المصري)(AGYPTIOS).

[1] مصطفى الفقي، مرجع سابق، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] نفسه، ص14.

فبخصوص المسألة الأولى نجده قد دعا إلى الإتحاد، التسامح والتعاون بين الأديان السماوية الثلاث-اليهودية، المسيحية والإسلام- وبسبب وجود طوائف يهودية ومسيحية في مصر ألغى مُحَمَّد عبده عنصر الدّين من مقومات الوطنية المصرية.

وفيما يتصل بالمسألة الثانية فإنّه كان يدعو خصومه من الطرقيين والفقهاء الرسميين الجامدين إلى التفاهم والتسامح، والابتعاد عن التعصب والمغالاة وإتّباع الدّين من الطرق الميسرة، ومحاولة إفهامهم أن الدّين واحد، وأن الرب واحد، فلماذا الاختلاف؟ ولماذا التعصب؟ ولماذا تقديس البشر؟

ومن هذا التصور نستخلص نتيجة أخرى وهي أن العنف، التطرف والمغالاة في الدّين الذي تميزت به بعض الجماعات في العقود الأولى للقرن 20م لم يكن كما يدعي البعض نتيجة من نتائج الإصلاح الإسلامي الذي دعا إليه مُحَمَّد عبده في مصر، بل على العكس من ذلك فإن كثيرا من زعماء الحركات المتطرفة في مصر هاجموا مُحَمَّد عبده ووصفوه بالعلمانية، وعابوا عليه أن يكون رجلا قوميا ووطنيا، مع أن الإنسان لا يمكن أن يكون كامل الشخصية إلا بهذه المقومات[1].

لقد اّتبع مُحَمَّد عبده أستاذه جمال الدين الأفغاني في موضوع تقارب الأديان، فقد أسس بعد عام 1885م جمعية سرية للتقريب بين الأديان، شارك فيها عدد من رجال الدّين المستنيرين ممن ينتمون إلى الأديان السماوية الثلاثة، وهو لا يعيب على النصارى شركهم وإدعاء الربوبية لعيسى عليه السلام، ويحصر الخلاف معهم بأّنهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس المراد بنبذهم الكتاب وراء ظهورهم أّنهم طرحوه برمته، حيث يقول في هذا الصدد "وإنما المراد أّنهم طرحوا جزءا منه وهو ما يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهي تُدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر"[2].

أما فيما يخص الموقف الرسمي لأ نصار "حزب الأمة " وهم تلامذة مُحَمَّد عبده ، فإ ن المجتمع المصري في اعتبارهم ليس جزءا من العالم الإسلامي (الأمة المصرية) ، بل ما يجمع المصريين هو الصلة الطبيعية الناجمة عن العيش في الوطن الواحد وليست الشريعة المنزلة ، فالمسلم المصري حسبهم على

[1] مُحَمَّد عمارة، **الأعمال الكاملة للشيخ مُحَمَّد عبده**، دار الشروق، ط1، مصر، 1993، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص88.

ولائين "ولاء للإسلام وولاء لمصر"[1]، فهم ينظرون للأمة على أنها مجتمع سياسي قائم على غير تضامن ديني، وهو ما يتضمن عكس أن الجماعة الإسلامية تتعايش مع فكرة القومية المصرية مثل ما أشار له رفاعة الطهطاوي، حيث اعتبر من البديهي سيطرة الشريعة في دولة مصرية[2].

عبرت صحيفة "الجريدة" الناطقة باسم حزب الأمة عن التوجه الحقيقي لهذا التيار وعن موقفه من إسلاموية المجتمع المصري. حيث ترى أن القومية الإسلامية ليست حقيقية (أرض الإسلام وطن لكل مسلم)، وإنما هي فكرة استعمارية غرضها انكفاء تيار القُطرية المصرية تحت فكرة الخلافة والجامعة الاسلامية ، وبمعنى آخر منناهضة فكرة الوحدة الإسلامية كونها ضد الحركة القومية المنادية بقُطرية مصر[3].

وكان أفضل إسهام لمصطفى كامل في الحركة الوطنية هو إصراره منذ بدايته على الضرورة الأساسية للوحدة بين جميع من يسمون أنفسهم مصريين، كما اتبع أحمد لطفي السيد الخطوات نفسها طوال حياته، وظهرت الأمة المصرية قوية ومؤثرة حين كتب أحمد لطفي السيد: "إن وقت ظهور الأخوة قد حان، ويبقى على الأغلبية المسلمة أن تمد يد الإخلاص والتضامن لإخوتهم لخدمة أرض أجدادهم المشتركة"[4].

كما عبر سعد زغلول لحظة سؤاله عن دور الأقباط في الحركة الوطنية والسياسية قائلا: "إن الأقباط مثل المسلمين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، فالمصريون جميعا سواء" [5]. ونشر الشيخ علي يوسف مقالاً في صحيفة "المؤيد" سنة 1910م بعنوان "العرب مسلمون ومسيحيون"، ردَّ فيه على مقال نشر بصحيفة "العرب" التي تصدر بالأسِتانة هاجمت فيه الصحيفة دعوتها إلى العروبة، وقالت صحيفة المؤيد: "كيف يضرب هذا الكاتب النصارى في بلاد العرب هذه الضربة المؤلمة فيضيع

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص179.

[2] المرجع نفسه، ص.ص199-200.

[3] نفسه، ص185.

[4] مصطفى الفقي، مرجع سابق، ص52.

[5] المرجع نفسه، ص60.

عليهم أصولهم التي يعتزون بها ويقول لهم أنتم مادمتم غير مسلمين فلستم من العرب ولا العرب منكم وليس بعد هذا العمل من جهل وحماقة"[1].

لقد استثمر الاحتلال البريطاني في قضية النزاع بين الأقباط والمسلمين بمصر و غذاه بما أُتيح له من سبل لضمان عدم المطالبة بالاستقلال، ورغم وجوده واقعا إلا أن الحركة الوطنية عملت على التقليل من حدته وتمكن مصطفى كامل من تحقيق الانسجام بينهما إلى حدما. وما يلفت الانتباه خلال هذه الفترة أن الأقباط شجعوا فكرة التيار القُطري المصري ذو البعد الفرعوني.

3. موقف تيار القُطرية المصرية من التأريخ لمصر:

خلال الثلاثين سنة الأولى من القرن العشرين آثار المثقفون المتشبعون بالفكر القُطري المصري قضية كتابة تاريخ مصر، وبأنه لم يُدرس ولم يُكتب كما هو بالفعل، وبذلك هم يشتكون من أن صورة مصر التأريخية أصابها التشويه على يد الأجانب (التأريخ العربي الإسلامي وتأريخ المستشرقين الأوروبين)، فكل بطريقته شوه الطبيعة المتميزة للتاريخ المصري وأعطى صورة زائفة لتاريخ شعب واد النيل، إضافة إلى عدم عناية المصريين أنفسهم بتاريخهم[2]، وتبعا لذلك فقد أبدوا قوالب قُطرية لصياغة تاريخ وطني لمصر تمثل في:

أ. مبادئ التأريخ:

اعتمد أنصار القُطرية المصرية في دعوتهم إلى كتابة تاريخ قومي قُطري مصري على أسس وطنية مصرية خالصة، وأبدو موقفا أنكروا من خلاله كتابة تاريخ مصر وفق قوالب أجنبية ولأهداف خاصة ليس لها علاقة بتاريخ مصر الحقيقي، واعتمدوا في ذلك جملة من المبادئ:

أ.1. وحدة التاريخ المصري:

إن التاريخ المصري رغم تنوعه الواضح خلال مختلف الفترات، إلا أنه يمثل كلاً واحداً موحداً غير قابل للتقسيم[3]، ووظيفة المؤرخ هنا هي الكشف عن الوحدة بين مصر وحاضرها، وإعادة بنائها،

---

[1] عدنان حسين رشيد الشيخلي، مرجع سابق، ص107.

[2] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص195.

[3] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص199.

وعليه أن يبرز الاستمرارية الأبدية للتاريخ المصري، كما يعبّر سلامة موسى "لا يمكننا أن ننظر للأمة إلا باعتبار ما لها من وحدة التاريخ"[1].

يرفض أنصار التاريخ الإقليمي القُطري لمصر إخضاع التاريخ المصري لأي "تقسيم حقبي، فهم يعتبرون تقسيم التاريخ المصري إلى حقب منفصلة هو اختراع من وضع المؤرخين الأجانب" [2]، رأى مثقفون مصريون من المدرسة القُطرية إضافة إلى مُحَمَّد حسين هيكل أن ذوبان جميع القوى الخارجية في الشخصية المصرية دليل عملي على عدم قابلية التاريخ المصري للقسيم[3].

ومما جاء في كتاب رفاعة الطهطاوي "مناهج الألباب" أن "بنية أجسام أهل هذه الأزمان هي عين بنية أهل الزمان الذي مضى وفات والقرائح واحدة"[4].

أ.2. وحدة البيئة:

يعبرُ تاريخيا عن وحدة البيئة المصرية ارتباطها بوادي النيل كمحدد طبيعي لتاريخ مصر المستمر، فهو "الذي يقرر طبيعة الفترة أو اللحظة المعنية"[5]، ومن هذا المنطق فإن كل تاريخ مصر وقع في وادي النيل، وهو مكان مشترك يوحد بين العهود مثلما عبّر عنه الأديب المصري توفيق الحكيم في قوله: "إن مبرر وجود مصر كأمة هو السيطرة على الزمان والمكان وإخضاعهما لإرادة مصر" [6]، وفي ذات السياق يصوّر توفيق الحكيم نهر النيل كباعث طبيعي لتواصل تاريخ مصر، قائلا: "فها هو ذا النيل في انتظام، يحيا ويموت، مرة في كل عام، موت وبعث، ثم موت، من هذا النيل خرجت أساطير البعث، وفي هذه الأرض الجميلة الدائمة الخصب نشأت فكرة الخلود، فهي مصر المرجعُ والمآب يموتون عليها ويعودون إليها... شأن هذا شأن النيل في حياته وموته"[7].

---

[1] سلامة موسى، **مصر أصل حضارة العالم**، المجلة الجديدة، ع12، مصر، 01 ديسمبر 1929م، ص.ص195-197.

[2] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص201.

[3] المرجع نفسه، ص202.

[4] رفاعة الطهطاوي، مصدر سابق، ص187.

[5] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص197.

[6] توفيق الحكيم، مرجع سابق، ص23.

[7] المرجع نفسه، ص36.

وإن كنا نذهب إلى أن للنيل مكانة كبيرة في تاريخ مصر إلا أنه لا يمكن أن يكون إلى هذا الحد من تصوير دوره كمحرك رئيسي لتاريخ مصر.

أ.3. استمرارية التاريخ:

يُقصد باستمرارية التاريخ من وجهة نظر القُطريين المصريين هو وحدوية تاريخ مصر، أي أن تاريخ مصر لا يخضع للتحقيب، فهو يغيب ويعود من جديد،وفي هذا الصدد ورد مايلي: "ولكن الذي يعنينا هو تلك الظاهرة البارزة في مجرى التاريخ المصري، وهي ظاهرة انفردت الحضارة المصرية بها دون غيرها، ظاهرة الخلود أو البقاء، والاستمرار حقيقة؛ إن الصلة بين الماضي والحاضر لا تنقطع أبدا... هكذا جرى التاريخ في مصر... كلما شاخت الحضارة في واديها انبعثت من جديد في مجرى أصيل لا يتحول عنه عبر آلاف السنين، وكلما شاخت الحضارة في واديها انبعثت من جديد كأوفى ما تكون قوة ونماء"[1].

كما أن دليل استمرارية التاريخ حسبهم هو استمرارية الأمة المصرية عبر تاريخها، فقد كتب سلامة موسى "قد تكون الأمة المصرية نامت لكنها لم تمت، وليس العاطفة الوطنية ولا تملق الجماهير هو الذي يحملني على أن أنكر الأمة المصرية قد ماتت في عصر من عصورها، وهي لم تفقد استقلالها ألفي عام، ولئن كانت قد فقدته حينا أو أحيانا إلا أنها لم تنسه قط، أقول لم تمت الأمة المصرية وآية ذلك أنها لا تزال حية وتشعر وتحس وتفكر وتناضل في سبيل الحياة"[2].

وفيما يخص التأريخ لمصر القُطر كتب رفاعة الطهطاوي: "مصر كنانة الله في أرضه، وإن كتابة تاريخها تعريفٌ بحضارات العالم كله، شمولية مصر وتمكنها من استيعاب معارف البشرية وهضمها، فمصر الحديثة عنده هي الحفيدة الشرعية لأرض الفراعنة صاحبة العز والأمجاد"[3].

---

[1] حسين فوزي النجار، **ملحمة التاريخ المصري**، المجلة، ع14، مصر، 01 فيفري 1958، ص.ص18-26.

[2] سلامة موسى، **التقدم الجديد في دراسة التاريخ**، المجلة الجديدة، ع46، مصر، أفريل 1931، ص07.

[3] منذر معاليقي، مرجع سابق، ص166.

كما أن كتابة تاريخ مصر لا يمكن أن تُهمل خلالها أهمية الموروث الشفوي، "فالفولكور المصري يمنحنا جوانب صادقة خاصة إذا ما وجد أدلة ومستندات، فالتاريخ المصري في فترة المماليك فيه وقائع أشد خرقاً من الحكايات الخُرافية"[1].

ب. محددات كتابة التاريخ القُطري المصري:

عبّرت كتابات طه حسين وعنان عبد الله عن الرؤية القُطرية لكتابة تاريخ مصر، التي ترى بإعادة الاعتبار لكتابة تاريخ مصر لأنه يؤرخ للأجنبي مع إغفال واضح للأمة المصرية، وقد نتج عن ذلك تغلغل المناهج غير الوطنية وتكوين نشء يؤمن بما يُكتب، فالمثقفون أصحاب التوجه المصري "كان يجمعهم الحنق المشترك على التباين بين الصورة القومية الجديدة لمصر والتي كانت تتشكل في فترة النهضة القومية التي أعقبت ثورة 1919م، والصورة غير المقبولة لماض البلاد والتي استمرت في هيمنتها عبر منظور أجنبي غير مصري، فمصر التي تشهد عملية من البعث تستحق إعادة اكتشاف تاريخها والفوز بصورة جمعية جديدة تقوم على الفهم السليم لتراث الأمة"[2].

استنادا لما سبق يمكننا أن نوجز محددات التأريخ القومي القُطري[3] فيما يلي:

–تحرير الذاكرة الجماعية من أثقال التأريخ الأجنبي.

–تنقية الوعي التاريخي من الصور الخارجية المفروضة.

–إعادة اكتشاف ذاكرة جماعية مصرية متميزة بوعي قومي جديد.

–إعادة تنظيم تاريخ مصر بإبراز الرابطة بين وادي النيل وشعب مصر.

---

[1] عمرو عبد العزيز منير، **مصر والنيل بين التاريخ والفولكور**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2009، ص09.

[2] أ.جرشوني، وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص196.

[3] اعتمد القصر الملكي بمصر على مؤرخين أجانب في تدوين تاريخ مصر، قصد كتابة التاريخ المجيد للعائلة الملكية، والدفاع عنها وعن أخطائها، لذلك كانت مهمة المؤرخ الوطني هي تمصير التاريخ أي انتزاع الدراسات التاريخية من يد الأجانب والقصر. ينظر: مُحَمَّد أنيس، **شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصري الحديث**، المجلة، ع58، مصر، 01 نوفمبر 1961، ص.ص02-06.

إن التاريخ يلعب دورا حاسما في تشكيل الوعي القومي وتقوية الإحساس بالولاء الجماعي، ويُظهر صلابة الشخصية القومية. ودور المؤرخ الوطني [1] هو كتابة التاريخ بالتركيز على القومية، إن واجبه هو تقديم تاريخ قومي، قصة تطور الجماعة الاجتماعية داخل بيئتها الخاصة فقط من خلال كتابة تاريخ قومي حقيقي، يمكن لمصر أن تحصل على الماضي المصري الأصيل والحقيقي والمتميز الذي تستحقه[2]، ووظيفة المؤرخ المصري هي تمصير الماضي المصري بتبديد التحقيب، يجب على المؤرخ الوطني أن يُبرز أن كل من الوسط الاجتماعي المصري والشخصية المصرية ظلا دون تغير منذ العصر الفرعوني، وأن هذه الثوابت هي النواة الصلبة للتاريخ المصري[3].

4. موقف تيار القُطرية المصرية من الأجانب بمصر:

اعتمد الاستعمار البريطاني بمصر على بطانة من المصريين وآخرون هم الأعوان من الشام ومن النازحين إلى مصر والمتوزعين في الوظائف الحكومية في مختلف النواحي والفروع، أما الشاميون وقد كانت كثرتهم من المسيحيين فيرجع نفوذ جاليتهم ونشاطها في مصر إلى حكم إسماعيل باشا حين أراد أن ينشر الحضارة الأوربية فاحتاج إلى موظفين يتقنون الفرنسية إلى جانب العربية، فاتجه إلى الشاميين ثم ساعد الرعيل الأول منهم إخوانهم ومواطنيهم على الرحلة إلى مصر ومهدوا لهم إحتلال مراكز حكومية[4].

احتل موضوع الأجانب عند أنصار التيار القُطري حيزا هاما لما له من الأهمية والتي تكمن في اعتقادنا ضمن مكونات الهوية المصرية ، ويُقصد بالأجانب في فكر تيار القُطرية المصرية كل الذين حلوا بمصر على سبيل الاستقرار مستثنين في ذلك الأجانب من الانجليز لأننا أفردنا له عنصرا خاصا باعتبارهم احتلال وفيما يلي نعرض موقف بعض أنصار تيار القُطرية المصرية من الأجانب:

---

[1] يُدرج المؤرخ المصري رؤوف عباس جملة من الشروط الواجب توافرها في شخصية المؤرخ المصري لكتابة تاريخ مصري حقيقي. للمزيد ينظر: رؤوف عباس، **كتابة تاريخ مصر إلى أين؟، أزمة المنهج ورؤى نقدية**، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2009، ص31 وما بعدها.

[2] مُحَمَّد حسين هيكل، مرجع سابق، ص252.

[3] عبد المنعم إبراهيم الدسوقي، **اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1994، ص194.

[4] Cromer, Op.Cit, P314.

أ. مُحَمَّد عبده:

احتج الشيخ مُحَمَّد عبده على السوريين ونفوذهم في مصر وخوفه منهم كونهم يقتادون ال لورد كرومر من أنفه[1]. وقد عبر الشيخ مُحَمَّد عبده عن موقفه من الدخلاء والأجانب بقوله: "إن مُحَمَّد علي ملأ مصر بالأجانب والدخلاء يستعين بهم على إقرار نفوذه وأذل المصريين بإطلاق يد هؤلاء الدخلاء فيهم، يحكمون على هواهم لا هدف لهم إلا مرضاة الأمير صاحب الإقطاع الكبير"[2].

ب. أحمد لطفي السيد:

اعتبر كل الشوام والأوروبيين الذين تمسكوا بجنسيتهم الأصلية أو بالحماية الأجنبية للاستفادة من الامتيازات أن المصلحة بينهم وبين مصر واحدة [3]، حيث يقول: "إن الذين جاؤوا لمصر واستوطنوها غير سكانها الأصليين قد برهنوا على اختيارهم لها وطنا ، كما برهنوا على كفاءتهم للحياة العلمية وذكاءهم وقدرتهم على نفع هذه البلاد ، وبعيد عن الحكمة ألا نعمل نحن الأكثرية كل ما في استطاعتنا للانتفاع بكفاءة هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم أجانب وضمهم إلينا ضما حقيقيا صريحا"[4].

وجه أحمد لطفي السيد انتقادا إلى الشاميين الذين اعتبرهم أجانبا مالم ينتموا إلى مصر، وكذا الأوروبيين المتمسكين بجنسيتهم الأصلية أو الداعين إلى استمرارية الحماية على مصر ، كونهم تنكرو لخير مصر وهو الذي خاطبهم بنوع خاص قبل ذلك ، "فذكرهم بأنهم يشتركون مع المصريين في اللغة وبأنهم عاشوا معهم أجيالا عدة وبأنهم ما داموا يشعرون بانتماءهم إلى مصر فليكونوا إذن مصريين بعاطفتهم"[5].

---

[1] أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، مرجع سابق، ص39.

[2] رشيد رضا، تاريخ الإمام الأستاذ، مصدر سابق، ص382.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص185.

[4] الجريدة، ع784، 1909/10/05. نقلا عن سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، مرجع سابق، ص206.

[5] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص185.

ج. مصطفى كامل:

من جهة أخرى حاول مصطفى كامل استمالة الجاليات الأجنبية في مصر ، وكان يرى أن للأجانب والمصريين مصلحة واحدة تمثلت في منع البريطانيين من الاستيلاء على كل شي ء في مصر، وأن الأجانب ينفعون مصر نفعا حقيقيا فهم طلائع المدنية الغربية فيها، وضمانة التقدم والرفاهية[1].

وهو بهذا الطرح يناقض عبد الله النديم [2] الذي رفض أي تعاون مع الأجنبي ، حيث هاجم السوريين بعنف بالغ على أنهم "دخلاء مرابون وفاحشون وصنائع للفاتح الأجنبي" [3]، وقد عبر ألبرت حوراني عن هذا الرفض بقوله: "نزعة كره الأجنبي كثيرا ما ترافق المشاعر القومية الحادة" [4]، كما رفض كل ما يأتي من الأجانب أو عن طريقهم هاجم الإرساليات الأجنبية كون ما يقدمونه يشكل خطرا على تلاميذهم، والشبان المصريين ممن توافدوا على فرنسا عادوا كأنهم غرباء عن أمتهم[5].

وصف مصطفى كامل اللبنانيين بأنهم دخلاء وبأنهم يساعدون السلطة المحتلة وقال: "الدخلاء الدخلاء الدخلاء؟ هؤلاء هم الأعداء لقد أنكروا وطنهم، ولم يبادلوا كرم مصر وضيافتها الإ بالعقوق والكراهية"[6]، وأورد رأيه حول الأجانب قائلا: "...خصوصا في هذا الزمن الذي يعمل فيه الدخلاء للتفريق بين الوطنيين وبعضهم، والشقاق بين المصريين والأوروبيين، ويكيدون للأمة أعظم كيد، ويدسون الدسائس لخلق القلاقل وإحداث الاضطرابات"[7].

عبرت مواقف تيار القُطرية المصرية من الأجانب الذين حلوا بمصر فرحبوا بهم لأن يتمصروا ويتخلوا عن انتماءاتهم الأصلية و يعملوا على تحقيق غاية واحدة هي مصلحة مصر، كما بغض أنصار

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص213.

[2] هاجم عبد الله النديم الدخلاء في مجلته الأستاذ في العدد 29 واعتبرهم لعنة أصابت مصر. ينظر: عبد الله النديم، مجلة الأستاذ، ع29، مصر، 23 ماي 1893.

[3] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص202.

[4] المرجع نفسه، ص.ص202-203.

[5] نفسه، ص203.

[6] نفسه، ص213.

[7] مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مصدر سابق، ص98.

التيار كل الذين عطلوا استقلال مصر وتحقيق تطور مصر من خلال ممارساتهم السلبية تجاه مصر والمصريين.وعلى أي حال فإن الأجانب بمصر كانوا بمثابة السلاح ذو الحدين.

المبحث الثالث: تيار القُطرية المصرية بين جدلية القبول والرفض:

نعرض أنموذجين من خلال توضيح رأي ساطع الحصري في الدعوة إلى تبني الخط القُطري ومحاولاته تقريب وجهات النظر للالتفاف حول العروبة، ثم نعرج على جهود الأستاذ أنورا لجندي لدحضه مزاعم طه حسين باعتباره أحد أقطاب التيار القُطري بمصر.

1. الجهود التوفيقية لساطع الحصري:

في ظل احتدام الصراع بين تيار القُطرية والتيار العروبي بمصر ظهر جيل آخر مع الثلاثينات من القرن العشرين حاول رأب الصدع ، مثّله ساطع الحصري الذي كان معارضا للإقليميين الذين يقولون بأمم متميزة داخل العالم الناطق بالضاد، لقد صرف كثيرا من الوقت محاولا إقناع المصريين بأنهم جزء من العالم العربي، فكتب الكثير من المؤلفات في هذا السبيل يدعو من خلالها إلى الالتفاف بالقومية العربية، غير أن تيار القطرية المصرية في توجهه الفرعوني أو المتوسطي لم يترك مجالا للقومية العربية من جهة، وجيل ساطع الحصري من القوميين العرب من جهة اخرى كانوا يميلون إلى التطلع إلى بغداد لا إلى القاهرة وإلى الاعتقاد أن الأمة العربية إنما تنتهي عند صحراء سيناء[1].

كما يحسب لساطع الحصري ما قدمه في سبيل استرجاع مكانة التيار القومي العربي لمصر فكتب قائلا: "لقد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التي تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة في إنهاض القومية العربية ، لأنها تقع في مركز البلاد العربية بين القسمين الإفريقي والأسيوي منها، كما أنها تكون أكبر كتلة من الكتل التي انقسم إليها العالم العربي بحكم السياسة والظروف وهذه الكتلة قد أخذت حظا أوفر من الحضارة العالمية الحديثة ، وقد أصبحت مركز من مراكز الثقافة في البلاد العربية وهي أغنى هذه البلاد بأجمعها، كما أنها أقدمها في تشكيلات الدولة العصرية وأقواها في الآداب وأرقاها في الفصاحة"[2].

وفي إطار رد المفكر ساطع الحصري على آراء طه حسين وأحمد لطفي السيد قال: "إنني لست متخوفا أو متشائما من شيوع وذيوع الآراء الانفصالية، إني أعتقد أنها نوع من غيوم اليأس التي

---

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص321.

[2] ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في القومية العربية**، م.د.و.ع، بيروت، 1990، ص75.

تستولي على النفوس عادة عندما تمنى بالإخفاق في تحقيق مشروع من المشاريع المحببة إليها في مرحلة من مراحل العمل من أجلها، ولكنها لا تلبث أن تنقشع وتزول عند التفكير في الأمور بشيء من الهدوء وعند العودة إلى العمل مع شيء من الحزم والأمل"[1].

وتعتبر الدعوة إلى إعمال العقل في قضية "الاهتمام بالأدب القومي وإهمال الأدب" والتي دعا إليها مجلة الهلال سنة 1932م، إحدى المحاولات التوفيقية لاسترداد قيمة الأدب العربي العام بمصر حيث نشرت مقالا جاء منه: "تصدر مصر فريق غير ناضج في الثقافة مدعيا معرفة كل شيء، وناصبا نفسه إلى الإرشاد في كل شيء أو بعبارة عامة إلى القيادة الفكرية، ولا يتورع هذا الفريق –مع الأسف– عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه فيه، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، نذكر من بينها الدعوة العجيبة إلى اشتغال الشباب المصري بأدب قومي مصري، وما يتبع ذلك من إهمال جانب الأدب العربي العام، وبربك خبرني أين هو الأدب القومي المصري؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين؟ وفي أي لغة على كل حال قد دون هذا الأدب؟ أفي اللغة الهيروغليفية؟ أم في لغة العرب؟[2].

وهذه الفكرة الزائفة ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به في هذا السبيل[3]، ومع نهاية النصف الأول من القرن العشرين انحسر تيار القُطرية المصرية ولاح في أفق الفكر المصري التوجه العروبي بوضوح وزاد أكثر بعد نجاح ثورة الضباط الأحرار سنة 1952م وتبنيها للخط العروبي كخيار قومي.

2. محاولات أنور الجندي:

نُدرج محاولات الكاتب المصري أنور الجندي [4] ذو التوجه الإسلامي المعتدل كأحد المحاولات الجادة للرد على أنصار التوجه القُطري المصري (طه حسين أنموذجا)، والتي يعتبرها مؤامرة لتغريب

---

[1] ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**، م.دو.ع، بيروت، 1987، ص96.

[2] علي العناني، **المستشرقون والآداب العربية**، الهلال، ع10، 01 أوت 1932م، ص.ص174-175.

[3] مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، مرجع سابق، ص175.

[4] أنور الجندي : أديب ومفكر مصري ولد سنة 1917م بصعيد مصر، حمل لواء الدفاع عن الفكر العربي والاسلامي، فكتب حوالي مائتي عنوان في الموضوع، توفي سنة 2002. ينظر: http://www.maktabatalfeker.com/ ، تاريخ الإطلاع: 2020/11/22، الساعة: 17.28مساء.

العالم الإسلامي ضمن مخططات وآليات الاستعمار الغربي، ولا يمكننا أن نقف على طبيعة التحدي الذي يواجهه المجتمع الإسلامي من قبل التغريب إلا بإدراك المرحلة الأساسية من الغزو الثقافي والتغريبي، والدور الذي لعبه جيل الرواد مطلع القرن 20م بمصر، ممن احتضنتهم المعاهد الغربية في أوروبا، تلك المعاهد المتخصصة في تأهيل هذه النخبة من الشباب لقيادة المشروع التغريبي، في محاولة لاحتواء الشباب المسلم المثقف، وصرفهم عن دينهم وقيمه م، ودمجهم في أجندة الطرح الغربي مما يطلقون عليه الفكر العالمي، أو الفكر الحر، أو الحضارة العالمية.

لقد كان طه حسين في طليعة هذا النخبة التي التقطتها هذه القوى في تلك المرحلة، في الوقت الذي كانت فرنسا تنفذ بفكرها وثقافتها في إطار حملتها على مصر إبان حكم مُحَمَّد علي عبر المستشرقين الذين كان دأبهم إغراء جيل النخبة، من خلال الإرساليات والبعثات، مما يفتح الباب للتغريب؛ لكي يحقق أغراضه وأهدافة التي جاء من أجلها[1].

في هذا الإطار يرى الأستاذ أنور الجندي بأن طه حسين كان من أبرز الطلاب الذين احتضنتهم البعثات الغربية في تلك المرحلة الخطيرة، حيث عاد بعد رحلته من أوروبا عام 1919م، وهو يحمل ثقافة الغرب ومفاهيمه ومقاييسه، فانطلق منها متجها إلى مرتكزات البناء الثقافي والفكري للمجتمع المصري، ممثلة في ثالوث البناء (الصحافة-التعليم-الثقافة) ليسيطر على الأدب العربي والفكر والثقافة، من خلال الشبهات التي أثارها أمام التاريخ والأدب والحضارة الإسلامية، يقول المفكر أنور الجندي في هذا السياق: "لا نستطيع أن ندرس واقعنا المعاصر اليوم في مجال الفكر، والسياسة، والاجتماع والتربية، دون أن نتعرف إلى أبعاد الدور الذي قام به -طه حسين- من خلال كتاباته وآثاره ومؤلفاته"[2].

وعليه يعتبر طه حسن في نظر أنور الجندي قائد لواء التغريب في العالم العربي والإسلامي، وعلمً ا من أعلامها، وفي طليعة دعاتها، على يديه تتلمذ الكثير من الشباب العربي المثقف، فأخذوا

[1] أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، مرجع سابق، ص07.

[2] المرجع نفسه، ص 07.

بأفكاره وتطلعاته، ونادوا بها، فكانوا مطية يسهل ركوبها –من أمثال سلامة موسى– الذي نادى بحرية الفكر، وهي أبرز ما أفرزته سموم التغريب في الثقافة العربية والإسلامية[1].

من هنا اتجه المفكر أنور الجندي؛ لصد الفكر التغريبي والاستشراقي الذي حمل لواءه طه حسين، فأقبل على كتبه محللا وراصدا للشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي ومستقرءاً المنهج العلمي الذي سار عليه في مؤلفاته، فوضعه في قفص الاتهام هو وأمثاله من الرواد، بعد أن كشف عن المعطيات التي طفحت بها كتبه في حق التاريخ والأدب والثقافة فكشف عن الوجه الآخر له[2].

كشف المفكر أنور الجندي عن الأعمال التي قام بها طه حسين كأحد دُعاة المدرسة القُطرية المصرية في مجال التغريب متمثلة في:

تقديم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي باسم حرية الأدب، حيث اعتبر ذلك مقدمة لتحرير الأدب من قيود الفضيلة والتأثير الدّيني، مسقطا مقاييس الشك الفلسفي عليه لينقل الأدب إلى ساحة الإباحيات[3]، ويظهر هنا تجاهل طه حسين للنخبة من العلماء والحكماء الذين كان لهم ظهور واضح في تاريخ الأدب، ويظهر أنور الجندي الهدف من تعيين هذا الاتجاه في الأدب والشعر لديه، بتجريد الأدب عن الأدب وهذه هي الإباحية التي يتطلع إليها الغرب، فكان طه حسين أداة لتعميق هذا التجريد[4].

قام طه حسين بانتزاع الأصالة الأدبية عن الأدب العربي، وقد كشف أنور الجندي عن هذا الهدف، عندما رصد توجه طه حسين في محاولاته إثبات العلاقة بين الأدب العربي والاتجاه الوثني القديم، محاولا نزع الأصالة عن الأدب العربي من خلال فرية تأثير الوثنية فيه، كما اعتبر أن لليهودية

---

[1] أنو الجندي، **إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام**، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص190.

[2] أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، مرجع سابق، ص10.

[3] أنو الجندي، **إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام**، مرجع سابق، ص194.

[4] أنور الجندي، **طه حسين، حياته وفكره في ضوء الإسلام**، دار الاعتصام، ط2، القاهرة، 1977، ص151.

والنصرانية كبير الأثر في الشعر العربي والأدب العربي[1]. ومن ثمة الدعوة إلى تمصير الأدب بخلق أدب مصري.

اتجاه طه حسين للفصل بين الدّين واللغة، الذي كان من أخطر ما يهدد المجتمع المسلم، نقل أنور الجندي عن كتاب "مستقبل الثقافة" قول طه حسين: "فالذين يزعمون لنا أن نتعلم العربية ونعلمها؛ لأنها لغة الدّين فحسب، ثم يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع، فإن اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدّين يؤمنون وحدهم بها، ويقومون وحدهم من دونها، ويتصرفون وحدهم فيها، فهي ملك للذين يتكلمونها"[2]،

دلت هذه الكلمات على ما يرمي إليه طه حسين فيما يتعلق بالحق في تطوير اللغة، وتشجيع اللهجات العامية في إطار محاولته لنزع القداسة عن العربية لغة القرآن الكريم، وقطع الصلات بين الدراسات العربية والدراسات الإسلامية بالإضافة إلى التنظير لإقليمية اللغة (مصرية اللغة)، فيكون اللسان العربي عبارة عن لهجات شتى متباينة؛ فتنقطع الصلة بين أبناء اللغة الواحدة[3].

من هنا تحسس أنور الجندي رغبة طه حسين في إبعاد دور الأزهر عن القيام بوظيفة تعليم الدّين، عندما أشار إلى أن اللغة ليست حكرا على أحد، ومن هنا فهو ينظر إلى تغيير المناهج ولاسيما فيما يتعلق باللغة، واتهام مناهج الأزهر بأنها عقيمة، ضمن خطة التبرير والتسويغ لفكرة التطوير في سبيل تدمير لغة القرآن، وتبديل قواعد اللغة العربية وتصحيف رسمها، ومن ثم تخضع للمناهج الغربية ومقاييسها وطرقها، وعليه فإن طه حسين يتآمر على كل قديم باسم الحداثة، ولاشك بأن هذا المخطط من أهم ما يسعى إليه التغريب الاستعماري كأحد أوجه الالتفاف حول الذات(القُطر)[4].و بالتالي شجب كل صيغ الوحدة و التجمع مهما كان نوعها.

---

[1] أنور الجندي، طه حسين، حياته وفكره في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص 140. وأنظر أيضا: أنور الجندي، **الصحوة الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله**، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص.ص295-296.

[2] طه حسين، مستقبل الثقافة، مصدر سابق، ص58.

[3] أنور الجندي، طه حسين، حياته وفكره في ضوء الإسلام، مجع سابق، ص153.

[4] أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، مرجع سابق، ص96.

من هنا كشف لنا المفكر أنور الجندي أن الفكر القومي القُطري هو أ حد وسائل التغريب وأوجه العلمانية في مصر، والتي مهد لها مُحَمَّد علي باشا ببعثاته إلى أوروبا، ودعمها لاحقا الاستعمار البريطاني، وتهدف في مجملها إلى استئصال مصر من الوطن العربي وتجريدها من الهُوية الإسلامية.

خلاصة الفصل:

تباينت مواقف أنصار تيار القُطرية المصرية من مختلف قضايا عصرهم خلال الفترة (1882-1939م)، حيث اهتموا في غالب الأوقات بالقضايا الداخلية لمصر بداية بالاحتلال البريطاني الذي اختلفت حوله الآراء فيما بينهم، انطلاقا من الدعوة إلى التعامل معه كحقيقة واقعة إلى المهادنة وحتى الرفض المطلق له، أما فكرة الخلافة العثمانية وفكرة القومية العربية فكان الرفض لهُمها بناءً على قناعة أنصار تيار القُطرية المصرية الذي يؤمن بالولاء لمصر فقط، وظلت آراؤهم من مختلف القضايا الفكرية كالعروبة والتاريخ وثنائية الدين بمصر تصب في مجملها إلى الدفع بفكرة مصر القُطر ودعم القطرية المصرية. أما فيما يخص التواجد الأجنبي بمصر فتمت دعوتهم إلى التحلي بالمصرية (التمصير)، وهي كافية للتكفير عمّا أحلوه بمصر من الهلاك، وتبقى محاولات ساطع الحصري وأنور الجندي لضم مصر إلى عروبتها من أهم ما يمكن الإشارة إليه.

خاتمة

بعد تطرقنا لموضوع تيار القُطرية المصرية وموقفه من قضايا عصره بين 1882م و 1939م يمكننا أن نخلص بما يلي:

- إنه لمن العسير جدا التحقيب الزمني لفكر التيار القُطري المصري، حيث نتحسس بداياته مع كتابات رفاعة الطهطاوي دون أن نجد له حدا زمنيا واضحا، وكذلك بالنسبة لأفول الفكرة مع نهايات الثلاثينات من القرن العشرين أي ببداية الظهور للفكر الإخواني بمصر والمتجلي بالفكرة العربية والطابع الإسلاموي.
- اعتبرت القومية المصرية الحديثة بمثابة رد على الوضع المؤسف ال ذي وجدت مصر فيه بعد سنة 1882م، وساهم أصحاب العقيدة القُطرية الإقليمية نماذج متفائلة لمصر القومية الجديدة، فهم انطلاقا من المزاج العام الذي ساد مصر فيما بعد 1919م يعتقدون أن الحركة القومية التي شهدتها مصر أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م سوف تؤدي إلى تحرير مصر وانعتاقها، حيث لم يقتصر الأمر على مناهضة الاحتلال الأوربي الإنجليزي بل طمحوا إلى بناء الشخصية المصرية ذات المعتقد القُطري.
- سعي الاستعمار الإنجليزي في مصر إلى تكريس الفكرة القُطرية كأحد آليات تحقيق التجزئة للدولة العثمانية من جهة والوقوف في وجه الدعوة للوحدة الاسلامية (الجامعة الإسلامية) كامتداد للتواجد العثماني بمصر من جهة أخرى لتحقيق استمرارية التواجد البريطاني، وقد تم ذلك عن طريق دعم مختلف توجهات التيار القُطري من الفرعونية والمتوسطية...
- ساهمت الأوضاع السياسية والثقافية بمصر خلال الفترة (1882-1939م) في صياغة مناخ فكري تحديثي نتيجة الأحداث المستجدة وتفاعلها مع الترسبات الفكرية الناجمة عما سبقها.
- مثلت الثورة العُرابية 1881م بمصر أول إشعار ببداية تشكل الوعي الوطني المصري كونها أول رد فعل على التواجد العثماني وسياسة القصر.
- رغم سلبية الممارسات الاستعمارية الإنجليزية بمصر إلا أنها تعتبر عامل مهم في ظهور الوعي القومي القُطري ونمو الإحساس بمصر القُطر.

- دعمت السلطة البريطانية بمصر منذ 1882م ظهور تيارات إيديولوجية متغربة مما سهل لها بسط السيطرة من خلال عزلها عن محيطها الطبيعي والتاريخي (العربي-الإسلامي).
- الحركة الوطنية المصرية حركة فكرية سياسية هدفت إلى تحقيق الاستقلال ومقاومة الاحتلال الأجنبي رغبة في تحقيق مصرية مصر.
- شهدت مصر نهضة فكرية تجلت خصوصا في ميداني التعليم والصحافة، كان لها الفضل في تكّ وُن فكر وطني يدعو إلى مصرية مصر، كما ساهم في انتشاره أيضا.
- عرفت مصر خلال الفترة (1882-1939م) أنواع شتى من التيارات الفكرية القومية منها: الدّينية التي تدعو إلى أن تكون قومية مصر إسلامية، ومنها القومية على أساس العرق أو اللغة، تود أن تكون مصر عربية والآخر لا يعترف بالأسس التي يدعوا إليها التياران السابقان، ويبني تصوره للقومية على أساس قُطري يُعرف بتيار القُطرية المصرية.
- تيار القُطرية المصرية ساد مصر بين (1882-1939م) يبني قوميته على أساس المنفعة ومصلحة مصر، والقُطر عنده جغرافيا مرتبط بنهر النيل كمحدد طبيعي، ويأخذ هذا القُطر هُوية إما فرعونية أو متوسطية.
- هُوية الجماعة الوطنية المستغلة للمجال الجغرافي (القُطر) والمحدد بمجرى وادي النيل يعتقدون في أصلهم الفرعوني المصري، بينما يعتقد بعضهم بأن مصر لها هُوية البحر الأبيض المتوسط، وهي أوروبية بجميع المعايير.
- رغم تنوع النحت اللغوي لتيار القُطرية المصرية كالإقليمية والوطنية الضيقة إلا أنها قومية لا تعترف بالأسس والمقومات التقليدية للقومية من لغة وعرق ودّ ين وغيرها، فهي تُبنى فقط على أساس المنفعة لجماعة الشاغلين لمجرى وادي النيل.
- الاختلاف الحاصل حول قُطرية مصر من مصرية بحتة إلى إسلامية وغيرها يُرد بالأساس إلى الاختلاف الإيديولوجي للمنادين بالفكرة.

- جذور تيار القُطرية المصرية تعود للمفكر المصري رفاعة الطهطاوي، ونمت مع الثورة العُرابية على يد عبد الله النديم وأديب إسحاق ومُحَمَّد عبده، بينما تفرّد أحمد لطفي السيد في التعبير عن القُطرية المصرية دون أي التزام دّيني أو غيره.
- أنصار تيار القُطرية بمصر هُم جيل شباني سواء مسلمين أو أقباط تشبعوا بحب وطنهم مصر وغلبت عليهم النزعة الليبرالية، فكانت دعوتهم خاصة إلى إحياء شعور إقليمي مبني على وحدة جغرافية صغيرة هي مصر.
- مثل تيار القُطرية المصرية أحد مظاهر استيقاظ الوعي السياسي لدى نخبة مصر الذين استمدوا ثقافتهم وأفكارهم العامة من الإرساليات والتواجد الأوروبي بمصر فلم يخفف ذلك من رغبتهم في التشدد على تعلقهم بشعبهم الخاص وعلى ضرورة إيجاد مجتمع خاص ينتمون إليه انتماءً تامًا.
- تيار القُطرية المصرية تيار قومي مبني على أساس قُطري جغرافي، فهو لا يؤمن بالمدرسة التقليدية للقومية ولا يعترف بالتأسيس للوحدة القومية على أسس عرقية أو لغوية أو دينية، وإنما يكفي العيش في مكان واحد دون الخوض في المميزات الطبيعية، وأن تخلق بينهم رابطة كجماعة وطنية لا تعتبر الدّين أساسا لها.
- القومية القُطرية المصرية تقوم على تمجيد "مصر القُطر " وأفضليته على القيم الدّينية تمثل فكرة حداثية جديدة لفترة البحث.
- القومية القُطرية المصرية تيار فكري كبير ضمّ مجموعة من الاتجاهات المتزاحمة فيما بينها لتحديد هُوية مصر (الإسلامية العربية، الفرعونية، المتوسطية).
- مرت القومية بمصر بمراحل من دينية إسلامية، إلى عرقية لغوية عربية، إلى إقليمة قطرية يبنى الشعور فيها على الإنتماء إلى جماعة واحدة من القاطنين رقعة جغرافية محددة من الأرض –مصر– تأصل فيهم حب هذه الرقعة.
- تأثرت القومية القُطرية بمصر بالقومية في أوروبا الغربية، غير أنها كانت أضعف نظرا للوضع السياسي والجغرافي للكيان المصري خلاف ما كان عليه الحال بأوروبا الغربية.

- الأحزاب الوطنية المصرية ذات التوجه القُطري ساهمت في نشر الفكرة والمحافظة عليها والنضال تحت شعار "مصر للمصريين" في سبيل تمصير مصر.
- مثّلت ثورة 1919م إحدى أكمل صور نُمو القُطرية المصرية، وتجلى ذلك في ظهور الأفكار الجديدة التي تدعوا إلى التمصير، وكان المجال الاقتصادي خير مثال على ذلك.
- موقف تيار القُطرية المصرية من الفكرة العربية جاء شاذا مبالغا فيه رغبة منه في التأصيل للفكر القُطري المصري.
- رغم انتشار وسيطرة الفكر القُطري بمصر حتى نهاية ثلاثينات القرن العشرين، إلا أن الهُوية العربية لمصر لم تنته تماما، وتقلصت خلال الفترة المشار لها كون تيار القُطرية لم يجد من يعارضه آنذاك، فكان هو الصوت الغالب لمصر دون مخالفة من أحد ثم ما لبث التيار العروبي في استعادة مكانته خاصة مع ظهور موجة القومية العربية مطلع الخمسينات من القرن العشرين.
- موقف تيار القُطرية المصرية من الفكرة العثمانية جاء بناءً على إيمان أنصار القُطرية بمبادئهم، وموقفهم من كل أجنبي حيث يعتبرونه سببا في حجب مصرية مصر.
- موقف تيار القُطرية المصرية من الاحتلال البريطاني بمصر غير واضح، كونه يدعو إلى الاستفادة منه نظرا لما جلبه من منافع، أو رفضه نظرا لديمومته، أو مهادنته والانتفاع منه نظرا لقوته، وتحقيق الاستقلال منه وفق رزنامة.
- موقف تيار القُطرية المصرية من الأجانب موقف سلبي، حيث اعتبروهم سبب نكبة مصر، إ ذ وظفهم الاحتلال لخدمة مصالحه، وانهمكوا بدورهم في تحقيق مآربهم على حساب مصر.
- موقف تيار القُطرية المصرية من القضية الفلسطينية موقف غير واضح، حيث اعتبرها قضية داخلية بين الصهاينة وعرب فلسطين، واعتبرها الآخرون قضية لا تعنيهم، كونهم منهمكون في بناء مصر المصرية، بينما تميّز موقفهم عموما بالدعوة إلى المهادنة وطي الخلاف ودياً.
- يعبّرُ موقف أنصار تيار القُطرية المصرية من بعض القضايا الفكرية كثنائية الدّين بمصر عن فكر ليبرالي لا يعيرُ للدّين أية أهمية، ويشدد على ضرورة المصلحة الوطنية والوحدة بعيدا عن الصراع الدّيني، فما يجمع المسيحي والمسلم المصري سوى مصر القُطر ومصلحتها العليا.

خاتمة:

- مثلت قضية الشيخ علي عبد الرازق سنة 1925م باعتباره أول من خرج من الأزهر عن الفكر الأزهري، حينما اعتبر الخلافة ليست من الإسلام في شيء، وه ذا الفكر يدعم أنصار القُطرية المصرية، حينما يبنون القومية على غير أساس دّيني، لذلك لا غرابة في أن يقف أنصارها في صف الشيخ معتبرين كل رأي مخالف له بأنه رجعي.
- الموقف السلبي الذي تبناه أنصار التيار القُطري المصري من اللغة العربية وآدابها كان نتيجة حتمية لفكرهم الداعي إلى دعم التمصير واللهجة المصرية.
- دعا تيار القُطرية المصرية إلى إعادة النظر في التأريخ لمصر نظرا لما تميزت به عمّا سواها تاريخياً، فتاريخها يتمتع بالوحدوية والاستمرارية، واقترحوا في ذلك محددات لكتابة التاريخ المصري القُطري.
- جاءت محاولات أنور الجندي للرد على القُطريين ومثلهم في ذلك طه حسين كإعلان على أفول الفكر القُطري بمصر وبداية عودتها إلى المحيط الطبيعي العربي الإسلامي.
- مثلت سنة 1939م بمصر خاتمة عهد تميز بتفكير قومي مصري يقول بوجود رابطة لمجموعة من البشر هي أرض مصر.

الملاحق

الملحق (01): صحيفة العلم.

العلم

جريدة سياسية شرقية اجنبية

العلم

الشورى

كلام الشاهبندر!

محمد علي الطاهر لاتعاد جريدته اليه

ويهنئ من دخول سورية

واما أمين سعيد

فتعطى له الحكومة المصرية جريدتها

وتخطب حكومة سوريا في ظل فرنسا جريدة اخرى

حادث لامثيل له في تاريخ الحكومات

رأي دمشق

حالة فلسطين

حفلة شاي

اجرة مربط الطيارة

علوم و الاطباء

سباب اسلام!

اهداء كتاب!

هل هذا الاجتماع جائز؟

الملحق رقم (02): بيان استقلال مصر 15 مارس 1922م[1]

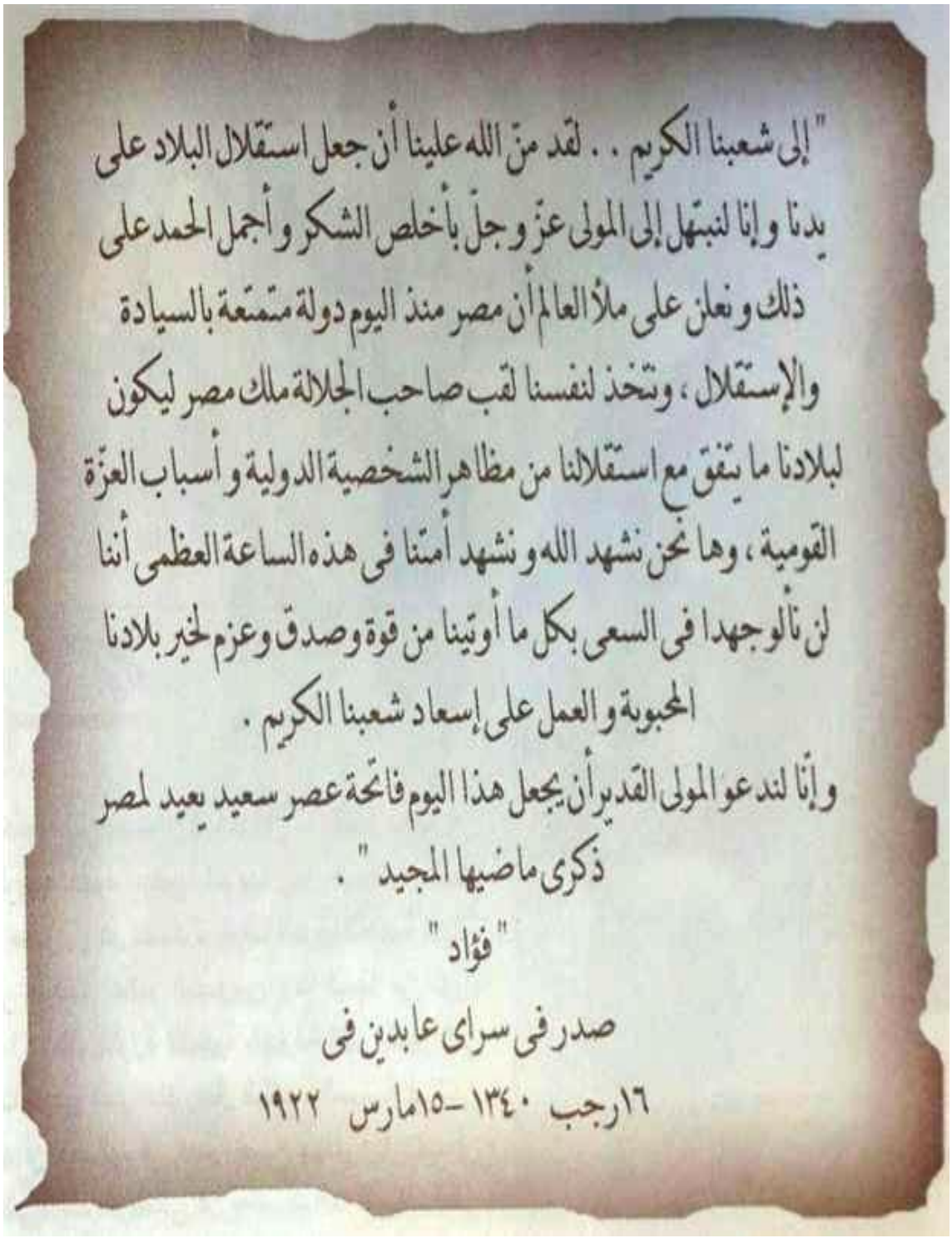

"إلى شعبنا الكريم . . لقد منّ الله علينا أن جعل استقلال البلاد على يدنا وإنا لنبتهل إلى المولى عزّ وجلّ بأخلص الشكر وأجمل الحمد على ذلك ونعلن على ملأ العالم أن مصر منذ اليوم دولة متمتعة بالسيادة والإستقلال، وتتخذ لنفسنا لقب صاحب الجلالة ملك مصر ليكون لبلادنا ما يتفق مع استقلالنا من مظاهر الشخصية الدولية وأسباب العزّة القومية، وها نحن نشهد الله ونشهد أمتنا في هذه الساعة العظمى أننا لن نألو جهدا في السعي بكل ما أوتينا من قوة وصدق وعزم لخير بلادنا المحبوبة والعمل على إسعاد شعبنا الكريم .

وإنا لندعو المولى القدير أن يجعل هذا اليوم فاتحة عصر سعيد يعيد لمصر ذكرى ماضيها المجيد " .

" فؤاد "

صدر في سراي عابدين في

١٦ رجب ١٣٤٠ - ١٥ مارس ١٩٢٢

[1] ينظر: https://www.elwatannews.com/news/details/4643903، تاريخ الإطلاع 2020/12/12، الساعة 17.30.

الملحق رقم (03): دستور مصر لسنة 1923م[1]

والطمأنينة على حاضرهاومستقبلها مع الاحتفاظ بروحها القومية والابقاء على صفاتها ومميزاتها التي هي تراثها التاريخي العظيم.

وبما أن تحقيق ذلك كان دائماً من أجل رغباتنا ومن أعظم ما نتجه اليه عزائمنا حرصاً على النهوض بشعبنا إلى المنزلة العليا التي يؤهله لها ذكاؤه واستعداده وتتفق مع عظمته التاريخية القديمة وتسمح له بتبوء المكان اللائق به بين شعوب العالم المتمدن وأممه.

أمرنا بما هو آت: -

الباب الأول

الدولة المصرية ونظام الحكم فيها

مادة ١ - مصر دولة ذات سيادة وهي حرة مستقلة ملكها لا يجزأ ولا ينزل عن شيء منه وحكومتها ملكية وراثية ونظامها نيابي.

الباب الثاني

في حقوق المصريين وواجباتهم

مادة ٢ - الجنسية المصرية يحددها القانون.

مادة ٣ - المصريون لدى القانون سواء. وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين. واليهم وحدهم يعهد بالوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية ولا يولى الأجانب هذه الوظائف إلا في أحوال استثنائية يعينها القانون.

مادة ٤ - الحرية الشخصية مكفولة.

مادة ٥ - لا يجوز القبض على أي إنسان ولا حبسه إلا وفق أحكام القانون.

مادة ٦ - لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون. ولا عقاب إلا على الافعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها.

مادة ٧ - لا يجوز إبعاد مصري عن الديار المصرية. ولا يجوز أن يحظر على مصري الاقامة في جهة ما ولا أن يلزم الاقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون.

مادة ٨ - للمنازل حرمة. فلا يجوز دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه.

مادة ٩ - للملكية حرمة. فلا ينزع عن أحد ملكه إلا بسبب المنفعة العامة في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه وبشرط تعويضه عنه تعويضاً عادلاً.

مادة ١٠ - عقوبة المصادرة العامة للاموال محظورة.

مادة ١١ - لا يجوز افشاء أسرار الخطابات والتلغرافات والمواصلات التليفونية إلا في الأحوال المبينة في القانون.

مادة ١٢ - حرية الاعتقاد مطلقة.

مادة ١٣ - تحمي الدولة حرية القيام بشعائر الاديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية على أن لا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الاداب.

مادة ١٤ - حرية الرأي مكفولة ولكل إنسان الاعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون.

مادة ١٥ - الصحافة حرة في حدود القانون. والرقابة على الصحف محظورة. وإنذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الاداري محظور كذلك إلا إذا كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعي.

مادة ١٦ - لا يسوغ تقييد حرية أحد في استعماله أية لغة أراد في المعاملات الخاصة أو التجارية أو في الأمور الدينية أو في الصحف والمطبوعات أيا كان نوعها أو في الاجتماعات العامة.

مادة ١٧ - التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام او ينافي الاداب.

مادة ١٨ - تنظيم أمور التعليم العام يكون بالقانون.

مادة ١٩ - التعليم الأولي إلزامي للمصريين من بنين وبنات. وهو مجاني في المكاتب العامة.

مادة ٢٠ - للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحاً. وليس لأحد من رجال البوليس أن يحضر اجتماعهم ولا حاجة بهم إلى إشعاره لكن هذا الحكم لا يجري على الاجتماعات العامة فإنها خاضعة لأحكام القانون. كما أنه لا يقيد أو يمنع أي تدبير يتخذ لوقاية النظام الاجتماعي.

مادة ٢١ - للمصريين حق تكوين الجمعيات. وكيفية استعمال هذا الحق يبينها القانون.

مادة ٢٢ - لافراد المصريين أن يخاطبوا السلطات العامة فيما يعرض لهم من الشؤون وذلك بكتابات موقع عليها باسمائهم. أما مخاطبة السلطات باسم المجاميع فلا تكون إلا للهيئات النظامية والاشخاص المعنوية.

الباب الثالث

السلطات

الفصل الأول

أحكام عامة

مادة ٢٣ - جميع السلطات مصدرها الأمة واستعمالها يكون على الوجه المبين بهذا الدستور.

مادة ٢٤ - السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلسي الشيوخ والنواب.

[1] يوسف قزما خوري، مرجع سابق، ص539.

الملحق رقم (04): جريدة الاتحاد العثماني.

الاتحاد العثماني

١٣٢٦

جريدة يومية مصورة

الملاحق:

الملحق رقم (05): جريدة جبل عامل.

جبل عامل

جبل عامل

الملحق رقم (06): جريدة السياسة الأسبوعية.

السياسة الأسبوعية

جريدة سياسية مستقلة

توليد الكهرباء من خزان اسوان

عرضه على خبراء طلبن وفي مناقصة عالمية

في المرآة

٧ـ الشيخ محمد مصطفى المراغي

ماذا يكون ايراد

بعد سنة واحدة من الآن

إيقاف تنفيذ المعاهدة

الى أن تسوى مسألة

الامتيازات الاجنبية

شذرات

الملحق رقم (07): جريدة الشورى.

الشورى

جريدة أسبوعية أدبية عربية

تصدر في القاهرة

الشورى

زعيم الأمة الفلسطينية

جريدة الشورى

فلسطين رأس الأقطار العربية

المدرسة الأزهرية كبيرة

الملحق رقم (08): جريدة الجزيرة.

الدخل الذي تأمن من خلال الغيوم

آن لو حدة السورية ان تحقق :

كلمتنا الى المجلس العالمي للسلام في باريس

سوريا وحرية نقل الصناعة في روسيا

اعتصار اعضاء تحت التعذيب

هل عرفت ما هو التبرع ؟

الدماء والحديد في روسيا

احتفالات الاتحاد السوفياتي بالعمال الشهداء

مقالات خطيرة لكاتب انجليزي يدافع

قضايا في مجلس العموم الانكليزي

العرب في حيفا والقدس . خطر الصراعين اليهود

وزير الخارجية يدافع عن العرب

في جهود الحرب السعيدة

العرب يغارون على الشام

منظر الدمار في حي القباقبة بالقدس بعد نسفه بالديناميت

قيد الاشتراك

قيد الاشتراك

جمعية الأطباء

مساعي العرب للافراج عن السجناء

الاسلام في بلاد الصين

بيع أسهم مالية

ع بنك

الملحق رقم (09): جريدة سورية الجديدة.

سورية الجديدة

مجلس المبعوثين

القضية المصرية وتقرير ملنر

أمير الأمراء

من كل واد عصا

خطاب سليم باشا الاطرش

أنباء بيروت

فرصة فوق العادة

اعلان

فرصة فوق العادة

الملحق رقم (10): جريدة ألف باء.

ألف باء

الخلاص عن طريق الانحلاص

علامة الجزائر الجديدة

الملاحق:

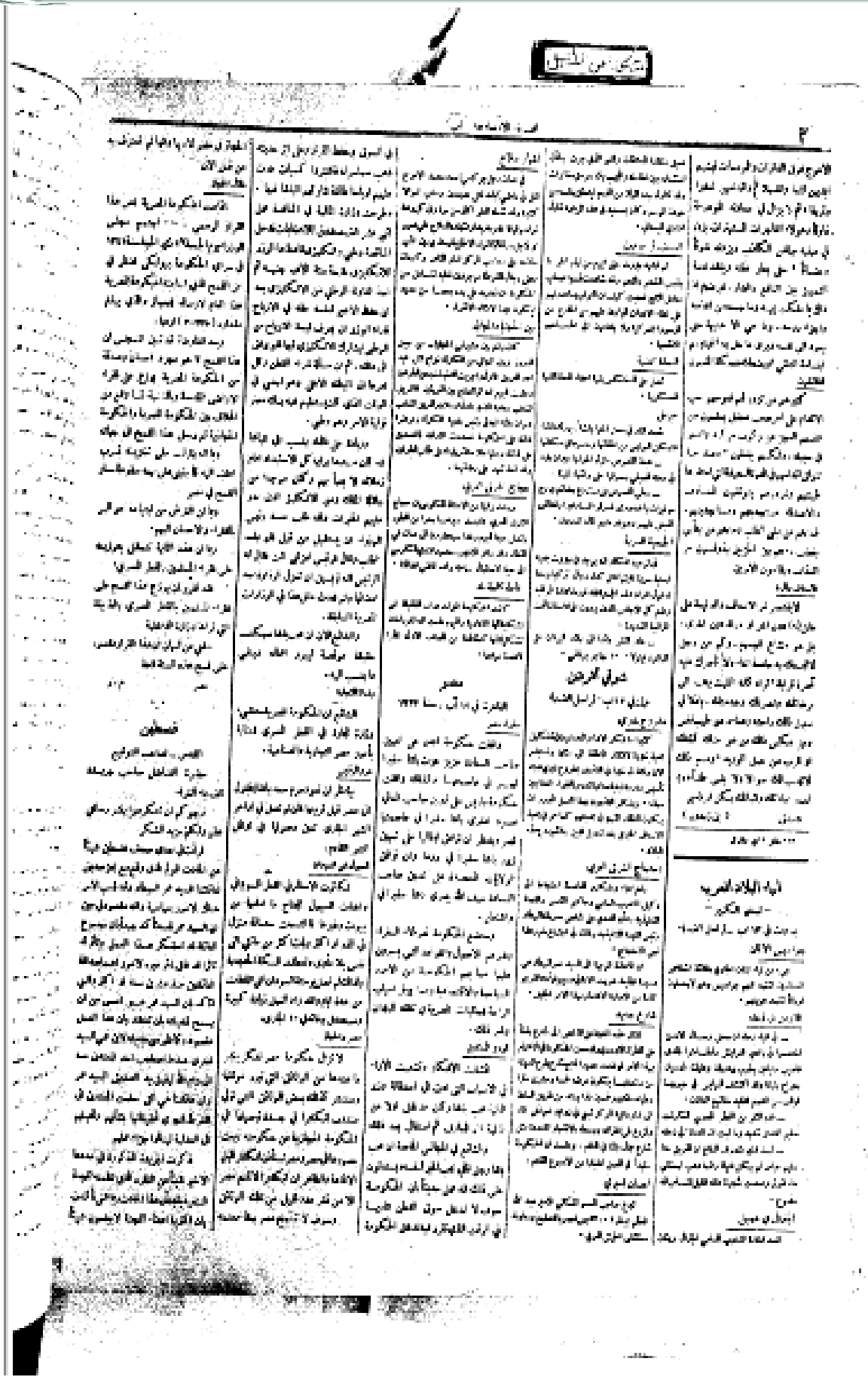

الملحق رقم (11): مجلة المقتطف.

٢٤١

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والستين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٦ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٥

تابوت توت عنخ آمون الذهبي

آية من آيات الصناعة المصرية القديمة

في الصورة المقابلة رسم لتابوت الملك توت عنخ آمون الذهبي الذي وجدت فيه مومياؤهُ وهو ثالث التوابيت الشبيهة بالانسان التي وجدت في ناووس حجري في [illegible] العالم فهو من ذهب مطرق وهاك نقدر قيمة ذهبه بخمسين الف جنيه او ستين الفاً . اما قيمتهُ الفنية فتفوق كل تقدير . طولهُ اكثر من ست اقدام وظاهرهُ مغطّى بالنقوش الدقيقة ومرصع بالفيروز واللازورد والعقيق . وداخلهُ منقوش ايضاً . وهو يمثل الملك على شكل الاله اوزيرس يعلو جبهتهُ تمثال لرأس الثعبان الناشر وآخر لرأس النسر رمزان لمصر العليا ومصر السفلى . وتتصل باللحية المشهورة في التماثيل المصرية . واليدان متقاطعتان فوق الصدر في احداهما المذراة وفي الاخرى المحجن وعلى الذراعين فوق البطن نقوش تمثل الالاهتين نخبت و بوتو وهما النسر والناشر فالنسر الى يمين الناظر الى الصورة والناشر الى يسارهِ . والقسم الاسفل من التابوت — وهو غير ظاهر في الرسم المقابل — عليهِ نقوش تمثل الالاهتين ايزيس ونفتس

وسنفصل في جزء تالٍ من المقتطف ما كان يعلقهُ القدماء من الشأن الكبير على جمع الذهب الكثير وعلى حفظهِ في مدافنهم ايضاً

الملحق رقم (12): المجلة الجديدة.

تحقيق القومية المصرية

كلمة القاها سلامه موسى فى جمعية
الشبان المسيحية فى اسيوط لمناسبة
مرور عشرة اعوام على تأسيسها

قوميتنا هى كيانا وشخصيتنا . وقد مضى علينا أكثر من ١٤٠ سنة ونحن فى سبيل التحقيق لهذه القومية . ولما نحققها

ولتحقيق هذه القومية أو هذه الشخصية المصرية جوانب مختلفة توهمنا الاختلاف والتباعد ولكنها ترمى كلها الى غاية واحدة هى تحقيق كيانا المصرى وتغذية شخصية الامة . فقد علمتم أو اشتركتم فى جهود مختلفة ولعل منكم يحسب ان جهده لاشأن له بما يقوم به غيره فى ميدان آخر . ولكن الحقيقة أننا نرمى جميعا الى غاية واحدة وان تشعبت الطرق واختلفت الوسائل

فقد نقرأ تاريخ مصطفى كامل أو نسمع عن جهود طلعت حرب او نترك هذين العظيمين ونتزل الى ميدان متواضع هو ميدان الأدباء فنقرأ قصة صغيرة لجهود تيمور فيخيل الينا لأول وهلة ان هؤلاء الثلاثة يختلفون فى الغاية ولا علاقة للواحد بالآخر

ولكن الحقيقة أنهم عملوا أو يعملون لتحقيق القومية المصرية . الاول يحاول أن يحقق لنا كيانا سياسيا . والثانى يحاول أن يحقق لنا كيانا اقتصاديا والثالث يحاول ان يحقق لنا كيانا أدبيا . وكل هذه المحاولات والجهود تجتمع فى غاية واحدة هى تحقيق القومية المصرية

فاننا وآباؤنا قد شعرنا أننا لن نكون أمة لها كرامة الأمم وكبريائها . الوطنية مادمنا نعيش عيالا على غيرنا فى السياسة او الاقتصاد أو الادب . وبديهى أن تثمر الحركة السياسية سائر حركاتنا وان تأخذ البداية من جهودنا ولكننا مع ذلك لانستطيع ان نتعامى عن الاقتصاد أو الادب . بل هذا الكيان السياسى نفسه الذى جهدنا له ونرجو تحقيقه لن يتحقق الا بأن نؤلف لانفسنا كيانا اقتصاديا وكيانا أدبيا

ولكى تزول الشكوك ، ولكى تنسجم الجهود ، بل لكى يعرف كل منا أنه فى جهده الخاص يخدم الغاية التى يخدمها غيره من المخلصين ، ثم لكى نربط حاضرنا بماضينا يجب ان نعرض هذه الحركات الثلاث لكى نستنتج منها هذه الحقيقة وهى أنها كلها تعمل لتحقيق القومية المصرية

الملحق رقم (13): مجلة الهلال.

الروح القومية

نشؤها وتطورها

يعلم الجميع ماكان لمبدأ « القوميات » (القاضي بأن تكون كل قومية ذات كيان سياسي مستقل) من الشأن في العصر الاخير ولا سيما بعد انتهاء الحرب الكبرى . فقد كان هذا المبدأ رائد السياسيين الذين عقدوا معاهدات الصلح وترتب عليه انحلال دول مختلفة القوميات وقيام دول أخرى كان أهلوها داخلين في حكم غيرهم . ولما كان هذا المبدأ من أهم العوامل في التاريخ الحديث وهو يزداد شأناً في كل يوم فقد رأينا أن نلقي هنا نظرة على تاريخ الروح القومية وكيف نشأت وتطورت حتى بلغت ما لها من الخطورة في هذا الزمن | المحرر |

ما هي القومية

لم تكن القومية مطابقة للدولة في العصور القديمة . فقد كانت الدولة أصغر من القومية كما كان الحال في المدن الاغريقية القديمة حيث كانت توجد عدة حكومات مختلفة في حين ان الاقوام المحكومة لم تكن مختلفة . وكانت الدولة في بعض الاحيان اكبر من القومية وهذا كان حال الامبراطورية المصرية او الرومانية القديمتين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الصعب تعريف القومية . فقد عرّفها الاستاذ هنري هوزر بقوله : « ان القومية هي ضمير الجماعة . وارادتهم لان يعيشوا معاً . . . وقد تكون الجنسية والدين واللغة من عوامل القومية وقد لا تكون كذلك »

ولكن ما هي علة وجود ضمير الجماعة هذا ؟ أليس هو نتيجة تقاليد قديمة مأثورة ؟

وربما كان أفضل التعاريف ما قاله الاستاذ زمرن : « القومية أكبر من ان تكون مذهباً او عقيدة او نظاماً في السلوك اذ هي في الحقيقة تعلق غريزي . فهي مبعث ذكريات ثمينة عن آباء وأصدقاء ذهبوا وعن عادات قديمة وعن الوطن وعن الشعور بقصر الحياة الانسانية باعتبارها حلقة تصل الاجيال البعيدة خلفاً وأماماً أي ماضياً ومستقبلا . . . وهي تنطوي على شعور واع بالترابط الحميم الخاص الذي له مع ذلك شيء من الكرامة الخاصة . . . وعلى معنى امتلاك قطعة

الخصومة

بين القديم والجديد في الادب

بقلم الدكتور طه حسين

الاستاذ بالجامعة المصرية

لقد أخذ النزاع يشتد بين أنصار المذهب القديم وأنصار المذهب الجديد في الادب . ففي الهلال الماضي نشرنا السيد مصطفى صادق الرافعي دفاعاً عن المذهب القديم بمناسبة ما كتبه عنه الاستاذ سلامة موسى في سلسلة «الصور الموجزة لادباء مصر» . وعلى اثر مطالعة مقال الرافعي في الهلال كتب الدكتور طه حسين مقالا نقيساً في «السياسة» ضمنه رأيه في هذا النزاع وقد رأينا أن ننشره هنا لنفاسته ـ قال الدكتور طه حسين بعد مقدمة وجيزة :

الحق ان ميدان هذه الخصومة أوسع من مجلة «الهلال» وان أبطال هذه الخصومة أكثر من الاستاذين سلامه موسى ومصطفى الرافعي . واذا كان لنا ألا نسرف في استقصاء التاريخ والا نذهب بالقارىء الى ما بعد به العهد فقد يكون لنا ان نذكر القارىء بان مصدر هذه الخصومة في هذه الايام الاخيرة انما هي صحيفة الادب في «السياسة» ، ففي الصيف الماضي اشتدت الخصومة بين الاستاذ الرافعي وطائفة من الكتاب المصريين حول رسالة له بعث بها الى «السياسة» تحت عنوان «اسلوب في العتب» وذهب فيها مذهب المتكلفين من بعض الكتاب القدماء فانكر عليه بعض الكتاب المصريين جمال هذا الاسلوب ، وكانت حول هذا الانكار خصومة طويلة انتهت الى الشتم والتنابذ . ثم لم تكد تنتهي السنة الماضية حتى نشرت «السياسة» لكاتب أديب من كتاب فلسطين هو الاستاذ خليل السكاكيني رسالة حول الاسلوب القديم والاسلوب الجديد وحول الايجاز والاطناب تناول فيها بالنقد كاتباً ادبياً من كتاب سورية هو الامير شكيب ارسلان ، فرد عليه الامير رداً طويلاً واشتدت المناقشة بين الكاتبين حتى انتهت الى شيء من العنف ليس بقليل . ثم عرض الاستاذ سلامه موسى للاستاذ الرافعي في مجلة «الهلال» فعده مع الامير شكيب ارسلان من زعماء المذهب القديم وأشار الى الكاتب الاديب خليل السكاكيني على انه من انصار المذهب الحديث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملحق رقم (14): جريدة المنار.

الاحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس وتبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولا وما زالت الجرائد الانكليزية تقول ان في مصر حزبا وطنيا سياسيا حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد هذا العهد إذ كان كل متحمس بتلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتقاعس عن مشاركة ذويها يزن بالميل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني . ويظن بعض المفكرين ان للانكليز غرضاً في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعاً اليه

ومن الناس من يقول أن تسمية أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزبا خطأ عربي أو لغوي لم يفهم منه أن في البلاد حزبا آخر وأحزابا أخرى يناظر ويعارض بعضها بعضاً ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وانما كان السواد الأعظم مغبوطاً بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المحتلين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيم أو ضار لما أفادهم النظر في العواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يعارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكاشف صديقه من الآخرين برأيه . والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ « حزب » لغة فان الحزب كما في المعاجم جماعة الناس والصنف والطائفة منهم وقال الراغب الحزب جماعة فيها غلظ : وفي لسان العرب « وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه » ثم قال « وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضاً »

فأنت ترى أن تسمية أولئك القوم حزبا وجها في اللغة وجيها ولكن للاحزاب في أوربا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المنشأ كامن في القلوب — أي الشعور بالحاجة الى مصلحة عامة — وفي الأعمال لهذه المصلحة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر الا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر وحزب الإصلاح الدستوري والحزب الوطني وسمعنا أيضا نغمة حزب آخر سمي الحزب الجمهوري . وقد سمي هذا العام بعام الاحزاب وقال الشيخ عبدالمحسن في قصيدة يذكر فيها مرضه وشيئاً من العبرة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاسقام ما برحت　　تنتاب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعماؤها واحد المتصدمة خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف ينتهي الألفاظ والأشخاص فقط . والصواب أن لكل حزب منها قطبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه الموثوق به عند المؤسسين المتعارفين المستعذبين لمشرب الحزب الا حزب الأمة فان رئيسه ليس هو المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإنما هو منتخب انتخابا حقيقيا لرياسة شركة الجريدة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطمع سائر الأحزاب في سقوط هذا الحزب لأن الشركة لم يعهد الأعمال المشتركة وانما قوام أموره بالأفراد ولأن أفراده ليسوا متفقين على مقاصده ولا متعاونين فيه بل منهم من يتربص به الدوائر و يساعد غيره عليه ولأنه ليس له سلطة يأوي اليها و يشد على مساعدتها وإمدادها والسلطة في هذه البلاد سلطتان سلطة الأمير الرسمية في الأحكام الحقيقية في نفوس الجمهور ميلا وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال وهذا الحزب يريد أن يكون وسطاً بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكليز كما أشيع ولا مع الامير فيما يحب الأمير ويرى في السياسة وان كان مخلصاً كثيره للخديوية نفسها . هذا هو مبدأ العاملين فيه الآن فهو لاستمداد الامن ذاته فاذا نجح كما نحب فذلك من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية واذا هو سقط فسقوطه برهان على أن الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي اليه والمدافع عنه بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معيته) وهو كاتب مجيد بالفرنسية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وانما يكتب عنه محمد وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كالبرو وغيره ولم

الملحق رقم (15): مجلة التنكيت والتبكيت.

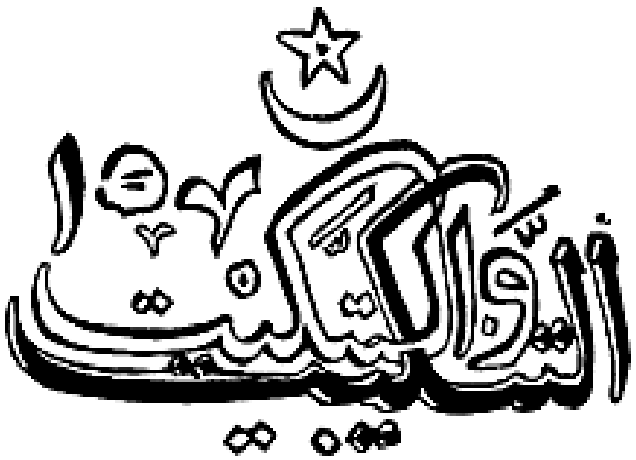

صحيفة وطنية اسبوعية

ادبية هزلية

العدد ١٨ السنة الاولى

٢٣ ذي القعدة سنة ٩٨ – يوم الاحد – ١٦ أكتوبر سنة ٨١

وصية وطنية

اني بني مصر

ما اصدق الاحلام عند اهل السرائر الطاهرة وما احسن التعبير من الخبير بها وقد كنا في نومة غنم الظلم فيها على قلوبنا وعلى اسماعنا والبس الاستبداد بصائرنا غشاوة لا نبصر معها حقيقة ولا نعرف حقًا وكانت ارواحنا في كهف الخوف تسرح في ظلمة لا نور فيها وتجول في مضيق لاباب له فكان يحدث عنا من يمر بنا حديثه عن الاموات ويقول لسائله هم العبد المتحركة بارادة مالكها تراهم ينطقون ولكن بلسان العبودية ويمشون ولكن في طريق الاستعباد ويخضعون ولكن لسيف الاذلال . تظلهم احرارًا وهم عبيد وتحسبهم ايقاظًا وهم رقود . يجمع اللئيف منهم بالاشارة ويتفرق الجيش بالاماء ان طلبوا حقًا ظلموا وان دافعوا عن مال ابعدوا وان اشتكوا حاكما سجنوا يكسبون الكثير من النقد وهم فقراء ويصنعون الثياب وهم عراة حفاة لا يملكون لانفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا حياة ولا نشورًا

ومن كان في سوق العبيد مقامه

تملكه بالبيع من يهب النقدا

وبينما هم تحت وطء الاستبداد نائمين على فراش الظلم ملتحفين الخسف دارت ارواحهم في الوجود فرأت شمس العدل مشرقة على كثير من الناس وبدور الحرية تضيء سماء وجودهم والكل متمتع بحقوقه حافظ لشرفه لا يعرف الذل ولا يرضى الاهانة ولا يخضع لظالم ولا يكن غريبًا من ارضه ولا يضيع شيئًا من واجباته وقد عمتهم النعم وشملهم العلم وحفت بهم المحاسن من سائر الاقطار ان اتصلوا خضعوا وان ظلموا ثاروا وان حوكموا عرفوا القوانين وان اجتمعوا تذاكروا في امورهم وان احتفلوا خطبوا بسياسة الامراء وحقوق البلاد وان كتبوا اعربوا عن ضمائرهم ومستكنات الصدور عرفهم الحق واجباتهم فحافظوا عليها ولقنهم العدل حقوقهم فتمتعوا بها وهدتهم الحرية للمدنية فاحسنوا نظامها وقادهم الاخاء الى التساوي فوقف كل عند حده وعامل اخاه بما يقتضيه مقامه فلا يهان شريف ولا يتهم عظيم ولا يحقر فقير ولا يغبن اجير ولا يذل خادم ولا يشتم تابع فقد حكمهم الاداب وهذبهم العدالة وتدربوا باطلاق حرية الافكار على الاعمال السياسية والاشغال التجارية والنظامات الادارية فاصبح الجميع في جنة قطوفها دانية لكل متناول

ومن سار في ارض الاخاء رأيته

يجد بنور العدل في طلب المجد

فلما عادت الارواح السارحة الى الاجسام الهامد نقلت عن بسارها تلاقًا واستعاذت بالله من هذه الرؤيا الغريبة وسألته تعالى ان يصرف عنها شرها ويحفظها من وقوعها فان اجسامها لم تعرف لوجودها قوة غير خدمة الارض وتسليم ريعها لسيدها يصرفها في شهواته ورضيت بالذل رضاء وطدته المظالم وآلفته من

الملحق رقم (16): المقتبس:

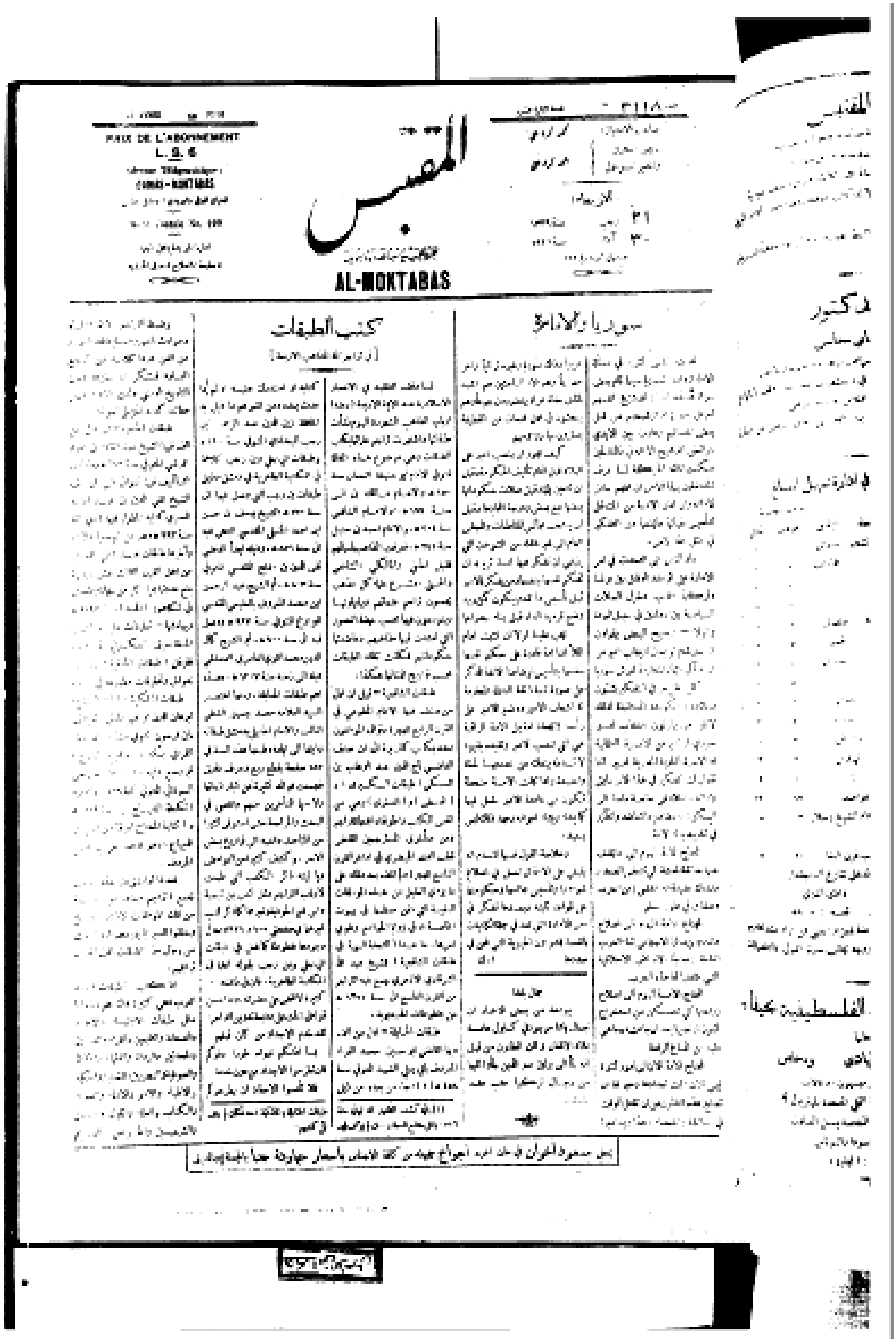

المقتبس

AL-MOKTABAS

PRIX DE L'ABONNEMENT

L. S. 6

(1908 - KOTTAB)

كتب الطبقات

سوريا والاتحاد

الملحق رقم (17): المقطم:

الملحق رقم (18): خريطة توضح مجرى وادي النيل[1]

[1] ينظر: https://ar.wikipedia.org/

البيبليوغرافيا

I. المصادر:

أولا: المذكرات الشخصية:

1. أحمد لطفي السيد، حياتي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013.
2. مُحَمَّد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1977.
3. مُحَمَّد عبده، مذكرات مُحَمَّد عبده، دار الهلال، مصر، د.ت.
4. مُحَمَّد عرابي باشا، مصر للمصريين، مذكرات أحمد عرابي، منشورات هنداوي، مصر، 2013.

ثانيا: الكتب باللغة العربية:

1. أحمد لطفي السيد: المنتخبات، دار النشر الحديث، مصر، 1937.
2. توفيق الحكيم، مصر بين عهدين، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988.
3. رشيد رضا، تاريخ الإمام الأستاذ مُحَمَّد عبده، مطبعة المنار، ط1، القاهرة، 1931.
4. رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.
5. ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية، م.د.و.ع، بيروت، 1990.
6. ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، م.دو.ع، بيروت، 1987.
7. سكاون بلنت، مستقبل الإسلام، تر: مُحَمَّد صبري، دار الجمهورية، مصر، 2010.
8. سلافة النديم، بقلم عبد الله النديم، ج1، المطبعة الجامعة، ط1، مصر، 1897.
9. سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسسة هنداوي، مصر، 2019.
10. طه حسين،مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، دت.
11. طه حسين، من الشاطئ الآخر، تر: عبد الرشيد الصادق محمودي، منشورات المركز القومي للترجمة، ط1، مصر، 2008.
12. عباس محمود العقاد، سعد زغلول سيرة وتحية، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936.

13. علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، مصر، 2000.

14. مُحَمَّد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، مصر، 2018.

15. مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2014.

16. يوسف توما البستاني، مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1926.

ثالثا: الكتب باللغة الأجنبية:

1. Cromer, Modern Egypt, the macmillan company, New York, 1908.

2. Azoury Nadjib, le réveil du nation arabe, Universel, paris, 1985.

رابعا: الجرائد والمجلات:

1. الاتحاد العثماني، ع315، السنة 02، بيروت، 30 سبتمبر 1909.

2. الأستاذ، ع29، مصر، 23 ماي 1893.

3. الأستاذ، ع42، السنة 01، مطبعة المحروسة، مصر، 13 جوان 1893.

4. ألف باء، ع889، سوريا، الأربعاء 15 أوت 1923.

5. التنكيت والتبكيت، ع18، السنة 01، مصر، 16 جانفي 1881.

6. جبل عامل، ع07، السنة 01، مطبعة العرفان، سوريا، 11مارس 1912.

7. الجريدة، 07 ماي 1907.

8. الجريدة، ع784، 05 أكتوبر 1909.

9. الجزيرة، ع363، السنة 03، سوريا، 30 سبتمبر 1935.

10. السياسة الأسبوعية، ع07، السنة 06، مصر، 27 فيفري 1937.

11. المجلة الجديدة، ع12، مصر، 01 ديسمبر 1929.

12. المجلة الجديدة، ع02، مصر، 01 فيفري 1930.

13. المجلة الجديدة، ع46، مصر، أفريل 1931.

14. المقتبس، ع3118، السنة 12، الأربعاء 30 مارس 1921، مطبعة الإصلاح، دمشق.

15. المقتطف، عدد خاص، 31 ديسمبر 1926م، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1926.

16. المقطم، ع04، مصر، 29 أفريل 1907.

17. المنار، مج 10، ج1، 14 مارس 1907.

18. الهلال، القاهرة، السنة 16، مارس 1908.

19. الهلال، ع02، مطبعة الهلال، مصر، 01 نوفمبر 1924.

20. الهلال، ع10، مصر، 01 جويلية 1926.

21. الهلال، ع03، مصر، 01 جانفي 1928.

22. الهلال، ع10، 01 أوت 1932.

II. المراجع:

أولا: الكتب باللغة العربية:

1. أ.جرشوني وج.جانكوفسكي، هوية مصر بين العرب والإسلام (1900-1930م)، تر : بدر الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2013.

2. إبراهيم أحمد شلبي، التنظيم الدولي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998.

3. إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب للنشر المطبعة النموذجية للطباعة، ط 2، العراق، 1984.

4. إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية (1828-1942م)، مطبعة التوكل، ط2، القاهرة، 1983.

5. إبراهيم مُحَمَّد الجميعي، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر الحديث، مطبعة الجبلاوي، مصر، 1996.

6. أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية (دراسة استطلاعية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2011.

7. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

8. أحمد بهاء الدّين، أيام لها تاريخ، دار الشروق، ط3، مصر، 1991.

9. أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

10. أحمد رشاد، مصطفى كامل حياته وكفاحه، مطبعة السعادة للطباعة والنشر، القاهرة، 1958.

11. أحمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، 1996.

12. أحمد طربين، التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا، م.د.و.ع، ط2، لبنان، 2003.

13. أحمد عبد الرحيم مصطفى، الثورة العُرابية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961.

14. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية من 1876م إلى 1882م، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

15. أحمد منصور، لؤي محمود، الأقباط في المجتمع المصري قبل وبعد الفتح الإسلامي، دراسات آثرية- تاريخية تطبيقية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2015.

16. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939م)، تر: كريم عزقول، دار نوفل، بيروت، 1983.

17. ألكسي فاسيليف، مصر والمصريون، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، لبنان، 1994.

18. إلياس الأيوبي، مُحَمَّد علي، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، ط1، القاهرة، 2014.

19. أمين عز الدّين، تاريخ الطبقة العاملة المصرية في الثلاثينات (1929-1939م)، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، مصر، 1972.

20. أمين مصطفى عبد الله، تاريخ مصر الإقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة ، 1951.

21. أنو الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.

22. أنور الجندي، أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، لطفي السيد وطه حسين، دار الأنصار، القاهرة، 1979.

23. أنور الجندي، الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، مصر، 1962.

24. أنور الجندي، الصحوة الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.

25. أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين (1920-1940م)، دار الاعتصام، 1988.

26. أنور الجندي، طه حسين، حياته وفكره في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، ط 2، القاهرة، 1977.

27. أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، مصر، د.ت.

28. أنور الجندي، معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت.

29. أنيس صايغ، الفكرة العربية في مصر، مطبعة هيكل الغريب، ط1، مصر، 1959.

30. إيمان مُحَمَّد عبد المنعم، العُربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1997.

31. جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي المعاصر (1930-1970م)، عالم المعرفة، منشورات وزارة الثقافة والفنون،الكويت، دت.

32. جاكوب لاندو، الحياة النيابية والاحزاب في مصر 1866م إلى 1952م، تر وتع : سامي الليثي، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.

33. جلال يحي، المجمل في تاريخ مصر الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1980.

34. جمال بدوي، نظرات في تاريخ مصر، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1994.

35. جمال حمدان، شخصيات مصر المعاصرة (دراسة في عبقرية المكان)، ج 2، دار الهلال، مصر، د.ت.

36. جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ج1، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

37. جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ت ر: ناصر الدّين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، ط2، لبنان، 1987.

38. جولي سي هيريك وآخرون، الشرق الأوسط المتغير، تر: مُحَمَّد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011.

39. جيلبرت سينويه، المصرية، تر: مُحَمَّد بنعبود، منشورات الجمل، د.م، 2004.

40. حسين فوزي النجار، أحمد لطفي السيد سلسلة الأعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة، القاهرة، 1975.

41. حسين مؤنس: مصر ورسالتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، مصر، 1989.

42. حسين مؤنس، دراسات في ثورة 1919م، سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1976.

43. داوود بركات، السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013.

44. ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية في مصر (1805–1936م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

45. رفعت السعيد، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر (1900–1925م)، دار الفارابي، ط 1، بيروت، 1972.

46. رؤوف عباس حامد، تاريخ جامعة القاهرة، مطبوعات الجامعة، القاهرة، 2000.

47. رؤوف عباس، كتابة تاريخ مصر إلى أين؟، أزمة المنهج ورؤى نقدية، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2009.

48. سامي أبو النور، دور القصر في الحياة السياسية في مصر، مكتبة مدبولي، ط 2، القاهرة، 1996.

49. سامي جلال، مصر في كتابات الرحالة الأتراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2014.

50. سامي خشبة، تحديث مصر، قراءة نقدية ومستقبلية، مطبعة فتى النيل، ط1، مصر، 2002.

51. سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.

52. سامية مُحَّد عبد الرحمن الشرقاوي، الجمعيات السياسية والاجتماعية والدينية ودورها في المجتمع المصري (1882-1936م)، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010.

53. سعد ثامر الحميدي، الصراع بين القوميتين العربية والتركية وأثره في انهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، المطبعة العربية الأولى، الدوحة، 2011.

54. سعيد اسماعيل علي ، الفكر التربوي العربي الحديث، منشورات سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ماي 1987.

55. سعيد اسماعيل علي، دور الأزهر في السياسة المصرية، دار الهلال، مصر، 1986.

56. سليمان ناجي، اليهود عبر التاريخ، ط 1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.

57. سمير عمر إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992.

58. سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1979.

59. سهير إسكندر، جريدة المصري والقضايا الوطنية (1936-1946م)، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1986.

60. سيار الجميل، العثمنة الجديدة القطيعة في التاريخ الموازي بين العرب والأتراك، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2015.

61. شحاتة عيسى إبراهيم، عظماء الوطنية في مصر العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة، مصر، 1977.

62. شهدي عطية الشافعي، تطور الحركة الوطنية المصرية (1882–1956م)، الدار المصرية، ط1، القاهرة، 1957.

63. صلاح عبد الصبور، قصة الضمير المصري الحديث، مطابع اقرأ للطباعة والنشر، لبنان، د.ت.

64. طارق البشري، بين الجامعة الدّينية والوطنية في الفكر السياسي، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 1998.

65. طارق البشري، سعد زغلول يفاوض الاستعمار دراسة في المفاوضات المصرية البريطانية (1920–1942م)، دار الشروق، مصر، دت.

66. طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، مركز الجزيرة للدراسات، ط1، قطر، 2008.

67. عاصم محروس عبد المطلب، الطلبة والحركة الوطنية في مصر (1922–1952م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ت.

68. عبد الرحمان الرافعي، الزعيم الثائر أحمد عرابي، دار مطابع الشعب، ط3، القاهرة، 1968.

69. عبدالرحمان الشهبندر، الدولة والخلافة في الخطاب العربي أبان الثورة الكمالية في تركيا، دراسة ونصوص، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1996.

70. عبد الرحمان حسن، أجنحة المكر الثلاثة التبشير،الاستشراق، الاستعمار، دار القلم، بيروت، 1975.

71. عبد الرحمن الرافعي، الثورة العُرابية والاحتلال الانجليزي، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1984.

72. عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة 1919م تاريخ مصر القومي من سنة 1914م إلى سنة 1921م، ج1، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1946.

73. عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الوطنية الجديدة، دار المعارف، القاهرة، 1950.

74. عبد العزيز رفاعي، ثورة مصر سنة 1919م، دراسة تاريخية تحليلية (1914–1923م)، دار الكاتب العربي، ط1، بيروت، دت.

75. عبد العزيز مُحَمَّد الشيناوي وجلال يحي، وثائق ونصوص التاريخ التاريخ الحديث المعاصر، دار المعارف، مصر، 1969.

76. عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر (1918–1936م)، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر، 1998.

77. عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مصر (1832–1952م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1978.

78. عبد العليم القباني، نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية (1873–1882م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب والطباعة، الإسكندرية، 1973.

79. عبد الكريم محمود غرابيه، تأريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1984.

80. عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مطبعة المعارف، بغداد، 1967.

81. عبد المنعم إبراهيم الدسوقي، اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1994.

82. عثمان أمين، رائد الفكر المصري الأمام مُحَمَّد عبده، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية للطبع، القاهرة، 1996.

83. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1914م)، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1987.

84. علي بركات، تطور الملكية الزراعية في مصر (1813–1914م)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1975.

85. علي فهمي خشيم، بحثا عن فرعون العربي وأبحاث أخرى، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001.

86. علي مُحَمَّد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الأمل للتجهيزات الفنية، ط1، ليبيا، 2001.

87. عمرو عبد العزيز منير، مصر والنيل بين التاريخ والفولكور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2009.

88. عواطف عبد الرحمان، مصر وفلسطين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1979.

89. غوستاف لوبون، سر تطور الأمم، تر: أحمد فتحي زغلول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

90. فاروق أبو زيدون، أزمة الفكر العربي القومي في الصحافة المصرية، دار الفكر والقلم، القاهرة، 1976.

91. فدوى أحمد محمود نصيرات، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840-1918م)، م.د.و.ع، ط1، بيروت، 2009.

92. فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البستاني ، دار الفارابي، ط 8، بيروت، 1958.

93. قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدّين الأفغاني مُحَّد عبده سعد زغلول، در الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

94. كمال إسحاق فريد، محنة الهوية المصرية، رياض للطباعة، القاهرة، 2001.

95. لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة 1919م، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983.

96. ماسيمو كامبانيني، تاريخ مصر الحديث من النهضة في القرن التاسع عشر إلى مبارك، تر: عماد البغدادي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2006.

97. مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر العربي، دمشق، 2009.

98. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر العربي، دمشق، 2009.

99. مجدي فارح، نقد أسطورة التنوير الكولنيالي بمصر في البدء كانت الممانعة، دار الأطلسية للنشر، ط1، تونس، 2014.

100. مُحَمَّد أحمد خلف الله وآخرون، القومية العربية والإسلام، م.د.و.ع، ط3، لبنان، 1988.

101. مُحَمَّد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة الإسلامية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما (1875-1925م)، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1985.

102. مُحَمَّد العزب موسى، وحدة تاريخ مصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.

103. مُحَمَّد أنيس، تطور المجتمع المصري من الإقطاع إلى ثورة 23 يوليو، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985.

104. مُحَمَّد رجب البيومي، الأزهر بين السياسة وحرية الفكر، دار الهلال، مصر، 1983.

105. مُحَمَّد صبري، تاريخ مصر الحديث من مُحَمَّد علي إلى اليوم، مطبعة دار الكتب االمصرية، القاهرة، 1999.

106. مُحَمَّد صبري، نشأة الروح القومية المصرية (1863-1882م)، تر: ناجي رمضان عطية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2006.

107. مُحَمَّد عابد الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، نوفمبر 1980.

108. مُحَمَّد عابد الجابري، العصبية والدولة، م.د.و.ع، بيروت، 2001.

109. مُحَمَّد عبد الرحمن حسين، نضال شعب مصر (1798–1956م)، منشأة المعارف للطباعة، الإسكندرية، 1970.

110. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح، الأزهر في ألف عام، دار النهضة، ط 3، القاهرة، 2012.

111. مُحَمَّد عصام المرشدي، الثورة العرابية وأثرها في تطور الشعب ونهضته، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1958.

112. مُحَمَّد علي الغتيت، الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ، ثورات العرب في سنة 1919م ثورة مصر، ج2، الدار القومية، القاهرة، د.ت.

113. مُحَمَّد عمارة، الأعمال الكاملة للشيخ مُحَمَّد عبده، دار الشروق، ط1، مصر، 1993.

114. مُحَمَّد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل، دار الشروق، ط 1، مصر، 1994.

115. مُحَمَّد متولي، سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية في العصر الحديث- 3-أحمد عرابي، وزارة الإعلام، مصر، 2008.

116. مُحَمَّد متولي، مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة 1952م دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة، القاهرة، 1980.

117. مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،ج 1 و2، مؤسسة الرسالة، ط7، بيروت، 1984.

118. محمود أبو الفتح، المسألة المصرية والوفد، مكتبة العرب، مصر، 1921.

119. محمود زايد، من أحمد عرابي إلى جمال عبد الناصر الحركة الوطنية المصرية الحديثة، الدار المتحدة، ط1، بيروت، 1973.

120. محمود محمود سليمان، الأجانب في مصر (1922-1952م)، دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996.

121. مروان بحيري وآخرون، الحياة الفكرية في المشرق العربي (1890-1939م)، تر : عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1983.

122. مسعود ضاهر، الدولة والمجتمع في المشرق العربي (1840-1990م)، دار الآداب، لبنان، 1991.

123. مصطفى الفقي، الأقباط في السياسة المصرية مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، دار الشرق، ط2، بيروت، 1988.

124. معتز زاهر، ما أخفاه العلمانيون من تاريخ مصر الحديث، دار القمري، مصر، 2014.

125. مفيدة مُحَمَّد إبراهيم، عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.

126. منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار إقرأ، د.ط، لبنان، 1986.

127. نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1986.

128. يوسف قزما خوري، الدساتير في العالم العربي، نصوص وتعديلات (1939–1987م)، دار الحمراء، مصر، 1989.

129. يوسف نحاس، ذكريات سعد عبد العزيز ماهر ورفاقه في ثورة 1919م، تصرفات حكومية، دار النيل للطباعة، مصر، 1952.

130. يونان لبيب رزق، الأحزاب السياسية في مصر (1907–1984م)، دار الهلال للطباعة، مصر، 1984.

131. يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية عبر مائة عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2006.

132. يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية قبل ثورة 1952م، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، مصر، 1977.

ثانيا: الكتب باللغة الأجنبية:

1. Arthur Cold schmidt, The Egyptian National party (1892 – 1919), London, 1964.
2. Bernad lewis, the middle east and the west, bloomington, london, 1964.
3. Jhon Marlow, Cromer in Egypt, Elek Books, London, 1970.
4. Reginald Wingate, Wingate of the Sudan: The Life and Times of General Sir Reginald Wingate, Maker of the Anglo-Egyptian Sudan, Murray, London, 1955.

ثالثا: القواميس والمعاجم:

1. أحمد عمر مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004.

3. خير الدين الزركلي، موسوعة الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

4. عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، دار صادر، بيروت، د.ت.

رابعا: المجلات:

- **باللغة العربية:**

1. بيومي قنديل، بين القومية المصرية والوطنية المصرية، أدب ونقد، ع 244، مصر، 01 ديسمبر 2005.

2. حسين فوزي النجار، ملحمة التاريخ المصري، المجلة، ع14، مصر، 01 فيفري 1958.

3. رفعت السعيد، عمائم ليبرالية في ساحة العقل والحرية، دار أخبار اليوم، ع 254، القاهرة، 2002.

4. سلامة موسى، "ذكريات الحرب الكبرى الأولى"، الكاتب، مج5، ع18، القاهرة، 1947.

5. صلاح عيسى، البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة، أفاق عربية، ج 04، ع06، السنة 04، بغداد، 1979.

6. عبد الرؤوف سنو: السلطان عبد الحميد الثاني والعرب، الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية، مجلة حوار العرب، ع04، بيروت، 2005.

7. عبد العظيم رمضان، "موقع الجيش المصري في ثورة 1919م"، السياسة الدولية، مج 9، ع31، القاهرة، 1973.

8. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، حركة الترجمة وتحديث اللغة والثقافة العربية في مصر خلال القرن التاسع عشر دراسة تاريخية ثقافية، مجلة دراسات العالم الاسلامي، د.م، فيفري 2012.

9. عصام ضياء الدّين، "الحزب الوطني في مصر وعلاقته بتركيا الفتاة"، آفاق عربية، ع 01، السنة 02، بغداد، 1976.

10. غالي شكري، طه حسين والوطنية المصرية، مجلة أدب ونقد، ع52، مصر، 01 نوفمبر 1989.

11. فاروق عبد القادر، أحمد لطفي السيد داعية في السياسة والمجتمع، آفاق عربية، ع 12، السنة 02، بغداد، 1977.

12. مُحَمَّد أنيس، "دور الفلاحين في ثورة 1919م"، آفاق عربية، ع7، السنة 02، بغداد، 1977.

13. مُحَمَّد أنيس، شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصري الحديث، المجلة، ع 58، مصر، 01 نوفمبر 1961.

14. مُحَمَّد زكي عبد القادر، محنة الدستور (1923–1952م)، سلسلة كتاب روز اليوسف، ع6، القاهرة، 1955.

15. مُحَمَّد صالح حنيور الزيادي، حنان جاسم حمزة الخفاجي، أحمد لطفي السيد حياته ودوره الفكري في مصر (1872-1963م)، القادسية، مج 15، ع04، بغداد، 2015.

16. مُحَمَّد عبد الشفيع عيسى، هوية مصر في دساتيرها الحديثة، مجلة آراء ومناقشات، مصر، دت.

17. مُحَمَّد عبد الله عثمان، الصحافة في عصر إسماعيل، مجلة الكاتب العربي، مج 5، ع184، القاهرة، مارس 1974.

18. محمود العمري، مصطفى كامل والسيادة العثمانية، الرسالة، ع296، 06 مارس 1939.

19. مؤتمر الحزب الوطني، محاضر جلسات الحزب الوطني المصري عام 1910م، الطليعة، القاهرة، ع04، 1969.

20. نورالدّين حاروش، محددات القومية في فكر ساطع الحصري وانعكاساتها على المواطنة، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مج10، ع03، جامعة حمة لخضر الوداي، ديسمبر 2019.

21. يوحنان لبيب رزق، "أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابا 1906م"، الجمعية التاريخية المصرية، مج13، القاهرة، 1967.

- **باللغة الأجنبية:**

1. Kelly, R. Gordon, **Literature and the Historian**, American Quarterly, Vol 26, No.2 ,1974.

خامسا: الرسائل الجامعية:

- **رسائل الدكتوراه:**

1. عايدة حباطي، "التيارات الفكرية في المشرق وصداها لدى النخبة العربية في الجزائر (1900-1939م)"، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة. 2018-2019.

2. مُحَمَّد نور الدّين، "إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر "، أطروحة دكتوراه علوم (غير منشورة)، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2005-2006.

3. سامي صالح مُحَمَّد الصياد، "الصراع البريطاني -الفرنسي على مشروع قناة السويس (1854-1869م)"، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، جوان 2006.

- **رسائل الماجستير:**

1. عدنان حسين رشيد الشيخلي، "الفكر القومي العربي في مصر (1882-1922م)"، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، بغداد، 1980.

2. إيمان عبد العظيم أحمد سيد، "الفرعونية في فكر الشيخ أنت جوب: دراسة في الهوية الافريقية لمصر"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، 2016.

3. يسري توفيق مُحَمَّد خالد السيفي، "أزمة الحداثة في المجتمع العربي والدولة في فكر برهان غليون "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2011.

4. فؤاد المرسي خاطر، "موقف مؤتمر فرساي عام 1919م من بلاد المشرق العربي "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث، القاهرة، 1970.

سادسا المواقع الإلكتروني:

1. https://www.marefa.org/
2. http://moqatil.com
3. www.winipedia.org
4. http://www.maktabatalfeker.com/
5. https://arabthought.org/

فهرس الأعلام والأماكن

أولا: الأعلام:

- **إبراهيم المازني**: 61.
- **إبراهيم المويلحي**: 24.
- **ابن خلدون**: 72.
- **أحمد أمين**: 61، 153.
- **أحمد شوقي**: 53، 66.
- **أحمد طربين**: 53.
- **أحمد عُرابي باشا**: ز، 12، 13، 14، 17، 43، 44، 75، 76، 94، 123.
- **أحمد لطفي السيد**: هـ، ح، ط، 28، 44، 57، 59، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 93، 96، 101، 102، 118، 121، 122، 123، 130، 131، 132، 133، 138، 139، 140، 150، 154، 158، 164، 167، 177.
- **أخنوخ فانوس**: 97، 100.
- **آدم سميث**: 88.
- **أدولف تين**: 69.
- **أديب إسحاق**: 24، 76، 78، 79، 177.
- **إسماعيل مظهر**: 61، 135.
- **ألبرت حوراني**: هـ، 73، 74، 77، 150، 165.
- **ألنبي**: 110.
- **الأمير عبد الكريم**: 147.
- **بلنت**: 128، 129.
- **تادرس شنودة**: 62.
- **توفيق الحكيم**: 61، 138، 141، 152، 153، 160.

- **جمال الدين الأفغاني**: 13، 24، 25، 43، 51، 52، 55، 121، 157.
- **جمال عبد الناصر**: 56.
- **جون ستيوارت ميل**: 88.
- **حافظ إبراهيم**: 66.
- **حسين بن علي**: 53، 82، 108.
- **الخديوي إسماعيل**: 23، 43، 59، 65، 73، 163، 142.
- **الخديوي توفيق**: 17.
- **الخديوي عباس**: 16، 27، 97، 112، 124.
- **ديليسيبس**: 59.
- **رشيد رضا**: ز، 19، 52، 53، 54.
- **رفاعة الطهطاوي**: هـ، ح، 19، 52، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 86، 91، 151، 158، 160، 161، 175، 177.
- **رياض باشا**: 13.
- **ساطع الحصري**: 167، 173.
- **سعد زغلول**: 18، 39، 76، 107، 109، 111، 112، 127، 135، 136، 158.
- **سعيد إسماعيل**: 42، 47.
- **سعيد باشا**: 59.
- **سلامة موسى**: ز، ح، 62، 84، 97، 98، 104، 106، 116، 140، 153، 154، 160، 161، 170.
- **سليم حمودي**: 26.
- **سيلفستر دي ساسي**: 74.
- **طارق البشيري**: ط، 16، 17، 54، 55.

- **طه حسين**: ح، 59، 60، 61، 134، 138، 151، 152، 153، 162، 167، 168، 169، 170، 171، 179.
- **عباس العقاد**: 42، 61.
- **عباس حلمي**: 26، 96، 111، 123.
- **عبد الحميد الثاني**: 27، 48، 51، 130، 144.
- **عبد العزيز فهمي**: 135.
- **عبد الله أبو السعود**: 23.
- **عبد الله النديم**: و، 26، 76، 77، 78، 165، 177.
- **عبد الله عثمان**: 61.
- **علي عبد الرازق**: 52، 105، 133، 134، 135، 136، 179.
- **علي مبارك**: 20، 155.
- **علي يوسف**: 26، 158.
- **عواطف عبد الرحمان**: هـ، 55، 57، 59، 60، 65، 141، 142.
- **غورست**: 17، 125.
- **كرومر**: ح، 15، 17، 54، 79، 80، 120، 124، 125، 156، 164.
- **كمال أتاتورك**: 134.
- **اللورد كتشينر**: 17، 56.
- **محب الدين الخطيب**: 54.
- **مُحَمَّد الخضر حسين**: 54.
- **مُحَمَّد حسين هيكل**: ز، 61، 101، 105، 146، 148، 160.
- **مُحَمَّد عبده**: ز، ح، 14، 25، 43، 51، 52، 79، 80، 81، 83، 84، 94، 95، 120، 121، 122، 128، 129، 130، 136، 155، 156، 157، 164، 177.

- **مُحَمَّد علي باشا**: 19، 22، 31، 47، 50، 71، 94، 172.
- **مُحَمَّد علي شراب**: 54.
- **مُحَمَّد فريد**: 28، 96، 97.
- **محمود عزمي**: 61، 105.
- **مصطفى الفقي**: 157.
- **مصطفى الوكيل**: 148.
- **مصطفى فهمي**: 16، 134.
- **مصطفى كامل**: ط، 18، 27، 28، 44، 51، 57، 89، 90، 91، 92، 93، 96، 97، 124، 125، 126، 133، 138، 158، 159، 165.
- **الملك فؤاد**: 53.
- **منظور فهمي**: 61.
- **مونتيسيكو**: 72، 73.
- **نابليون بونابرت**: 46، 153، 156.
- **يعقوب القبطي**: 63.
- **يعقوب صنوع**: 24.

ثانيا: الأماكن:

- **اسطنبول**: 124.
- **آسيا**: 57، 62، 83.
- **إفريقيا**: 57، 58، 65، 108.
- **أفغانستان**: 25.
- **إنجلترا**: 116، 121، 123، 124، 127.

- **أوروبا**: ح، 15، 18، 19، 20، 34، 37، 41، 43، 46، 47، 48، 50، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 71، 72، 79، 89، 91، 108، 137، 142، 153، 169، 172، 177.
- **إيران**: 25.
- **إيطاليا**: 139، 140.
- **باريس**: 25، 79، 108، 124، 137، 144.
- **البحر الأبيض المتوسط**: أ، ح، 58، 60، 176.
- **بريطانيا**: 14، 16، 17، 47، 54، 70، 92، 95، 99، 102، 104، 108، 112، 115، 116، 122، 123، 125، 128، 131، 145.
- **تركيا**: 123، 126، 129، 134، 140، 150، 154.
- **الحجاز**: 52، 141.
- **الدلتا**: 61.
- **روسيا**: 16، 56، 104، 108.
- **السودان**: 25، 65، 90، 99، 102، 103.
- **سوريا**: 108، 147.
- **الشام**: ي، 20، 25، 47، 52، 54، 141، 163.
- **طرابلس**: 139.
- **العراق**: 25، 108.
- **فرنسا**: 16، 19، 25، 40، 47، 54، 57، 58، 59، 61، 92، 104، 124، 125، 126، 165، 169.
- **فلسطين**: هـ، 35، 55، 112، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 178.
- **القاهرة**: 25، 26، 30، 54، 55، 63، 79، 104، 109، 110، 141، 145، 148، 167.

- **قناة السويس**: 13، 14، 59، 61.
- **لندن**: 44، 121، 131، 143، 147، 148.
- **مصر**: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، 12، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 175، 176، 177.
- **مونترو**: 60.
- **الهند**: 25.
- **وادي النيل**: أ، 23، 39، 40، 41، 56، 64، 69، 75، 83، 90، 99، 107، 138، 159، 160، 162، 176.
- **اليونان**: 20، 34، 48، 140.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ–ي

الفصل الأول

الأوضاع العامة والتيارات الفكرية القومية بمصر(1882-1939م)

تمهيد: 12

المبحث الأول: الأوضاع العامة في مصر (1882–1939م): 12

1. الأوضاع السياسية 12

أ. الثورة العُرابية 1881م 12

ب. الاحتلال الإنجليزي 1882م: 15

ج. الحركة الوطنية 17

2. الأوضاع الثقافية 18

أ. التعليم 20

ب. الصحافة 22

3. الأوضاع الاجتماعية: 29

أ. العرب: 29

ب. الأقباط (مسيحيو مصر): 30

ج. الأتراك: 31

د. الأوربيون: 32

هـ. اليهود: 34

المبحث الثاني: مفهوم القُطرية نشأتها وعوامل ظهورها 37

1. مفهوم القُطرية وخصائصها: 37

أ. لغة 37

ب. اصطلاحا 37

ج. الخصائص: 40

2. نشأتها وعوامل ظهورها 43

أ. نشأتها 43

ب. عوامل ظهورها: 44

ب.1. العوامل الداخلية: 44

ب.2. العوامل الخارجية: 46

المبحث الثالث: تيارات الفكر القومي في مصر وتجلياتها مطلع القرن العشرين 51

1. التيار القومي الإسلامي 51

أ. الجامعة الإسلامية في مصر 51

ب. الجمعية الإسلامية 53

ج. الأزهر الشريف 53

2. التيار العروبي 55

3. التيار القُطري 56

أ. التوجه المتوسطي 58

ب. التوجه الفرعوني 62

خلاصة الفصل 67

الفصل الثاني:

تيار القُطرية المصرية لدى النخبة والأحزاب ومن خلال ثورة 1919م

تمهيد: 69

المبحث الأول: تيار القُطرية المصرية في تصورات النخبة 72

1. رفاعة الطهطاوي (1801–1873م): 72

2. ملامح القُطرية من خلال تجربة الثورة العُرابية (1881م): 76

أ. عبد الله النديم (1844–1896م): 77

ب. أديب إسحاق (1856–1885م): 78

3. مُحَمَّد عبده ومسألة الأمة المصرية: 79

4. أحمد لطفي السيد (1872–1963م): 83

5. مصطفى كامل (1874–1908م): 89

المبحث الثاني: تيار القُطرية المصرية لدى الأحزاب السياسية 93

1. حزب الأمة 1907م 95

2. الحزب المصري 1908م 96

3. حزب الأحرار الدستوريين 1922م 101

4. الحزب الاشتراكي المصري 1922م 104

المبحث الثالث: تيار القُطرية المصرية من خلال ثورة 1919م 107

1. ثورة 1919م وتمجيد القُطرية المصرية 107

أ. عوامل داخلية 107

ب. عوامل خارجية 107

ج. سيرورة الثورة 109

2. الفكر القُطري عَقِبَ ثورة 1919م 111

3. تيار القُطرية المصرية في الجانب الاقتصادي بعد ثورة 1919م 113

خلاصة الفصل 118

الفصل الثالث:

موقف تيار القُطرية المصرية من قضايا عصره

تمهيد: 120

المبحث الأول: موقف تيار القُطرية المصرية من القضايا التاريخية والفكرية 120

1. موقفه من الاحتلال البريطاني بمصر (1882–1936م) 120

أ. مُحَمَّد عبده 120

ب. أحمد لطفي السيد 122

ج. مصطفى كامل 124

د. سعد زغلول 127

2. موقفه من الخلافة العثمانية 128

أ. مُحَمَّد عبده 128

ب. أحمد لطفي السيد 130

ج. مصطفى كامل 133

3. الشيخ علي عبد الرازق (1888–1966م) ومسألة إلغاء الخلافة 133

4. موقف تيار القُطرية المصرية من القومية العربية 137

أ. دعم القطيعة للانتماء العربي 137

ب. مبررات القطيعة العربية 141

5. موقف تيار القُطرية المصرية من القضية الفلسطينية 144
أ. صحف غير حزبية 145
ب. صحف حزبية 145
المبحث الثاني: موقف تيار القُطرية المصرية من القضايا الثقافية والاجتماعية 150
1. موقفه من اللغة العربية وآدابها 150
أ. أحمد لطفي السيد 150
ب. طه حسين 151
ج. توفيق الحكيم 153
د. سلامة موسى 154
2. موقفه من ثنائية الدّين بمصر: 155
3. موقف تيار القُطرية المصرية من التأريخ لمصر 159
أ. مبادئ التأريخ 159
أ.1. وحدة التاريخ المصري 159
أ.2. وحدة البيئة 160
أ.3. استمرارية التاريخ 161
ج. محددات كتابة التاريخ القُطري المصري 162
6. موقف تيار القُطرية المصرية من الأجانب بمصر 163
أ. مُحَمَّد عبده 164
ب. أحمد لطفي السيد 164
ج. مصطفى كامل 165
المبحث الثالث: تيار القُطرية المصرية بين جدلية القبول والرفض 167
1. الجهود التوفيقية لساطع الحصري 167

2. محاولات أنور الجندي 168

خلاصة الفصل 173

خاتمة 175

الملاحق 181

البيبليوغرافيا 208

فهرس الأعلام والأماكن: 226

فهرس المحتويات 233

الملخص:

عرفت مصر بين (1882–1939م) سجالاً فكرياً حاداً حول موضوع القومية المصرية، حيث تجاذبت التيارات بين هُوية إسلامية وعربية، وأخرى قومية وطنية تبني أسسها على محددات طبيعية بحتة (وادي النيل)، وتهدف إلى تحقيق المنفعة والمصلحة لصالح القُطر المصري دون الحاجة إلى أي من الأسس التقليدية لبناء القومية كاللغة والعرق والدّين. يُعرف هذا التوجه بتيار القُطرية المصرية نَشِطَ خلال الفترة (1882–1939م) وعَمِلَ على نشر الفكر القُطري المصري والتصدي لمختلف التيارات الفكرية القومية الأخرى، فكان لأنصاره مواقف مختلفة من العديد من القضايا التاريخية والفكرية، وعبّرت ردود أفعالهم منها عن قناعاتهم الإيديولوجية فجاءت في مُجملها معبرة عن الاهتمام بالقضايا الداخلية ومحاولة توجيه جهودهم لترسيخ فكرة مصرية مصر.

الكلمات المفتاحية: التيارات القومية، القُطرية المصرية، القضايا التاريخية الفكرية، الإقليمية، مصر المصرية.

Résumé:

Entre 1882 et 1939, un débat intellectuel intense a eu lieu en Egypte sur la question du nationalisme égyptien. Les tendances ont différé une fois entre un islamique et un arabe une autre fois est un nationalisme. Ce dernier était basé sur des déterminants purement géographiques (Nil) et visait à réaliser des avantages et des intérêts pour le pays égyptien. sans la nécessité d'aucune des autres fondations traditionnelles pour construire le nationalisme égyptien comme la langue, l'ethnie et la religion. Cette tendance a été définie comme le territoire égyptien qui était actif pendant la période (1882-1939) et a travaillé sur la diffusion de la pensée territoriale égyptienne et confronté à divers autres mouvements intellectuels nationaux. Les partisans de cette tendance avaient montré des positions différentes sur de nombreuses questions historiques et intellectuelles et leurs réactions face à ces questions exprimaient leurs idéologies s'occupant des problèmes internes de l'Égypte et essayaient de diriger leurs efforts pour installer l'idée que l'Égypte est égyptienne.

Mots clés: mouvements nationaux, territoire égyptien, enjeux intellectuels historiques, l'Egypte est égyptienne.

Abstract:

Between 1882 and 1939, an intense intellectual debate took place in Egypt on the issue of Egyptian Nationalism. Trends differed once between an Islamic and Arabic an other time is a Nationalism. The latter was based on purely geographical determinants(Nile River), and aimed at realizing benefit and interest to the Egyptian country. without the need for any of the other traditional foundations to build the Egyptian nationalism such as language, ethnicity and religion. That trend was defined as the Egyptian Territorial which was active during the period (1882-1939) and worked on the spreading the Egyptian Territorial thought and confronting various other national intellectual movements. Advocates of that trend had shown different positions on many historical and intellectual issues and their reactions towards those issues expressed their ideologies looked after Egypt internal issues and tried to direct their efforts to install the idea of Egypt is Egyptian.

Key words: national movements, Egyptian Territorial, historical intellectual issues, Egypt is Egyptian.